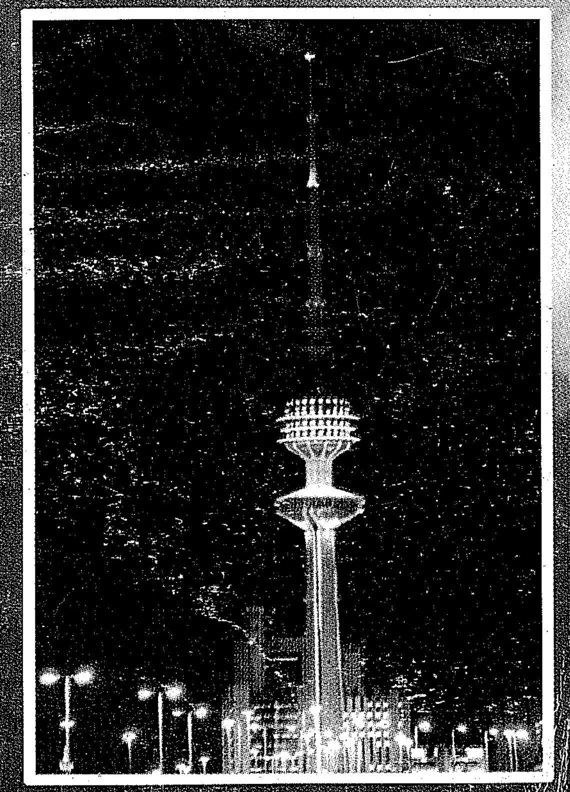
الوعي الإسلامي

AL-WA E I AL-ISLA MI
اسلامية شهرية جـامعـة
العدد ٣٧٤ - شوال ١٤١٧هـ - فبراير ١٩٩٧م

مخطط الانحدار
متى وكيف بدأ؟

لمناسبة الذكرى السادسة ليوم التحرير
الكويت في معركة بناء الذات



مسلسلات الدراما التلفازية
ومبادىء التأسيس الإسلامية

الحماية الجنائية لحقوق
الملكية الفكرية في الإسلام

كل عام وأنتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد

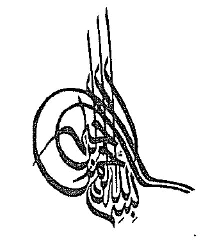
رئيس مجلس الوزراء

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة الموقرة

بأطيب التهاني وأجمل الأماني لمناسبة عيد الفطر السعيد،
سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يعيده على المسلمين
قاطبة باليمن والخير والبركات وأن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين غانمين إنه سميع مجيب

الوعي اسلامي



الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٧٤ – السنة الثانية والثلاثون
شوال ١٤١٧هـ - فبراير ١٩٩٧م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

سكرتير التحرير
تمام أحمد
TAMMAM AHMD

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2487210 -
FAX: 965-2431740

هاتف:
٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب : ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر

كلمة العدد

أسس المشروع النهضوي الاسلامي

عزيزي القارىء الكريم:
يصل إليك هذا العدد والمسلمون في شتى ديارهم يحتفلون بعيد الفطر السعيد بعد أن أدوا صيام رمضان وقاموا لياليه ونهلوا من معينه الصافي، عاقدين العزم إن شاء الله على العمل بجد وإخلاص من أجل استئناف المسيرة الحضارية الإسلامية، وتحقيق المشروع النهضوي القائم على القديم النافع والجديد الصالح، والانفتاح على العالم دون الذوبان فيه والتمسك بالأصول والتجديد في الفروع. فالإسلام نظام ارتضاه رب العالمين لعباده وهو الخبير بأحوالهم وما يصلح لسعادتهم في الدنيا والآخرة، ومن واجبنا ألا نتنكب عن الطريق الذي ارتضاه لنا العليم الخبير حتى لا نتيه في دياجير الظلام البهيم، قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)) طه ١٢٤ ـ ١٢٦.
تهانينا القلبية لكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وكل عام والمسلمون بخير.

الوعي الاسلامي

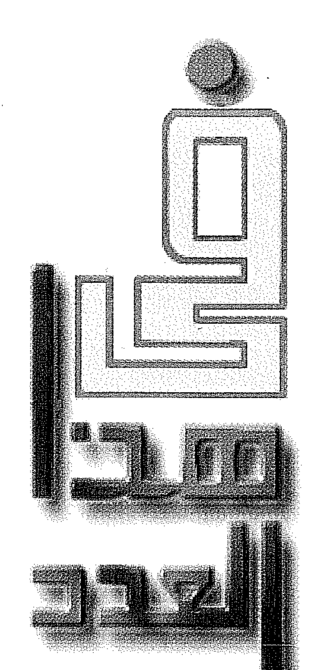
الاشتراكات

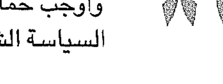
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها)
للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها)
للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل قيمة الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس
قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة
الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات
موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير
اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة
المغرب ٦ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله
أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

طبع في مطابع دار السياسة



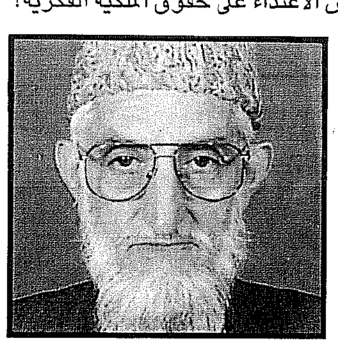


حاجة المنظمات الإسلامية إلى الثقافة الإسلامية
د. محمد بوجلال

الفكاهة غريزة إنسانية ومفهوم إسلامي /
محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

محنة المرأة في عالم الشتات /
شعبان عبدالرحمن

أبناؤنا والإعلان التلفازي /
فاروق حسان السيد



الشيخ محمد الإصلاحي: المستقبل سيكون للإسلام في الهند /
أجرى الحوار الأستاذ بدر القصار والدكتور عماد عثمان

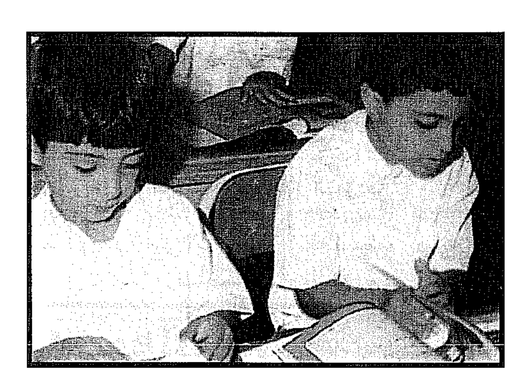
اتخاذ اللباس وستر العورات فضيلة إنسانية ودينية /
د. حسن أبو غدة

الوقاية من التصدع الأسري /
د. عبدالرحمن محمد العيسوي

الأمير يحدد المنهاج الشامل في بناء الذات

كلمة سمو أمير البلاد حفظه الله في العشر الأواخر من شهر رمضان الماضي حددت منهاجاً شاملاً للفرد والأسرة والجماعة والدولة، يعتمد على بناء الذات في عملية التنمية والبناء

١٠

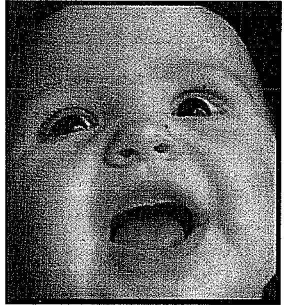


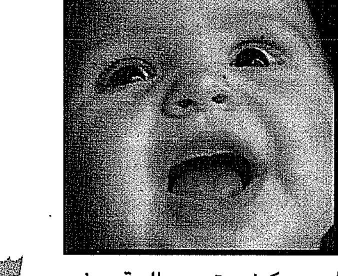
الثنائية اللغوية

المدارس الخاصة ذات الثنائية اللغوية تثير جدلاً واسعاً حول أهدافها المرجوة منها والمخاطر التي يمكن أن تقع فيما لو ترك الموضوع على عواهنه وعلاته وما تؤول إليه النتائج التربوية على حساب اللغة الأم.

٧٢

الأسس النفسية والتربوية للنظام السيكولوجي للطفل





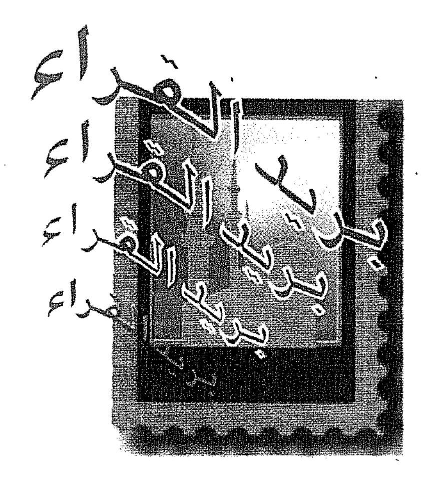
أكدت الأبحاث أن الاضطرابات التي تحدث لكبار السن منشؤها الطفولة غير السعيدة نتيجة لبعض الهزات النفسية التي تترك آثارها السلوكية في المراحل العمرية الأخرى.... كيف يتم معالجة هذه السلوكيات؟

٣٠

ندوة ثقافية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الكويت نظمت ندوة ثقافية بعنوان: منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بغرض طرح القضايا التي تهم عامة المسلمين لمساعدتهم في معرفة أمور دينهم وللتعريف بأحكام الشريعة ومقاصدها السامية..

الفهرس



ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

المؤامرة.. والأسئلة الحائرة..!!

التطورات الأخيرة المتشابكة إلى درجة التعقيد في بيت المقدس تدل على أنّ هذه القضية المصيرية لا تحتمل الانتظار أمام الأسئلة الحائرة التي تطرح نفسها الآن ونجد لها إجابة واضحة وهي: إلامَ يتصاعد هذا التحدي الصهيوني السافر للشرعية الدولية؟ إلى متى يستمر هذا الضعف في المواقف العربية والدولية؟ إلى أي مدى تستطيع الدول العربية والإسلامية أن تجبر المحتل على تغيير سياسته؟ هل حقق مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة في يوم من الأيام آمال وأحلام شعوب العالم؟

واقع الأمر أن هذه الأسئلة المريرة تطرح - هباء - دون إجابة!! فلم يكن فتح النفق تحت المسجد الأقصى سوى جزء من المخطط التدميري الاستفزازي ضد المسجد لإزالته، لم يكن اقتحام المسجد وإطلاق النار على المصلين بوحشية والتحدي السافر للمجتمع الدولي عقب صلاة الجمعة في ٢٧ سبتمبر «أيلول» ١٩٩٦م سوى ورقة صهيونية في المخطط الرامي إلى تهويد المدينة المقدسة وتدمير المقدسات غير اليهودية.

عادل البطوسي

الجهاد روح الأمة

من العجيب أن يحاول البعض إسقاط فريضة الجهاد أو حتى كلمة الجهاد كما حدث من قبل في المؤتمر الإسلامي في داكار بدعوى أن تلك الكلمة تستفز الغرب أو تستفز إسرائيل.

وعلى أي حال فهؤلاء الذين اتخذوا هذا السبيل سواء باستجابة لمطالب اليهود أو من تلقاء أنفسهم مخطؤون خطأ كبيراً في حق أمتهم وحق أنفسهم، فالجهاد فريضة شرعية إسلامية وفقاً لنصوص القرآن الكريم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإجماع العلماء في كل عصر وبالتالي فإن أي قرار يتخذ من أي قمة أو غيرها لا قيمة له فهو يكشف فقط عن عورات المتخاذلين وتطاولهم على الشرع الحنيف وبخاصة في وقت تقع فيه أراضي المسلمين في أكثر من مكان في أيدي الأعداء والكفار وخصوصاً في تلك الأراضي المقدسة التي بارك الله حولها «القدس وفلسطين» وفي وقت تنتهك فيه حرمات المسلمين في أكثر من مكان، في فلسطين، وكشمير ،والهند، والفلبين، وغيرها، وبالتالي فإننا في حالة تجعل الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة. وإذا تتبعنا المنحى الحضاري للأمة الإسلامية وجدنا أن المسلمين في حالة صعود حضاري دائم طالما التزموا بقيمة الجهاد ومارسوه بالسنان واللسان والمال والعكس صحيح على طول الخط، فطالما تقاعس المسلمون عن الجهاد أصبحوا في حال انهيار حضاري، بل أصبحوا في حال ذل وتخلف، أي أن القعود عن الجهاد ليس يجعلهم في حالة هزيمة عسكرية فقط، بل يضيبهم بحالة هزيمة حضارية شاملة.

محمد السيد عامر

ردود خاصة

- الأخ محمود الشرقاوي - مصر / نأسف لورود اسمك بالمجلة خطأ ونأمل تلافي ذلك في المستقبل.
- الأخت فاطمة محمد البغدادي / وصلت مقالتك «المرأة الداعية من ضرورات المواجهة» وقد أحيلت إلى القسم المختص بالمراجعة والتقويم للبت بشأنها وشكراً لثقتك بالمجلة.
- الأخ إبراهيم حامد عبدالحي / أمور التعيين والعمل في المجلة خارجة عن اختصاصنا - وبإمكانك مراسلة الجهات المختصة الوزارة، وجزاكم الله خيراً.
- الحاج محمد المصطفى صار - السنغال/ المجلة ليس لديها قسم للمساعدات المالية، يمكنك اللجوء للمؤسسات الخيرية للحصول على مثل هذه المساعدات.
- القارئ عبدالحميد محمد - السنغال/ توزيع الكتب الثقافية يتبع إدارة الثقافة، وبإمكانك مراسلة القسم الثقافي للحصول على الكتاب المذكورة وشكراً لكم.

كلمة الأهل ومعانيها في القرآن الكريم

تطلق كلمة الأهل في القرآن الكريم على عدة معان:

١ ـ تطلق على السكان كما في قوله تعالى: (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون) سورة الأعراف ـ ٩٧.

٢ ـ كما تعني قراء التوراة والإنجيل كما في قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) النساء ـ ١٧١.

٣ ـ وتعني الأصحاب كما في قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ـ ٥٨.

٤ ـ وتعني الزوجة والأولاد كما في قوله تعالى: (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) القصص ـ ٢٩، أي بزوجته وأولاده.

٥ ـ وتعني القوم والعشيرة كما في قوله تعالى: (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) النساء ـ ٣٥، أي من قومه أو قومها.

عثمان إبراهيم عامر / مصر

الإدخار والتخطيط الاقتصادي في القرآن الكريم

إن المسلم إذا ما تلا سورة يوسف عليه السلام وطبق القوانين الوضعية الحالية للاقتصاد والتخطيط والإدخار أيقن تماماً أن كل هذه القوانين الوضعية في الاقتصاد تم وضعها واقتباسها من كتاب الله ومن سورة يوسف عليه السلام ففي سورة يوسف عناصر الخطط الاقتصادية التي تتمثل في: زيادة الإنتاج ـ تجميع المدخرات ـ عدالة التوزيع والإدارة العلمية الإسلامية الحكيمة ـ وتنظيم وترشيد الاستهلاك.

١ ـ ففي زيادة الإنتاج جاءت الآية الكريمة في سورة يوسف تقول: (تزرعون سبع سنين دأباً) وانها أمر بالزراعة المتواصلة لزيادة الإنتاج.

٢ ـ أما في تنظيم الاستهلاك وتجميع المدخرات، فالآية الكريمة تقول: (فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) الآية ٤٧

٣ ـ ففي عدالة التوزيع جاء القرآن في سورة يوسف يقول: (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) يوسف ـ ٦٠ أي أن عدالة التوزيع لا مجاملة فيها ولا محاباه في الحق حتى مع اخوته.

٤ ـ وفي الإدارة العلمية والتنظيم والترشيد جاء ذلك في الآية ٥٤ و ٥٥ في سورة يوسف وأن هذه الإدارة العلمية الإسلامية تحتاج إلى مسوغات تعيين تتمثل في مكين أمين، وحفيظ عليم، وهي صفات لطالب العمل عند الملك في شخصية سيدنا يوسف عليه السلام، وهي مسوغات تعيين للإدارة العلمية الواعية الرشيدة القادرة على تصريف الأمور بحكمة وتعقل تؤهله للقيادة الاقتصادية.

نستخلص من ذلك كله أن زيادة الإنتاج وتنظيم الاستهلاك وتجميع المدخرات وتسخير العلم لخدمتها وعدالة التوزيع والإدارة العلمية كل هذاتنظيم رشيد كل هذا يساوي خطة اقتصادية قرآنية تحل الأزمات الاقتصادية المعاصرة والتي عجزت الأنظمة الاقتصادية المعاصرة عن علاجها.

وأخيراً نبين ان الله تعالى في كتابه العزيز يقول: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء».

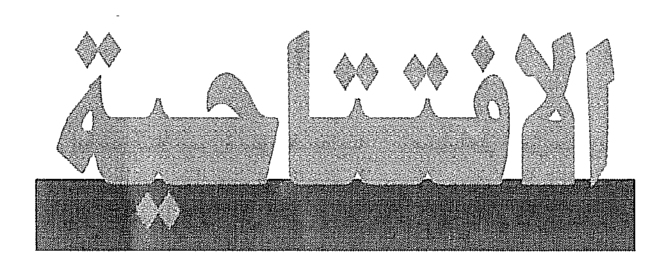
علي محفوظ محمد علي القاضي

يا حسرة على الكتاب

في حيّنا وغير بعيد عن البيت، مكتبة كانت تتلألأ بالكتب والرسائل والمجلات والصحف، صارت دكاناً للمأكولات ومقهى للمشروبات، وغير بعيد عنها أخرى صارت مخدعا للهاتف، وأخرى في الزقاق الموالي صارت مغلقة منذ سنين، وغير بعيد من الحي فوجئت ما الذي أحسر وأخسر: المكتبةالعريقة التي كنت تجد فيها كتب «المقامات» و «الرسائل» و «الألفيات» والدواوين» والمتون والشروح... وما لا تجده هنا وهناك من كتب التراث أصيبت بالانتكاس وأنا أرى على رفوف الأمس علب السجائر، ورفعت رأسي محدقاً إلى أعلى، وكأني لا أصدق، فإذا بي أرى شارة للدخان مثبتة ، يا لكع! ـ كما تقول العرب ـ تحولت المكتبة العريقة إلى حانوت للدخان. صدقوني، أن هذا الذي أحكيه ليس بنكتة ولا خرافات، ولكنه واقع وحقيقة، هذا في حيي وما جاوره، فكيف ترى حال الأحياء الأخرى؟ ثم المدن الأخرى، ثم الأقطار الأخرى لبلاد الإسلام؟ ألهذا الحد زهدنا في الكتاب والمكتبة واغتربنا عنهما وغربناهما!؟ لقد أخبرتنا الكتب أن فتى عربياً فيما مضى كان يبحث عن كتاب للرازي فلم يجده إلا عند كتبي واحد، وعنده نسخة واحدة، فتصادف أن فتاة كانت تبحث عن نفس الكتاب أبت هي الأخرى إلا أن تأخذه من الكتبي، وأصر الفتى، وأصرت الفتاة فلم يحل النزاع بينهما ألا بزواجهما، ومضيا بالنسخة إلى بيتهما، وكان علماؤنا يضربون أكباد الإبل يقطعون الأميال والأميال والليالي الطوال للحصول على نسخة من كتاب أو صفحة منه أو حديث من صفحة ضاع منه جزء من سند أو كلمة من متن، وحكى هتلر في «كفاحه» أنه يوم يشتري كتاباً يظل يومه ذاك يتضور جوعاً ثمناً لذلك.

لك الله يا أمة الإسلام ألم تعلم هذه الأمة أن أول ما نزل على نبيها «اقرأ» التي كررها الملك الأمين ثلاث مرات حتى استقرت في روع النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أنزل الخالق جل وعلا في محكم آياته: «يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم. هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» الجمعة ـ [١ و ٢]. فيا حسرة على المسلمين إن ضيعوا الكتاب وإن ضاع الكتاب فيا حسرة على العباد.

د. عبدالوهاب الغفري
مراكش ـ المغرب



لمناسبة الذكرى السادسة ليوم التحرير

الكويت في معركة بناء الذات

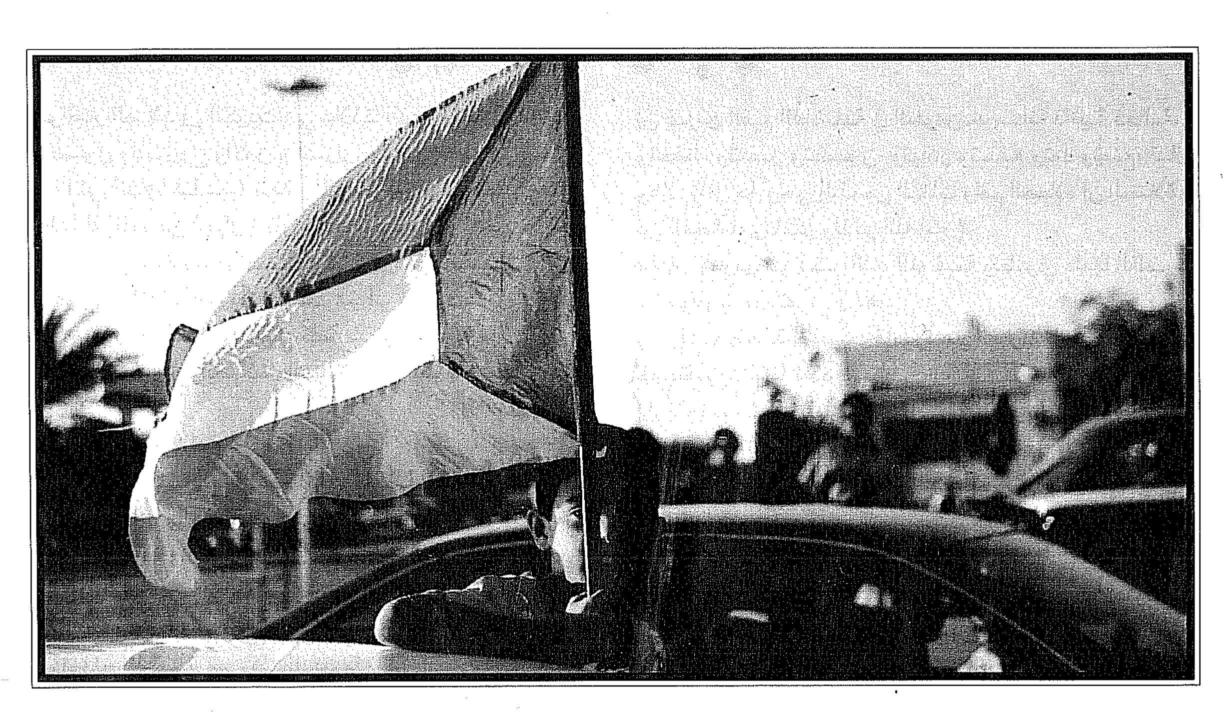
تعيش الكويت في فبراير سلسلة متصلة من الأفراح والمسرات جاءت كلها افرازاً طبيعياً لانتصار المسلم على ذاته وشهواته واهوائه وتتويجاً لجهاد دؤوب متواصل لايعرف الكلل او الملل في سبيل تحقيق المثل العليا والقيم النبيلة والمبادىء السامية خدمة لوطنه وأمته.

فعيد الفطر السعيد هو ثمرة شهر كامل من الصبر، والتحمل ونسيان الذات والتفاني في البذل والعطاء وإيثار الآخرين على حظوظ النفس من متاع الدنيا الزائل، والمبادرة إلى نجدة الآخرين ممن اصابتهم نوائب الدهر بالفقر والجوع والحرمان والنكبات ، ومناسبة يوم الاستقلال(٢٥فبراير١٩٦١) ويوم التحرير (٢٦فبراير١٩٩١) لاتخرجان عن نفس المبادىء السابقة في التلاحم والتآزر والجهاد والتضحية والفداء، وهذا ماأشار اليه سمو أمير البلاد في كلمته الرائعة التي القاها في العشر الأواخر من شهر رمضان الماضي حين اكد هذه المعاني النبيلة واثرها في حفظ الأمم والأوطان وبناء الذات ودعا الأمة الى التمسك بها والعض بالنواجذ عليها باعتبارها سبيل التقدم والنهوض والرفاهية والازدهار.. لقد قال سموه:

ان من يبني ذاته بنفسه وليس على اكتاف الآخرين يجدها ويجد وطنه ومواطنيه وأما من يسترسل مع اهوائه فإنه يضيعها ويغدو عبئا على الوطن والمواطنين .. ان غرس القيم الفاضلة في النفوس حصانه ذاتية فعالة تبني وتحفظ وتعمر وتصون وتبادر وتدفع وتحد وتمنع..

ان الشعوب الحية الجادة لاتتوقف عند المصائب والمحن عندما تصيبها فتنكصُ على عقبيها مجترة احزانها وويلاتها نادبة حظها العاثر موقفة عجلة تقدمها وازدهارها بل انما تجعل من المصائب والمحن قوة ايجابية دافعة وفرصة للمراجعة والتقويم وتلافي السلبيات والتغلب على المعوقات تمهيداً للعودة الى المسار الصحيح بشكل افضل وعزيمة اقوى وامضى، ومما لاشك فيه ان الابتلاء سنة من سنن الله في هذا الكون ،ووسيلة للتمايز والتفاضل سواء على مستوى الفرد ،او المجتمع او الأمة به يمحص الله الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، والمنتج العامل من الكسول الخامل قال تعالى:﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾ [محمد-٣١].﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾[الملك-٢].

لهذا فإن العدوان الذي تعرضت له الكويت على الرغم من آثاره السلبية كانت له ايجابيات كثيرة تندرج في اطار الابتلاء الذي اصاب الله به اهل الكويت ليمتحنهم فيما اعطاهم من نعم وفيرة وهاهي الكويت وبعد مرور ست سنوات على خروج الغاصب المحتل مخذولا مدحوراً تبنى بسواعد ابنائها وتزهو شامخة بماضيها وحاضرها ومستقبلها مستسهلة في طريقها كل صعب مادامت نفوس ابنائها مؤمنة برضاء ربها



لايصيبهـا اليأس او الخور بل هي مستمـرة في عملية البنـاء والتنمية وإزالـة آثار العدوان الظـالم دونما تراخ او تبـاطؤ، واضعـة نصب عينيها بنـاء كـويت الخير.. والعطاء.. كـويت التقـدم والرفـاه والازدهار، فهـي رغم فداحـة الخطب وعمق الجراح استطاعت مواجهة التحـديات ونجحت ولله الحمد في معركة البناء وظلت ينبـوعاً لايجف للخير والعطاء والطمأنينة ومعيناً لاينضب لمعاني العزة والكرامة والانتماء.

واذا كـان هـذا هو وضـع الكويت المشرق الـزاهـر بعـد ست سنوات مضت على التحرير فماذا عن الجانب الآخر من جسد الأمة؟ لاشك ان الواقع شديد الخطورة فأمتنا وللأسف تعيش آثار الأزمة بكل أبعادها وما أحدثته من فرقة وتمزق وانقسام وجـراحـات فـاغرة افـواهـا وهمومهـا محاصرة بـالهزائم والجراحـات التي تثقل الجسـد العـربي والاسـلامي وآفـاق لاتزال مسـدودة وتنذر بشرر لايعلم الا اللـه مدى خطـورته والآمال في طـريق اعادة الصفـاء والوئام محدودة في كل ذلك لسبب واحد، هـو ان الآثار السوداء لتلك المغامـرة الشيطانية القـاتلـة مـاثلـة امـام الجميع لاتسمح بخلـق اي نـوع من الاحساس بـالأمن الحقيقي لشعوب المنطقـة فمازالت قضية الاسرى والمرتهنين الكويتيين وغيرهم تلقي بظـلالها السوداء على كل بيت في الكـويت لتخطف البسمة والفـرحة من وجـوه الاطفال والزوجـات والأمهات والآباء ،ومازالت ايضـا قضايا دفع التعـويضات ونـزع وتدمير الاسلحـة التي شجعت على العدوان وساهمت فيه تتعثر وتشكل عقبة في طريق الاستقرار الحقيقي للمنطقـة بسبب المماطـلات المستمـرة للنظـام العراقي..

ان تحديات المرحلـة القادمة تستوجب من ابنـاء الكويت وهم يعيشون افراحهم مزيداً من التلاحم والجهد وتوظيف جميع الامكانات والتحرك بجدية وفعـالية لتحقيق مزيد من النجاح في عمليـة البناء والتنميـة مهتـدين بتعاليـم ديننا الاسـلامي الحنيف وقيمـه العليا ومبـادىء شريعتنا الغـراء باعتبـارها الحصن الحصـين لكل انجـازاتنا وتطلعـاتنا والحارس الامين لوحدتنا الوطنية في مواجهة احقاد الطامعين.

والله الموفق الى سواء السبيل.

الوعي الاسلامي

سمو أمير البلاد لمناسبة العشر الأواخر من رمضان:

ماضون في العمل لاستكمال تطبيق الشريعة بعزم وأمانة

قال سمو أمير البلاد إن الكويت هي ملاذنا الذي منحنا الله إياه، وهي الأصول والفروع والأمن والقرار، ودعا سموه في كلمته السامية التي ألقاها لمناسبة العشر الأواخر إلى أن يخطط كل جيل من أجيالها لما يتلوه من أجيال لتظل نشيد المجد وغناء الحب على كل لسان في كل أوان، واضعين نصب أعيننا أن رصيد الكويت الأدوم والأبقى هو إنسانها واعين بأنه ليست هناك عصاً سحرية تلقف المشكلات وتنزل البركات وفيما يلي كلمة سموه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم المرسلين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية الصفاء التي نتبادلها في هذه الأيام المفضلة في شهر الصيام وأنه لموسم للطاعات والخيرات، ومعراج بالنفوس إلى كل فضل وبر، كما حدد الله تبارك وتعالى هدفه الجامع في قوله: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون).

والتقوى في المصطلح القرآني، هي الدين كله، هي الصراط المستقيم، والمراقبة لرب العالمين، والارتقاء كل يوم إلى الدرجة الأعلى، تنزهاً [illegible]لخطايا، وترفعاً عن الدنايا، وتطلعاً للأفضل، وطموحاً نحو الأكمل.

إنها منهاج شامل لبناء الفرد والأسرة والجماعة والدولة، فهل ترانا قد وفقنا بحمد الله للصيام حققنا هدفه وجنينا ثمرته؟! إن بناء الذات هو المسؤولية الأولى التي يواجهها كل راشد وكل عاقل، وكرامة الإنسان ترفض أن يحتقر نفسه أو يحتقره الآخرون، كما تأبى أن يذل نفسه بالمطامع والشهوات، وأن يكون عالة على الآخرين.

لقد عاشت الكويت قبل النفط عيشة قاسية، ولكن آباءنا وأمهاتنا جزاهم الله خير الجزاء واجهوا القسوة بالصمود، والمصاعب بالثبات، والحاجة بالعمل، وكل كويتي يعلم ويسمع ويقرأ عن تلك الأجيال أعاجيب من سبل الاحتراف للحياة مع نزاهة في الأخلاق، تكاد تدخل أحياناً في الخيال، وهي حقائق واقعة.

إن من يبني ذاته بنفسه وليس على أكتاف الآخرين يجدها، ويجده وطنه ومواطنوه، وأما من يسترسل مع أهوائه، فإنه يضيعها، ويغدو عبئاً على الوطن والمواطنين، وهذا هو المعنى الذي عبرت عنه حضارتنا بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

إن غرس القيم الفاضلة في النفوس حصانة ذاتية فعالة، تبني وتحفظ، وتعمر وتصون، وتبادر وتدفع وتمد وتمنع، قال جل وعلا: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر).

فأكبر الأمرين هو ذكر الله، لأنه قيمة ينطوي عليها القلب، عملها دائم وأثرها مستمر.

وثمرات هذه القيم ليست قاصرة على الفرد، بل هي أيضاً حماية للمجتمع وصيانة للأمة.

إن كثيراً من شكاوانا مردها خواء النفوس من القيم الفاضلة، فالانحراف السلوكي والأنانية، والتطاول على الغير، والانهماك في الترف، والاستجابة للأفكار الشاذة، لا تجد لها مكاناً في نفس عامرة بالقيم، بل مكانها نفس جرداء خربة، خلت من الخير، فغدت مرتعاً للشر.

وانبعاثاً من هذه الرؤية، ومن أن الكويت تعلم أن حقيقتها هي الإسلام الحنيف، بشريعته السمحة، وقيمه العليا، فإننا نحرص دائماً على تجديد أنفسنا بالإسلام، وعلى حفظ مجتمعنا به وبأحكامه الشاملة وأخلاقه الطاهرة، ولكي يكون عملنا «على بصيرة» كما نطق القرآن الحكيم، فإن خطواتنا لابد أن تكون محسوبة، لا تطيش بها الحماسة عن ضوابط الحكمة، والأنسب إلى الشرع الإلهي تقصيرنا في الاجتهاد ومن ثم فقد أسندنا إلى اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، هذه المهمة الثقيلة، وهي مهمة تربوية وتشريعية معاً.

واللجنة ماضية بعزم وأناة لتحقيق حلمنا جميعاً في أن تظللنا شريعة الله، وأن يكون الحارس الأكبر لهذه الشريعة إيمان القلوب بها، وحياطة النفوس لها، واليقين بأن السعادة الدنيوية والأخروية لا تتحقق إلا بتطبيقها، كما قال سبحانه: (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً).

إن الكويت هي ملاذنا الذي منحنا الله إياه، وهي السكن الذي امتن به علينا، هي الأصول والفروع، والأمن والقرار، والحماية والعز، هي الماضي والحاضر والمستقبل، وشكر هذه النعمة الجليلة أن نحفظها بلا تفريط، ونصونها بلا تبديد وأن يخطط كل جيل من أجيالها لما يتلوه من أجيال، لتظل نشيد المجد وغناء الحب على كل



لسان في كل أوان، واضعين نصب أعيننا أجمعين أن رصيد الكويت الأدوم والأبقى هو إنسانها، واعين بأنه ليست هناك عصا سحرية تلقف المشكلات وتنزل البركات.

ولنتذكر أن الله تعالى وزع المواهب، وقدر الأخلاق، فليست هناك نفس هي صورة مكررة عن نفس أخرى، بل كل نفس لديها ما ليس لدى نفس سواها، وهذا هو أحد الأسرار في عظمة الإنسان وكرامته التي اختصه الله بها.

علينا، وعلى الآباء والأمهات وعلى أولي العلم والخبرة، أن نولي هذه النفوس اهتمامنا، وأن نهيىء لكل نفس مجالها الذي تعطى فيه، ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له».

ليس كل البشر مخترعين، وليس كل الناس علماء فلك، أو رياضيات، وليس كل بني آدم شعراء أو فلاسفة، لكن النسيج البشري خيوط متلاحمة متآزرة، وعلينا في المقام الأول أن نفجر الطاقات الكامنة في ذواتنا ونفوسنا، وأن نمهد لها السبل لتكشف عن أغوارها، ولتندفع بقواها إلى العمل الذي يرضي الله ويشرّف الإنسان ويبني الوطن، ففي بناء الوطن كل جهد مطلوب، وكل عمل نافع فهو لازم مرغوب، والشرف الأكبر هو العمل المفيد.

لقد قال الشاعر القديم:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

والكويت كانت بأهلها، وبقيت بأهلها، وستبقى إن شاء الله بأهلها، فبصفاء النفوس، وإخلاص النوايا، والتخاطب بالتي هي أحسن بعيداً عن التشنجات، سنصل بمشيئة الله إلى هدفنا، ولقد فتح لنا العلم أبوابه على مصارعيها، وأخضع كل الظواهر للدراسة، فأرضنا وبحرنا وجونا، ومن قبل ومن بعد إنساننا، لابد أن تتوجه إليها الدراسات العلمية بالجد والعزم والأخلاق الرحبة، فذلك هو مستقبل الكويت، الذي يحقق لها أمن البقاء وعزة الوجود.

ومما تعتز به الكويت أنها آمنت بالكلمة الحرة، لأنها سبيل المشاركة الفعالة والنقد البناء تشيد بالصالح وتسانده، وتكشف الطالح وتقومه، ولذلك نريدها أن تستند إلى آدابنا الموروثة، من التثبت قبل الاتهام، والأخذ بالرفق، وإيثار الكلمة الطيبة، جاعلين مصلحة الوطن فوق الأفراد والأهواء، هذا ما نأمله من صحافتنا، وندعو الله سبحانه أن يكون صيامنا سبيلاً لصلاح شأننا، وصدق قلوبنا، وعفاف ألسنتنا.

إن وطننا العزيز قد أعطانا كل الدوافع للسمو: فآباؤنا وأمهاتنا ورّثونا كويتاً حراً وأخلاقاً طاهرة، وديننا القويم يدفعنا دائماً إلى معارج النزاهة والكرامة، وهذا شهر الصيام، أحد معالمه وشعائره، نلتمس بركة أيامه فنضرع إلى الله الحليم الكريم أن يرفع درجات شهدائنا، وأن يرد أسرانا سالمين، وأن يحفظ الكويت، ويحرسها بعينه التي لا تنام، من كل شر ومكر فبه وحده العصمة، وعليه التوكل، ومنه التأييد...■

وكل عام وأنتم بخير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



جرياً على عادة سموه

الأمير زار ديوانيات شعراء النبط والشهيد واللجنة الاستشارية



قام سمو أمير البلاد خلال ليالي شهر رمضان المبارك، وجرياً على عادة سموه، بجولات رمضانية شملت ديوانية شعراء النبط، حيث تبادل الأحاديث الودية مع روادها واستمع سموه إلى العديد من القصائد الشعرية، كذلك شملت جولة سموه زيارة ديوانية الشهيد التابعة لمكتب الشهيد، حيث التقى سموه بأهالي الشهداء من رواد الديوانية واجتمع بهم واستفسر عن أحوالهم، وعما يقدمه لهم مكتب الشهيد من خدمات متنوعة لتلبية احتياجاتهم كافة وقد تقدم أهالي الشهداء ببالغ الشكر والتقدير لسموه لمناسبة زيارته التي تعكس الاهتمام الخاص الذي









يوليه لذوي الشهداء.

كما زار سموه في إطار جولاته الرمضانية مقر اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، مؤكداً سموه أن جلال هذه المهمة لتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى وصيانة المجتمع، وهنأ سموه أعضاء اللجنة بالشهر الفضيل.

ورافق سموه في جولاته النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ/ صباح الأحمد الجابر الصباح، ونائب رئيس الحرس الوطني الشيخ/ نواف الأحمد الجابر الصباح، والشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح.

افتتح معرض العطاء الاجتماعي الأول لأمانة الوقف

صباح الأحمد: العمل الخيري يعطي انطباعاً طيباً عن الكويت في الداخل والخارج

أكد النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد أن العمل الخيري الذي تقوم به الجمعيات والهيئات واللجان الخيرية الكويتية أعطى انطباعاً طيباً في الداخل والخارج عن توجه الكويت في جميع المجالات الإنسانية.

وأشار خلال افتتاحه معرض العطاء الاجتماعي الأول الذي أقامته الأمانة العامة للأوقاف ١٤ من رمضان الماضي إلى ما تميز به شعب الكويت على مختلف فئاته من جمعيات إسلامية ولجان خيرية وجمعيات مهنية، موضحاً أن ذلك يدلل على طيب معدن هذا الشعب وتوجهه الخيري لأهله في داخل الكويت ولإخوانه في الخارج وإحساسه باحتياجات إخوانه وعوزهم ومحاولة سد هذه الحاجات بقدر المستطاع وبذل أقصى الجهود في هذا المضمار.

وقال الشيخ صباح: أتمنى للجميع التوفيق وأتمنى أن نجد مثل هذا المعرض كل عام.

من جهته أشاد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد ضيف الله شرار بالمعرض وطالب بتكرار هذه التجربة.

وقال: إنها تمثل النشاط الكبير الذي تقوم به جمعيات النفع العام من أعمال خيرية داخل وخارج الكويت وإضافة لتعزيز العمل التطوعي وإظهار نتائجه وما وصل إليه من أعمال.

وأضاف شرار أن المعرض يعزز الروابط بين الجهات العاملة في المجالات التطوعية وجمعيات النفع العام وإبراز وجه الكويت الحضاري والخيري في المجال التطوعي.

وقال: لقد استطاع المعرض أن يبرز الكثير من الأنشطة التي قد لا يعرفها بعض المواطنين داخل وخارج الكويت، مبيناً أن المعرض استطاع أن يضع الأنشطة تحت نظر الجمهور مما أعطى فرصة للنقد البناء والتقويم والتصحيح والاقتراح السليم حتى يعطي دفعة لتقدم وازدهار العمل الخيري.

وأوضح وزير العدل وزير الأوقاف أن هذه المعارض سينتج عنها ازدهار فكري بتنظيمها الندوات التي ستقام على هامش المعرض عن طريق طرح أفكار جديدة وتصورات مستقبلية للعمل الخيري بالإضافة إلى الاطلاع على الأعمال الخيرية من قبل المهتمين حيث جمعت تحت سقف واحد.



وقال الوزير شرار: إن العمل الخيري في

الكويت قديم ولـه باع طـويل وهذه المعـارض تمثل نـوعاً من التـوفيق والتعاون بين الجهـات الخيرية.

ورداً على سؤال حـول محاولات تشويـه العمل الخيري الكويتي قال وزير العدل وزير الأوقاف والشـؤون الإسلاميـة أن الاتهام الـذي يوجـه للعمل الخيري لا يقوم على أسـاس بل إن العمل الخيري في الكـويت نظيف شريـف يسعى إلى الخير في كل مكان سواء في الداخل أو في الخارج. مضيفـاً: يجب أن نبرز هـذا الـوجـه ونبين لمن يشكك في العمل الخيري أن هـذا العمل لا يهدف إلا إلى الخير ومسـاعـدة مـن يحتـاج في كل المجالات الإنسانية، وأكـد شرار أن المعرض يرد على كثير من الاتهامـات التي تـوجـه لـلأعمال الخيريـة في أي مجال وقـال: وسيبقى الخير في هذا البلد المعطاء عبر العصور والأجيال.

رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الشيخ يـوسف الحجي أعرب عـن سروره لإقامـة مثل هـذا المعـرض الـذي حـوى كل الخدمـات الاجتماعيـة والخيريـة والإنسانيـة والصحيـة والثقافية مما أثلج الصدر.

وأشـار الحجي إلى أن المعـرض عبر عن وجـه الكويت الحضـاري الخيري وأبرز ما تقـوم به الكويت من أعمال خيريـة على المستويين المحلي والخارجي ممـا يدل على أن الخير طبيعـة جُبل عليها الشعب الكويتي وما يقدم من جهد ما هو إلا شكـر لنعم اللـه تعـالى التي أنعم بها على الكويت.

وطـالب الحجي بـالمزيـد من أعمال البر والخير والتوفيق.

من جهته أوضح الأمين العـام للأمـانة العـامة لـلأوقـاف عبـدالمحسن العثمان أن الهدف من إقامة المعرض جعلـه تظاهرة تبرز جميع ألوان العمل التطوعي والخيري الذي يقوم به المجتمع الكـويتي، وبين العثمان أن المشـاركـة من قبل الهيئـات واللجـان والمؤسسـات الخيريـة والإنسانية كـانت أكبر من المتوقع مشيراً إلى أن هنـاك من المؤسسـات ذات الأنشطة الخاصـة الاجتماعيـة حـرصت على المشـاركـة وإبـراز نشاطها، وتوقع العثمان المزيد من الفوائد التي تعـود على المجتمع ومنهـا إبـراز جهـود العمل التطـوعي والأعمال الجبارة التي تقـام من قبل جمعيـات النفع العـام بمختلـف تـوجهـاتها وأنواعهاوتجميع كل هذه الجهود في مكان واحد مما يسهل على المواطن الكويتي والمقيم التعرف على هذه الجهود والتفاعل معها. ■

وكيل الأوقاف يوجه كلمة عبر صفحات المسجد الكبير في «الإنترنت»



وجه خالد الزير وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسـلاميـة كلمـة تعـريفيـة لمشتركي شبكـة المعلـومـات العـالميـة «الإنترنت» من خـلال صفحات المسجد الكبير الخاصة في الشبكة.

وقد تضمنت كلمة الوكيل عبارات ومعاني تمثل فيها العمق الإسـلامي الكبير في حب الكويتيين المجبول، على بنـاء المساجد وإعمارهـابالـذكر والعبـادة ممـا جعل دولة الكـويت تترجم هـذه المحبة بتنفيـذ رغبة أميرية رائعة لبنـاء المسجد الكبير ليكون شاهداً حياً في إخراج وجه الكويت الإسلامي الحضاري الجميل.

وبين الزير أن اشتراك المسجـد بصفحات خاصة به في «الإنترنت» يمثـل قفزة إسلامية عالميـة جريئة تبين الضرورة الحتمية بتوظيـف التكنولوجيا الإعلاميـة الحديثة لخدمة ديننا الحنيف والتعـريف به والدعوة إليه في سبيل الوصول لأكبر شريحة إعلامية ممكنة مضيفاً: انه نظراً لإقبال الجاليات المسلمة في الولايات المتحدة، وأوروبا الشديد على صفحات المسجـد في رمضان السابق وتحقيقاً لرغبة طلبتنا هنـاك، تم إدخال صـوت أذان الحرم النبوي الشريف في صفحـات المسجد الكبير بـالإضافـة لدعـاء المسجد الكبير في ليلة السابع والعشرين من رمضان وذلك استكمالاً لدور المسجد الرائد باعتباره أول مسجد في العالم يقتحم عالم الإنترنت

د. الفلاح: إعادة النظر في بعض المناهج الدراسية في دور القرآن الكريم

أعلن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعـد لشؤون الحج والدراسات الدكتور: عادل الفـلاح عن نية الـوزارة إعادةالنظر في بعض المناهج الـدراسية في دور القـرآن الكريم وحـذف أو إضافة مـا ترى أنه سيساعـد على استقطاب أكبر قدر من الدارسين والـدارسات مشيراً إلى تشكيل لجنة ستقوم بدراسة متكاملة حول هذا الموضوع قبل إقراره بصورة نهائية.

وأوضح د. الفلاح أن مركز خـدمة المجتمع للدراسات الإسلامية الذي تعتزم الـوزارة إنشاءه قريباً سيعمل على الدمج بين النظام التقليدي للدراسة ونظـام التعليم المستمر مؤكداً أن إنشاءه لن يلغي دور القرآن مضيفـاً: أن وزارة الأوقاف تبحث مع الجهـات المختصة في إقامـة مبان مستقلـة لدور القرآن الكريم في المناطق السكنية المزمع إنشاؤها قريباً.

وكشف الفلاح عـن وجود دراسة لإنشـاء معهد للقـراءات في الكويت مـوضحـاً أن إدارة الـدراسات عرضت هذا المشروع على السلطات العليا في الوزارة للبت فيه.

كما كشف د. الفلاح عن وجـود اتصالات حثيثة مع السلطـات السعودية المختصـة في شأن ترتيب بعض التسهيلات الجديـدة لحملات الحج الكويتية، وخصـوصـاً تلك التي تفد إلى مكـة بعد ٢٥ ذي القعدة، الموعد النهائي الذي تحدده السلطات السعـودية.

وأعلن د. الفلاح عن تنظيم حفل لتكريم حملات الحج التي حصلت على تقدير امتياز وفقاً للتصنيف الذي أقرته الوزارة الموسم الماضي، وذلك في موعد لا يتجاوز نهاية مارس المقبل، وستتم دعوة رجال الصحافة والإعلام لحضوره.

وأكد د. الفلاح أن المجتمع الكويتي يخطو خطـوات إيجابية باتجاه استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلاميـة، معرباً عـن أمله في أن تقوم وسـائل الإعلام بدورهـا في تقديم البـديل النافع والجاد في مواجهة الزحف المتنامي للقنوات الفضائية التي باتت غير مسيطر عليها.

اتفاقية تعاون بين جامعة الأزهر والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

الدكتور أحمد عمر هاشم: أهدافنا مشتركة ونسعى معاً لجمع وحفظ التراث الطبي الإسلامي

عقد يوم ٢٨ يناير الماضي مؤتمر صحافي في مقر المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بمناسبة توقيع اتفاقية تعاون مع رئيس جامعة الأزهر ورئيس اللجنة الدينية في مجلس الشعب المصري د. أحمد عمر هاشم والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

بداية تحدث الدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية قائلاً إنه تم توقيع اتفاق تعاون بين المنظمة وجامعة الأزهر الشريف نظراً لكونها صرحاً علمياً كبيراً، وأضاف: إن هذا التعاون يشمل العديد من الأنشطة والندوات والمحاضرات التي تعود بالفائدة على طرفين.



■ جانب من اللقاء

ثم تحدث رئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم قائلاً: إن هذا الاتفاق بين جامعة الأزهر والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية قد جاء انطلاقاً من أهداف جامعة الأزهر الشريف التي تعني بدراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهاداً أصيلاً لتقديم الحلول النابعة من الشريعة الإسلامية، وتمشياً مع التقدم العلمي المعاصر، وتحديث الأبحاث في المجالات الصحية بصفة عامة والتراثية والفقهية بصفة خاصة، ولتطابق هذه الأهداف مع أهداف المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي تتخذ من الكويت مقراً لها، والتي تحرص على التعاون مع الهيئات الوطنية والدولية التي تعني بنفس الأهداف في أنحاء العالم، وفي ضوء الحاجة المشتركة إلى العمل على تضافر الجهود الطبية والصيدلية والتراثية والفقهية بهدف جمع التراث الطبي الإسلامي وحفظه، ودراسته وذلك للاستفادة منه بعد نشره وتجليته مما علق به من شوائب ومغالطات، وتوعية الشباب المسلم وربطه بتراثه الخالد.

وعقد الندوات والمؤتمرات المشتركة التي تحقق أهداف الجهتين في مجالات اهتمامهما.

وكذلك إجراء الدراسات والبحوث في مجال الفقه الطبي، وجمع العلماء في المجالات المختلفة لدراسة المستجدات الطبية والوصول إلى رأي إسلامي موحد في هذه المجالات.

وإجراء الدراسات والبحوث في المجالات الصحية من أجل تعميق الأسس الإسلامية في مجال الصحة، لتكون جزءاً من السلوك اليومي للفرد في المجتمعات الإنسانية حيثما يوجد الإنسان المسلم، والاستفادة من الثروات الطبيعية التي حبانا الله إياها في العلاج.

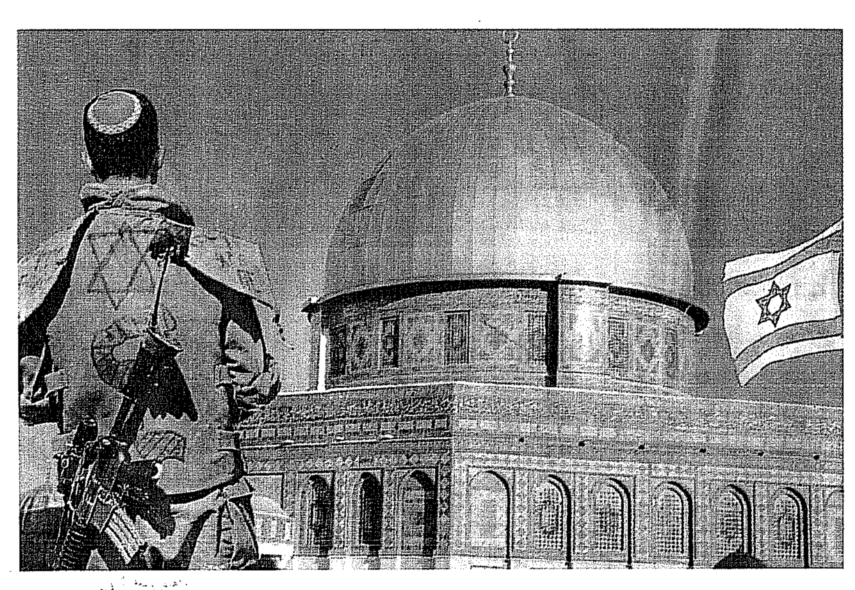
وأشار د. هشام أنه تحقيقاً لذلك كله فقد اتفقت كل من جامعة الأزهر الشريف والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على تبادل المطبوعات العلمية والإنتاج الثقافي لكل من الجهتين وتبادل الخبرات في المجالات التي يراها الطرفان ضرورية لهذه الأهداف، وعلى أن يتبادل الطرفان الدعوات لحضور المؤتمرات والندوات لكل منهما في الأنشطة والدراسات المتعلقة بالمجالات المشتركة وكذلك الاشتراك في إعداد البحوث النظرية والعملية والميدانية في المجالات المختلفة ووضع المؤلفات وترجمة الكتب ذات الاهتمام المشترك، وتشكيل لجنة مشتركة من الجهتين تجتمع سنوياً مرة واحدة على الأقل على أن يتم تحديد مكان الاجتماع وتاريخه مسبقاً، على أن يجري العمل بهذه الاتفاقية من تاريخ توقيعها، وينتهي برغبة أحد الطرفين في إلغائها أو تعديلها شريطة إشعار الطرف الآخر بذلك قبل ستة أشهر.

أكد مفتي القدس الشيخ صبري عكرمة أن إسرائيل جادة في هدم المسجد الأقصى وتفجيره تحت زعم البحث عن آثار الحضارة اليهودية وهيكل سليمان المزعوم، وأعلن مفتي القدس في حوار لـ «الوعي الإسلامي» أن الحكومة الإسرائيلية والمتطرفين اليهود يعملان بتنسيق فيما بينهما لهدم المسجد وما يُقال عن عدم مسؤولية الحكومة افتراء وكذب.

مفتي القدس الشيخ صبري عكرمة لـ «الوعي الإسلامي»:

إسرائيل «دولة» ماكرة وخبيثة ولن تعترف بحقوقنا وعودة القدس سلماً أمر مستحيل

أجرى الحوار في القاهرة
عبدالحي محمد عبدالحي



ذكر مفتي القدس أن إسرائيل تكثف إجراءاتها لتهويد المسجد الأقصى ومدينة القدس وذلك بالتوسع الصهيوني وطالب بضرورة اتخاذ موقف عربي وإسلامي قوي لإنقاذ القدس قبل أن يتم تهويدها بصفة كاملة.

ثم أعلن مفتي القدس أن إسرائيل دولة ماكرة وخبيثة ولا تلتزم بأية مواثيق أو عهود مشيراً إلى أن عودة القدس للمسلمين بالسلام أمر مستحيل.

وندد عكرمة باقتراح «إسرائيل» وطالبها بإيجاد بديل آخر عن المدينة لأن القدس للمسلمين، مشيراً إلى أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لا يرضون بديلاً عن القدس الشريف بحدودها الجغرافية والتاريخية والحضارية.

وهذا هو نص الحوار:

اقتراح إسرائيلي باطل

● **طرحت إسرائيل أخيراً اقتراحاً يقضي بإنشاء مدينة باسم مدينة القدس في الضفة الغربية تكون بديلاً عن مدينة القدس الشريف التي تزعم بأن لها حقوق حضارية وتاريخية فيها، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟**

ـــ نحن نعلن رفضنا لهذا الاقتراح جملة

إسرائيل جادة في هدم المسجد الأقصى وتفجيره

وتفصيلاً، ونحن كفلسطينيين مؤيدين ومعارضين، ننطلق من استراتيجية ثابتة نحو القدس الموحدة غربية وشرقية على أنها عاصمة لدولتنا الفلسطينية، ولن نتنازل عنها قدساً موحدة، نحن نريد القدس الشريف على حقيقتها بحدودها التاريخية والحضارية والجغرافية، نعم القرى التي طرحتها إسرائيل هي قرى مجاورة لمدينة القدس وتخضع للسلطة الفلسطينية إلا أنها ليست ولن تكون بديلة عن القدس، والسبب في ذلك واضح، وهو أن مدينة القدس أمانة في أعناقنا كمسلمين ولا يوجد مسلم واحد



خارج أو داخل مدينة القدس أو فلسطين يقبل هذا الاقتراح، بل يتطلعون جميعاً إلى تحرير المدينة المقدسة. والقول بوجود حقوق تاريخية وحضارية لليهود في مدينة القدس الشريف بصفة خاصة وفي فلسطين بصفة عامة هو محض أكاذيب وافتراءات، وإنني أتعجب أشد العجب من محاولات اليهود الحالية والتي تستهدف تزييف التاريخ بشتى الصور والأقاويل الكاذبة ليوهموا العالم بأن لهم جذوراً تاريخية وحضارية في بلادنا، علما بأنهم لم يحكموا مدينة القدس طوال تاريخها (٥٥٠٠ سنة) إلا ٧٠ عاماً فقط، هذا بالإضافة إلى أنه لم يحدث أن خضعت مدينة القدس طوال الحكم الإسلامي لسيطرة اليهود سوى في العقدين الأخيرين منذ هزيمة ١٩٦٧م. وأنني أؤكد أن اليهود طوال وجودهم في المدينة المقدسة لم يتركوا خلالها أي أثر ثقافي أو حضاري أو تاريخي يذكر.

● ولكن إسرائيل تواصل جهدها الدؤوب في العثور على آثار لها في مدينة القدس، فما الذي وصلت إليه الحفريات التي تجريها إسرائيل في المدينة وما حولها منذ عشرات السنين؟

— هذه الحفريات لم تصل إلى نتيجة إطلاقاً، فمنذ العام ١٩٦٧ وحتى اليوم تواصل مصلحة الآثار الإسرائيلية جهودها المدمرة للبحث عن آثار في مدينة القدس وما حولها زاعمة أنها ستدل على هيكلهم المزعوم، لكنهم حتى الآن لم يجدوا شيئاً ولن يجدوا شيئاً يدل على ذلك. لقد فشلت حفرياتهم وذهبت الملايين التي أنفقوها هدراً، ولكن هذا لا ينفي أننا كمسلمين لم نتضرر، بل العكس لقد تضررت وتصدعت بل وانهارت عمارات وقفية وأثرية إسلامية نادرة تعود إلى تاريخ العصر المملوكي في مدينة القدس.

إجراءات عدة تتخذها «إسرائيل» لتهويد مدينة القدس أبرزها طمس معالمها الإسلامية

تهويد القدس

● نريد من فضيلتكم إلقاء الضوء على الإجراءات التي تقوم بها إسرائيل لتهويد مدينة القدس؟

إسرائيل تقوم بإجراءات عدة وكثيرة لتهويد مدينة القدس أبرزها طمس الهوية الإسلامية والعربية للمدينة، ويأتي ذلك من خلال مصادرة الأراضي العربية، وإقامة مستوطنات إسرائيلية فيها بحيث يزداد عدد اليهود على عدد المسلمين، وكذلك تقوم السلطات الإسرائيلية بمنع المسلمين من بناء مساكن جديدة في المدينة، ثم تفرض ضرائب باهظة على السكان العرب، فضلاً عن أنها تقوم بهدم المنازل العربية لأسباب أمنية ومعمارية واهية، ولا تسمح السلطات الإسرائيلية للعرب بالبناء في المناطق الجديدة، وإقامة مدينة موازية في القدس الغربية حتى يخلخلوا نسبة السكان العرب في المدينة، ويصبح اليهود ثلاثة أضعاف المسلمين، وهذا بالإضافة إلى أن السلطات الإسرائيلية قامت بتغيير أسماء الشوارع والمعالم العربية والإسلامية إلى أسماء يهودية، وتفرض مناهج تعليمية يهودية على الطلاب العرب لتشويه أفكارهم ومعلوماتهم.

● هل فضيلتك راضٍ عن اتفاقيات ومباحثات السلام؟ وهل تعتقد أن القدس ستعود للمسلمين بالسلام؟

أنا غير راضٍ إطلاقاً، لأن إسرائيل دولة ماكرة وخبيثة، ولا تعترف بحقوقنا، ولن تعترف بها في يوم من الأيام، وأنا شخصياً أعتقد أن عودة القدس عن طريق المفاوضات والسلام شيء مستحيل، وأعتقد أن حقنا كمسلمين في القدس حق حضاري وعقائدي حق قوي، ونحن نأمل

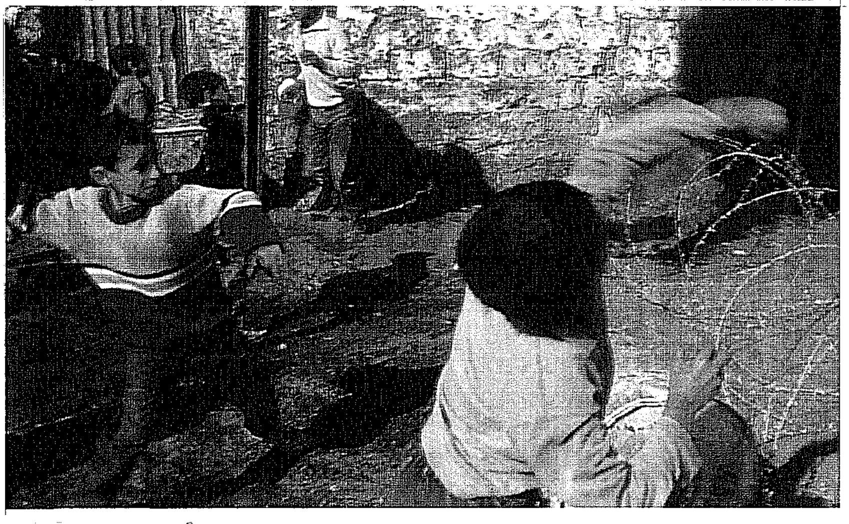
أن تعود القدس إلى سابق عهدها قبل العام ١٩٦٧، وإذا لم تتمكن القيادة الفلسطينية من عودة القدس عن طريق السلام فلن يكون أمامنا إلا الحرب.

● ما تصوركم لوضع مدينة القدس تحت الولاية الفلسطينية؟ وهل لو تم الوضع هكذا ستقومون بحرمان اليهود من التعبد؟

ـــ نحن ننادي أن تكون القدس تحت الولاية الفلسطينية، وأن نتكفل فيها بحرية إقامة الشعائر لكل الديانات السماوية، وهنا أقول إن مقولة إسرائيل إنها حرمت التبعد في القدس بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ عندما كانت الأردن مسؤولة عن المنطقة الغربية لأسباب دينية ليس صحيحاً، بل حرمانها كان لأسباب سياسية، حيث كان العرب حينذاك غير معترفين بإسرائيل، أما الآن فنحن نسمح لليهود أن يأتوا ويصلوا مقابل جدار حائط البراق، وأنا أعتقد أن حائط البراق لم يكن موقعاً للعبادة عند اليهود قبل القرن السادس عشر الميلادي، ولكن التسامح الإسلامي في زمن العثمانيين هو الذي سمح لكثير من اليهود الدخول إلى فلسطين بعد طردهم من أسبانيا، وفي أعقاب الانتداب البريطاني على فلسطين وبعد أن حصل اليهود على وعد بلفور حاولوا الاستيلاء على الحائط، ونجحوا في ذلك العام ١٩٦٧، ولا تذكر كتب الدين اليهودي أي صلة بين العبادة اليهودية والحائط الذي يعد من ضمن أملاك المسلمين في فلسطين.

● من وجهة نظركم لماذا يشتد الصراع والخلاف اليوم حول مدينة القدس بين العرب واليهود؟

ـ أقول إن قضية القدس قضية شائكة وغامضة والشيء المطروح على الساحة السياسية حالياً هو التشدد والتعنت والصلف الإسرائيلي بإبقاء مدينة القدس موحدة، وكذا عدم استعداد إسرائيل للانسحاب من القدس الغربية التي احتلها منذ العام ١٩٦٧ كحد أدنى، ومنذ ١٩٦٧ وحتى الآن وإسرائيل تسعى لإضفاء الطابع اليهودي على المدينة المقدسة وطمس هويتها الإسلامية وأقول إن مدينة القدس هي مفتاح السلام في منطقة الشرق الأوسط إذا توصل الفلسطينيون إلى اتفاق



مرضٍ في المفاوضات، ولكن إذا أصرّ اليهود على إبقاء مدينة القدس موحدة، ولم يستجيبوا لمطالبنا فستكون مدينة القدس هي مفتاح الحرب والتوتر خصوصاً وأن المدينة تمثل جزءاً كبيراً من عقيدة المسلمين، ويرتبط بها ما يزيد عن مليار و ٢٠٠ مليون مسلم، ولا يمكن أن نقبل بالأطاريح الإسرائيلية التي تتنكر لحقوق المسلمين في المدينة، وكما هو معلوم فإن العرب والمسلمين حكموا مدينة القدس خمسة عشر قرناً من الزمان باستثناء فترتين قليلتين أحداهما فترة الحروب الصليبية، وهم يصرون اليوم كما أصروا بالأمس على أن تعود مدينة القدس عربية وإسلامية.

● ما الإجراءات التي تتخذها إسرائيل لتهويد المسجد الأقصى؟ وهل الحراسة التي تفرضونها على المسجد كافية لتأمينه؟

ـ إسرائيل تقوم بمحاولات عدة لتهويد المسجد الأقصى من خلال مخططات تنفذها الحكومة الإسرائيلية أو المتطرفون

نحن نريد القدس الشريف على حقيقتها بحدودها التاريخية والحضارية والجغرافية

الصهاينة أو الاثنان معاً، فعلى سبيل المثال تواصل الحكومات حفرياتها أسفل المسجد الأقصى وفي أحياء مدينة القدس القديمة بدعوى البحث عن هيكل سليمان المزعوم وآثار الحضارة اليهودية، بينما يقوم المتطرفون بالتأثير والضغط على الحكومة الإسرائيلية للسماح لهم بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى بدعوى أن الهيكل يقع أسفل المسجد طمعاً في تقسيم المسجد الأقصى على غرار تقسيم المسجد الإبراهيمي، ولكن نحن والحمد لله لدينا حراسة علنية وخفية تتكفل بعدم تكرار أية أحداث عنف إسرائيلية داخل المسجد ونحن واعون لذلك ولكن وعينا قد لا يحول دون قيام متطرفين يهود أمثال تنظيم أبناء يهوذا الذي حاول تفجير المسجد الأقصى في يناير [illegible] ١٦٠ من هدم المسجد الأقصى و[illegible]يره لأن إسرائيل جادة في ذلك بل وتؤي[illegible]

● ماذا تحتاجون من شعوب وحكام العالم العربي والإسلامي تجاه قضية القدس؟

ـــ نحن نحتاج لعمل عربي إسلامي ملموس تجاه قضيتنا، لا نريد تصريحات صحافية بل نريد دعماً لبناء بنيتنا التحتية، ودعماً للمؤسسات العربية والإسلامية في المدينة المقدسة حتى نستمر ونثبت ونحافظ على الطابع الإسلامي للمدينة، وكما نحتاج إلى دعم مادي نحتاج أيضاً إلى دعم سياسي دبلوماسي في المحافل الدولية حتى تنتصر قضيتنا العادلة. ■

الحماية الجنائية لحقوق الملكية الفكرية

فكر

يختص رب العالمين -جل وعلا- بإمتلاك الكون الذي اوجده بقدرته يقول تبارك وتعالى: ﴿انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون﴾ [يس/٨٢] وملكيته سبحانه وتعالى لاحدود لها يقول عز وجل: ﴿ولله ملك السموات والارض ومابينهما﴾ [المائدة/١٧] وقوله سبحانه: ﴿لله ملك السماوات والارض ومافيهن﴾ [المائدة/١٢٠]، وقوله سبحانه: ﴿له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور﴾ [الحديد/٥].

بقلم: د. رضا عبد الحكيم

والانسان خلقه رب العزة من العدم يقول تبارك وتعالى: ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ [الانسان/١] ثم سواه على احسن ماتكون عليه مخلوقاته يقول علت منزلته: ﴿لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم﴾ [التين/٤] وانعم عليه بالرزق متاعا له إلى حين يقول تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدروفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع﴾ [الرعد/٢٦] ولان الله تبارك وتعالى اراد للانسان ان يكون كذلك بحبه للمال قال تعالى: ﴿ويحبون المال حبا جما﴾ [الفجر/٢٠] ملكه تعالى من ملكه ليختبره فيه يقول سبحانه وقوله الحق: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ [الانعام/١٦٥]. والامر كذلك فقد صارت الملكية حقا للانسان يجري عليها مايجري على الحقوق من واجبات شرعية في المقابل، ومهما طال الزمن باستئثار الانسان بحق التملك، لابد وان يزول عنه ليسأل أمام رب العزة عن تبعية ذلك الحق يقول سبحانه ﴿إن إلينا ايابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ [الغاشية/٢٥و٢٦].

وحق الملكية بوصفه مادة من مواد الاختبار في الحياة الدنيا كفل الشارع تبارك وتعالى هذا الحق واوجب حمايته ضد الاعتداء بغية تحقيق حكمته الشرعية في الابتلاء والشريعة الغراء -كما هو معلوم- اثمت انتهاك حق الملكية ايا كان شكل هذه الملكية وطالما دخل التصرف الانموذج التشريعي المعاقب عليه حداً او تعزيزاً بحسب الاحوال. وتوضح السطور التالية على نحو خاص موقف السياسة الشرعية من الاعتداء على حقوق الملكية الذهنية او الفكرية والشائع تسميتها في الفكر المعاصر بحقوق المؤلف.

الفكر خصيصة إنسانية وعنصر جوهري في التكوين النفسي للإنسان لأنه مخلوق مفطور على التفكير

الحقوق الذهنية والفكرية

الفكر خصيصة انسانية، وعنصر جوهري في التكوين النفسي للانسان لان الله اراد ان يكون الانسان كذلك مخلوقا مفطورا على التفكير يقول تبارك وتعالى: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ [يونس/٢٤] وقوله سبحانه ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والارض﴾ [آل عمران/١٩١] وحكمة المتعال في منح الانسان تلك الخاصية لاتحتاج الى تفسير، اذ لاعقاب ولاثواب الا من خلال التفكير باعتباره المحرك الى التصرف او السلوك فأعمال الانسان لابد وان تكون مسبوقة بالتفكير والانسان بحكم انه انسان، يملك السيطرة على هذا الداخل النفسي فيوجهه حسبما يشاء، يقول عز وجل ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً واماكفورا﴾ [الانسان/٣]. تلك هي معجزة الله في خلقه للانسان حيث ملكه تبارك القدرة الفكرية، فما الذي فعله الانسان بهذا الملك؟ وهل كان حريصاً على حقوق الله الذي منحه حق التفكير في حياته الدنيوية القصيرة؟!..

والانسان الذي خصه الله تبارك وتعالى من ملكه الاشياء المادية، ملكه كذلك التفكير ومحصوله مردود عليه كما يرتد الشيء

المادي على مالكه،فالابتلاء والاختبار يصدق على الشيء المملوك مادياً كان ام معنوياً.. فإلى أي مدى يمكن وصف الحصيلة والافراز والانتاج الذهني بانه حق ملكية يجري عليه مايجري على سائر حقوق الملكية في الشرع الحنيف؟!

يرى شراح القانون الوضعي ان الملكية هي حق معترف به لشخص على شيء معين بذاته، وان الملكية تمنح صاحبها سلطات على الشيء المملوك، كالبيع والرهن وغيرها.وملكية الشيء كحق عيني ترتب التزاما على الغير قبل المالك باحترام حقه وعدم الاعتداء عليه، فهناك واجب عام يقضي باحترام حقوق الغير فحق الملكية من الحقوق التي يحتج بها على الكافة، وملكية الشخص للشيء تقيد سلوك الغير اذا اراد ان ينال من هذا الشيء. والملكية على المعنى المتقدم ترد على كيان مادي لشيء من الاشياء المرئية والمجسمة التي لها كتلة ووزن، فتمتد الملكية الى عقارات او منقولات اياً كانت صورتها.. واذا كان مفهوم الملكية هكذا عند شراح القانون المعاصرين، فإن المنتج الذهني لايمكن ادخاله ضمن حقوق الملكية والتي تخول لصاحبها كل السلطات على الشيء محل الملكية في استعماله او استغلاله او التصرف فيه.

وعند استقصاء تعريف الملكية في الفقه الاسلامي الاصيل يتضح ان القرافي- وهو من فقهاء المذهب المالكي- يقرر بأن الملكية «حكم شرعي مقدر وجوده في اعين اومنفعة يقتضي تمكين من اضيف اليه من الاشخاص من الانتفاع بالعين او بالمنفعة، او بالاعتياض عنها مالم يوجد مانع من ذلك، وقد اعتنق فقهاء الشافعية ذات التعريف، فقرر بعضهم بخصوص الملكية بأنها حيازة الشيء متى كان الحائز قادراً -وحده- على التصرف فيه، والانتفاع به عند عدم المانع الشرعي... ومن منظور اوسع واعم عند الحنفية يقرر الكمال ابن الهمام ان الملك هو القدرة على التصرف ابتداء الا لمانع ويضيف ابن نجيم الحنفي ان الملك هو الاختصاص الحاجز.. والظاهر عند الفقه الحنفي انه لم يقيد نفسه بأشكال التملك، فوضع تعريفاً واسعاً للملكية الأولى بالقول عنها «القدرة» والثانية القول عنها« الاختصاص» ومن شأن اعتناق التعريف الذي اتت به الحنفية ان يصبح الافراغ الذهني الصادر عن الفكر الانساني، من ضمن حقوق الملكية بوصف المنتج الفكري صورة خاصة من صور الملكية، وبذلك تدخل الحقوق الذهنية في نطاق الحقوق العينية، ويجري عليها بالتالي مايجري على الحقوق العينية من احكام الامن فروق طفيفة ناتجة عن طبيعتها المعنوية.

«الحماية الجنائية لحقوق المؤلف في النظم التشريعية المعاصرة»

النظرة الضيقة لمفهوم حق الملكية عند انصار القانون الوضعي، كان لها انعكاس سلبي على سياسة العقاب على التصرفات المضرة بحقوق المؤلف، وهذا يفسر الاتجاه التشريعي حديثاً بابتداع نظام تشريعي خاص لحماية حق المؤلف، ضد الانتهاك.... فحقوق الملكية الفكرية -على المستوى الدولي- كان لها مساحة كبيرة في الاتفاقات الدولية، كإتفاقية «برن» لحماية حقوق المؤلف واتفاقية «روما»لحماية حقوق المجاورة واتفاقية «باريس »لحماية الملكية الصناعية واتفاقية «واشنطن » للدوائر المتكاملة والمنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية«الوايبو» هذا وقد كشفت اتفاقية الجات التي عقدت اخيراً ان الدول المتقدمة لم تجد في هذه الاتفاقات مايكفي طموحاتها في تحقيق معدلات اعلى لحماية مجالات حقوق الملكية الفكرية.. وعلى المستوى العربي يسجل لمهرجان القرين الثقافي الكويتي المرافق لأنشطة معرض الكتاب العربي، الذي انعقد في شهري نوفمبر وديسمبر١٩٩٥.. ان تضمن برنامجه موضوع الحفاظ على حق المؤلف والمقصود بالمؤلف كل صاحب انتاج فكري او ذهني في الاداب والفنون والعلوم.. والافراغ الذهني -في سبيل استغلاله- يكلف صاحبه به هيئات متخصصة تنهض على طبع المصنفات الفنية والثقافية«مسموعة، مرئية، مقروءة» وتلك الهيئات تخضع لرقابة الدولة، على الاقل لتحصل ضريبة المبيعات المقررة على اشرطة الفيديو كاسيت والكاسيت الخام والمسجل.

عموماً ملامح سياسة التشريعات الوضعية، في نطاق الخطوط العامة التي ركزت عليها الاتفاقيات الدولية.. ترمي الى مايلي اولا: اعتبار المنتج الفكري بمجرد افراغه في اي شكل من اشكال التصنيف، مجرد سلعة تجارية، فلايملك صاحب الحق ان يباشر اي صورة من صور استغلال حقه الفكري- انتاجاً او نسخاً او تصويراً او تسجيلاً او تداول المصنف- الا بعد الحصول على ترخيص من الدولة .

ثانياً: بيان انماط الاعتداء على حقوق المؤلف كنشر المصنف واستغلاله مالياً دون موافقة المؤلف او من منحه المؤلف حق الاستغلال المالي للمصنف، كذلك ترجمة المصنف الى لغة اخرى او اجراء تعديل في مادته، ايضا تعديل او تغيير عنوان المادة التي يحتوي عليها المصنف.. وهكذا.. والحصول على موافقة المؤلف مسبقاً تنفي عن التصرفات السابقة الصفة غير المشروعة.

ثالثا: معاقبة المؤلف الذي لم يتحصل على ترخيص من الدولة لمباشرة حقوقه بعقوبة من جنس العقوبات المقررة حيال المعتدين على حقوقه، وهي الحبس والغرامة.. ويمكن القول- طبقاً لذلك- ان القوانين الوضعية قد تشددت مع المؤلف الذي لم يتحصل على ترخيص من الدولة كي يباشر حقوقه في حين كانت هذه القوانين غاية في الرحمةوالسماح حيال المعتدي على حق المؤلف.. وهو بيت القصيد.. ومنتهى القول ان سياسة التشريعات الوضعية لم يصادفها النجاح في التصدي للجرائم الناشئة عن الاعتداء على حقوق الملكية الفكرية.. وذلك لجملة اسباب، في مقدمتها المنظور الضيق لمفهوم حق الملكية، والذي نجم عنه عدم ادخال الحقوق الذهنية والفكرية ضمن حقوق الملكية. بل والامر أبعد من ذلك حيث عاملت السياسة التشريعية الوضعية حقوق المؤلف كما لو كانت تلك الحقوق سلعة تجارية، فانتهت الى ضرب نظام عقابي غير قادر على تحقيق

الملكية حق معترف به لشخص على شيء معين بذاته تمنح صاحبها سلطات التصرف في الشيء المملوك

الهدف من العقوبة.. والحاصل الآن ان المجتمع الدولي يراقب انعقاد مؤتمر جديد واتفاقيات جديدة بهدف رسم سياسة عقابية جديدة عسى ان تفلح في التصدي لجرائم الاعتداء على حق المؤلف..

عقوبة الاعتداء على حقوق المؤلف في السياسة الشرعية

الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام- هو أول من تحدث في قيمة الفكر الانساني متى افرغ في مستودع علمي تتوارثه الاجيال، اذ يقول -صلوات الله وسلامه عليه-فيما رواه احمد ومسلم:« اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

ويحمد للخلف الصالح من زعماء أمة المسلمين تعقب سنة سيدنا محمد الذي كان لاينطق عن الهوى، وجمعها وتصنيفها وتحديد سندها، واتخاذ مايلزم من اجراءات كفلت حماية سننه -عليه الصلاة والسلام- ضد التحريف او التعديل او الحذف او الاضافة. فالسنة قد حفظت بفعل المخلصين من الاولين والذين اودعوا سنة سيد ولد آدم -صلى الله عليه وسلم- في صحف فرضوا عليها رقابة صارمة لحمايتها على مدى الزمن، كما حفظ رب العزة قرآنه القائل فيه تبارك وتعالى:﴿ بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾[البروج/٢١و٢٢] وقوله عز وجل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[الحجر/٩]، ولن يصيب قرآنه المجيد التحريف كما حدث في صحف القرون السابقة عند اليهود والنصارى يقول المتعال ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[النساء/٤٦] وقوله سبحانه﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾[المائدة/١٣]، وقوله تبارك﴿افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون﴾[البقرة/٧٥].

وعوداً على بدء ان الفقه الاسلامي الراجح- وهو ما سبق ذكره- يتسع لديه مفهوم حق الملكية، مما يجعل من المنطقي وصف الانتاج الذهني الذي يفرزه المفكر، بانه من ضمن تلك الحقوق.. فالمنتج الذهني متى بثه صاحبه عارضاً اياه انما يعرض ممتلكات له ينبغي ان تلقى حماية جنائية تتفق مع قيمتها التي ترفع من قدر صاحبها بفضل منفعتها لبني الانسان وصدق الرحمن اذ يقول﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾[المجادلة/١١]..

والحماية الجنائية في شرع الله لاتأخذ الوقائع الاجرامية- كما هو معلوم- بشكل فلسفي وانما تأخذها بمعايير ثابتة وظاهرة للعيان، مطروحة من لدن الحي القيوم، ولذلك كانت واضحة كوضوح الشمس.. فإذا ماانتهينا الى ان الانتاج الفكري حق من حقوق الملكية فانه -والحال كذلك- يجب حمايته بنظام الحماية المقرر للمتلكات جميعاً فاذا فصلنا انماط الاعتداء على حق المؤلف حسب تقسيمات انصار القانون الوضعي، يتضح اختلاف النماذج التجريمية في افعال الاعتداء، فنشر المصنف واستغلاله دون علم صاحبه، انما هو سرقة بمعنى الكلمة، فالسرقة عند جمهور الفقهاء «اخذ المال خفية» ويقصد بالخفية استلاب المال وهذا هو معنى الاختلاس الذي يستخدمه شراح القانون الوضعي في تعريفهم للسرقة انها «اختلاس مال منقول مملوك للغير». والتشريع الوضعي لم يلحظ التفرقة بين النموذج المتقدم ونماذج الاعتداء الاخرى، كما في ترجمة المصنف الى لغة اخرى او تعديل مادته او تغيير عنوان المادة... الخ.. اذ خلط المشرع الوضعي بين نماذج التجريم فساوى بين جميع صور الاعتداء مقرراً عقوبة الحبس والغرامة.. وهذه العقوبة وان كانت تحقق الهدف منها في صور الاعتداء على حقوق المؤلف عموماً، الا انها تحقق اهدافها بالنسبة لتصرف الجاني بنشر المصنف واستغلاله دون علم صاحبه، فهو سارق، جريمته في الاسلام جريمة حدية تستوجب تطبيق شرع الله تبارك وتعالى عليه، القائل وقوله الحق:﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾[المائدة/٣٨]. فالسياسة الشرعية لم تفرق فحسب بين صور الاعتداء على حقوق المؤلف باعتبار ان منها نماذج تدخل الى الحدود الشرعية واخريات تعد من التعازير، بل تفرق كذلك بين جرائم الاعتداء على حقوق المؤلف عموما والجرائم التي تقع من المؤلف في حين ان السياسة التشريعية المعاصرة لم تفرق بين هذا وذاك فانتهت إلى تقرير نظام عقابي لايكفل حماية حقوق الملكية الفكرية.

وصدق رب العالمين حيث يقول:﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[الانبياء/٤٧]. ■

المؤلف هو كل صاحب انتاج فكري أوذهني في الأداب والفنون والعلوم

المراجع...

-أمهات الكتب في الشريعة:

الكمال بن الهمام، فتح القدير، الجزء الخامس ص ٧٤- ابن نجيم الحنفي البحر الرائق، الجزء الخامس ص٢٧٨- القرافي، الفروق، الجزء الثاني ص٢٠٨- الاشباه والنظائر للسيوطي ص ٢٨٦ فقه السنة للسيد سابق المجلد الاول.

-مؤلفات عامة:

د. محمد يوسف موسى، الاموال ونظرية العقد في الفقه الاسلامي، طبعة سنة ١٩٥٢ د.جميل الشرقاوي النظرية العامة للالتزامات ،دار نافع للطباعة، ١٩٧٠ عبد الرازق احمد السنهوري،الوسيط في شرح القانون المدني «نظرية الالتزام بوجه عام» القاهرة ١٩٦٦- عبد الحي حجازي، النظرية العامة للالتزام الجزء الاول -مصادر الالتزام القاهرة١٩٦٠- انور سلطان، الوجيز في النظرية العامة للالتزام، الجزء الاول، مصادر الالتزام ١٩٦٤- د. رؤف عبيد، اصول علمي الاجرام والعقاب، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الخامسة ١٩٨١ د. عبد العزيز عامر، التعزير في الشريعة الاسلامية، الطبعة الثالثة- محمد ابو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي- د. مأمون محمد سلامة- قانون العقوبات، دار الفكر العربي ١٩٨٣

-متنوعات:

مقال د. احمد عبد الرحيم السايح، بعنوان« حق الله وحق الانسان في المال» مجلة منار الاسلام ،العدد٣ السنة ٢٢ ربيع الاول ١٤١٧ هـ يوليو١٩٩٦- مقال المستشار جمال الدين جودة اللبان، بعنوان« املاك الدولة في صدر الاسلام» الجزء الرابع السنة ٦٨ ،ربيع الآخر ١٤١٦هـ سبتمبر ١٩٩٥- كتيب الإدارة العامة لمباحث الضرائب والرسوم الصادر عن قطاع الامن الاقتصادي في وزارة الداخلية المصرية١٩٩٥ القانون رقم ٣٥٤لسنة١٩٥٤ الخاص بحماية حق المؤلف المعدل بالقانون رقم٣٨ لسنة ١٩٩٢.

مسلسلات الدراما «التلفازية» ومبادىء التأسيس الإسلامية

اعلام اسلامي

تُمثّل مُسلسلات الدراما التلفازية، حيّزاً كبيراً من اهتمامات الناس، نظراً للمساحة الزمانية التي تحتلها، إذ تبلغ مدة بث تلك المسلسلات أغلب أوقاتهم، فضلاً عن كونها تُبثّ في أوقات حسّاسة، تشد الأنظار والأفئدة، على اختلاف درجات وعيها ومستوياتها الفكرية والاجتماعية، الأمر الذي هيأها لكي تكون خصماً عنيداً وبديلاً عن الكتاب والمجلة والإذاعة نفسها.
إن هذه الحقائق تجعلنا أمام مسألة شديدة الخطورة والتأثير في بنية المجتمع، فمن المؤكد أن هذه المسلسلات صارت على درجة معتبرة من القيمة في توجيه ملامح التغيير الاجتماعي نحو آفاق وأذواق محددة، والتأثير في السلوك العام والخاص المتعلقين بحياة الفرد والعائلة والمجتمع بصفة عامة.

بقلم: محمد حسن بدر الدين

ولقد عملت تلك المسلسلات، بأطاريحها المختلفة، وقضاياها الموجهة، على إحداث تغييرات مختلفة المظهر الداخلي والخارجي في بنية الأسرة العربية الإسلامية، وتشكيل العقليات والأذواق، فلقد أصبحت القصص وأساليب عرضها ذات تأثيرات فعّالة في كلام الناس، وحواراتهم وتحارير الطلاب وتعبيراتهم.

على أن هذا التأثير يتسم بالإشعاع المزدوج أو السلاح ذي الوجهين، فالبناء الدرامي المرتجل والمضمون الهزيل، يقدمان بلا شك نتائج عكسية تؤثر سلبياً في أنماط السلوك والثقافة اليومية.

لقد أجريت بعض البحوث حول تأثير لغة المسلسلات على طلاب المدارس الابتدائية والإعدادية، أكدت أن المحصول اللغوي، والزاد المعرفي، والسلوك الاجتماعي، تأثرت كلها بلغة المسلسلات وإشعاعاتها، إلى درجة أن الطالب صار يستحضر مقاطع وهياكل لغوية كاملة في سبيل بلورة أفكاره التحريرية والشفهية.

إن مشكلة هذا التأثير أنه لا ينبع من سياسة رشيدة، توجه أذواق الناس وتمدهم بالقيم والسلوكيات الصالحة وفق خطة إعلامية مدروسة.

ومن المعلوم أن وسائل التأثير الإعلامي باعتبارها فناً وفكراً، من أهم عوامل تنشيط الواقع الثقافي وتكوينه وتأسيسه في أي بلد من العالم، لا يمكنها أن تنطلق من فراغ، بل ترتكز ـ بالضرورة ـ على واقع ثقافي واجتماعي تقوم بتمثيله وتركيزه، أو تروم إصلاحه وتوجيهه.

ويفترض في القائمين على أجهزة التأثير المختلفة أن يكونوا على علم ودراية بمكونات هذا الواقع، وينطلقون من خطة فكرية لخدمة أهداف علمية وثقافية، إما عامة وإما خاصة مثل إيصال المعلومات إلى الناس في فنون مختلفة، أو رفع مستوى التفكير لديهم، أو النهوض بخدمة قضايا محددة تهم واقع البلاد اقتصادياً وفكرياً وجمالياً.

ومن المعلوم أيضاً أن جميع النظم في العالم قامت على هذا التأسيس الاجتماعي والثقافي، فالشيوعية التزمت على امتداد سبعين عاماً من نفوذها، بخطوط عامة حدّدت مسارها لبلوغ أهدافها والتأثير في الناس، ورغم أن هذا التوجه كان قهرياً إلا أنه صنع من روسيا ـ مثلاً ـ أعظم دولة في العالم في ميادين التحكم في المعلومات والنشر والترجمة والتوزيع، أما الرأسمالية، فقد اتخذت من الليبرالية وسياسة الباب المفتوح مجالاً واسعاً لنشر أفكارها وترويجها في العالم عبر مختلف وسائل القول والتبليغ.

> **الشيوعية حددت مسارها بالتحكم في المعلومات والنشر والتوزيع اما الرأسمالية جعلت المجال مفتوحا لنشر افكارها وترويجها**

فهل يعجز المسلمون وحدهم عن وضع خطة علمية مماثلة في تحقيق أهداف مرسومة، تضطلع بدور قويم في نشر أفكارهم وعقائدهم، ومعالم تراثهم، من خلال فنون الإرسال المتعددة، لأنفسهم أولاً قبل الوصول إلى الآخرين؟

لا توجد بلورة رشيدة لهذا التوجّه في فنون المسرح والسينما (والتلفزيون)، بل خضعت الأعمال الفنية لضروب من المزايدات من أجل الإثراء السريع بغض

النظر عن قيمة الإنتاج المقدم، وبعيداً عن المبادىء والقيم الإسلامية والإنسانية.

لقد ساهمت النزعة المادية، وقيام أصحاب المنافع الخاصة بالسيطرة على قطاع الإنتاج الدرامي ـ مثلاً ـ في انتشار مسلسلات رديئة وهزيلة، لا تحتكم إلى وعي ديني أو وطني مسؤول، فأصبح الكم هو المهيمن على حساب الكيف، وصارت الموضوعات تجارية، فمادام زمن العرض هو المعتبر فلا مانع أن يُملأ هذا الزمن بالحشو والتكرار والمقدمات الغنائية الطويلة، وتمطيط المشاهد، مما يُضيع الأهداف والجهود ويفتح أبواب المتاجرة والخداع.

وأمام هذا الواقع لابد من التفكير في تقديم مواصفات جديدة للعمل الدرامي والفني على وجه العموم، تقوم على جملة من القيم والأصول، ترتفع بالأذواق وترقى بالأشواق إلى آفاق جمالية وإيمانية هي سبيلنا بالتأكيد في النهوض بواقع الأسرة والمحافظة على قيم الولاء لله والإخلاص لمستقبل الوطن.

تجاوز مظاهر الشكوى إلى مواقع البدائل:

من ملامح الإيجابية والواقعية في الإسلام أنه لا يُحبِّذُ مسالك التبرم والشكوى التي لا تفضي إلى عمل ملموس، وكثير من الناس لا يتمثلون هذه الروح الإسلامية رغم صدق إيمانهم، فتراهم يهيمون في أودية النقد وشكوى الزمان، دون النهوض بأي عمل يُساهم بمقدار ـ ولو ضئيل ـ في إزالة بعض مظاهر الرداءة السائدة، فمعظم المسلمين يُبدون تبرماً واضحاً في استقبال المواد الإعلامية في أوطانهم، ويشعرون إزاءها بكثير من الرفض وعدم الولاء، ولكنهم لا يخرجون من دائرة أضعف الإيمان، إلى مواقع العمل البناء والتخطيط لتقديم البدائل المتاحة، ولو طُلب منهم المساهمة في التدبير والعلاج، لوجدوا أنفسهم خارج مواقع الاستعداد، إن مطلب إعداد العدة مسلك قويم زكاه القرآن، ودعا إليه في عدة مواضع، ومن الصور الإسلامية المعاصرة التي تمثلت هذا المطلب، والتي تصلح نموذجاً في الاقتداء، ما فعله حزب الرفاه التركي أمام واقع القنوات التي تبث كثيراً من مظاهر المجون، فعمد إلى تأسيس قناتين إسلاميتين تبثّان العلم والهدى، فتحول معظم الناس إلى متابعتهما بكثير من الولاء والتفاعل.

نحو إحلال القيم الأخلاقية المقام الأول في برامج التلفاز:

من المؤكد أن القواعد الفنية المتعلقة بالكتابة والإخراج، من الأمور اللازمة في المواد الإعلامية المختلفة، ولكنها في التقدير النهائي محايدة، لأنها ذات صلات بالمسائل الجمالية والتشويقية، والتركيز عليها في مقابل تغييب القيم التربوية الرشيدة، يُفقد التلفاز كل عمل بناء ويحوّل رسالته إلى ألعاب وتسالٍ جوفاء.

إنه الإرشاد إلى أهمية استقرار المجتمع، يحتم على أفراده أن يتمتعوا بمقدار معتبر من الوعي الديني، والصحي والنفسي والعلمي، ويكفل تحقيق النشاط المثمر، وإقامة علاقات سويّة مع الآخرين، ولا يكون ذلك إلا في رحاب عقيدة مثلى وفكر سليم، يحققان السلامة مع النفس والمجتمع.

والدين الإسلامي باعتباره وعاء شاملاً للإيمان والأخلاق والعمل الصالح، هو الطريق الوحيد لسيطرة العقل على الغريزة، ونشدان التآخي والمودة بين الناس.

الاسلام هو الطريق الوحيد لسيطرة العقل على الغريزة ونشدان التآخي والمودة بين الناس

ولا شك أن المسلسلات الدارمية بما تملك من قدرة على التأثير، من الضروري أن تتوجه نحو هذه الأهداف والغايات فتستفيد من مرجعية الدين وقدرته على التجميع والإصلاح، وتستهدي من تعاليمه في بث قيم الرشاد والخير في مقابل المعالجات المادية التي طرحت رؤى وحلولاً بائسة، زادت في حيرة الناس وشقائهم. لماذا لا نرى بطل القصة أو المسلسل خاضعاً لطرائق المعالجة والرؤية الدينية، بحيث تحصل الفكرة لدى المشاهدين بأن المبادىء السماوية والروحية تستوعب مجالات الحياة الاجتماعية كلها، وتغطي معظم قضاياه في كنف الاستقرار والطمأنينة، وتملأ حياة الأفراد والجماعات بالأمن والعلم.

إن هذا التصور الشامل يُنقذ ـ ولا شك ـ مسلسلات الدراما من التعطيل والجمود الذي ينطوي على الحوار الجافّ والمشاهد الهزيلة، التي تصور الحياة بمنظار مادي ضيق، وتحصر دوائر الاهتمام في الصراع الاجتماعي، من أجل الإشباع المادي وتحقيق الرفاه، في غياب الإشراق والتطلعات السامية التي تقود إلى رحاب البحث في حقيقة الحياة كلها ورسالة الإنسان فيها.

إنَّ تعبئة الجهود من أجل تقديم تشخيصات جدّية ـ وأعمال فنّية رائدة تخدم الناس وقضاياهم الحقيقية، ـ تمثل النجاح الفعلي لرسالة التلفاز في المجتمع ونصرة أهدافه وتطلعاته.

وفي سبيل بلورة أهداف سديدة للمسلسلات الدرامية والأعمال الفنية عامة يمكن عرض جملة من القيم تصلح أن يستلهم منها كتاب الدراما، قضايا اجتماعية ثرية في الصياغة والحبكة، وملء أجواء القصة، وشد انتباه الناس، لأن الروايات والأعمال الخالدة إنما نجحت بفضل عمق المضمون، والغوص في أعماق النفس البشرية، لوصف مظاهرها وأسرارها، وتحويلها إلى نبض حيّ وفعاليات إيمانية دافعة إلى فعل

الخير ومساهمة في سعادة الإنسان أينما كان.

والعناصر المقترحة لهذه المعالجة تتعلق بطبيعة الإنسان نفسه باعتباره المحور الأساسي في كل عمل أدبي وفني، ولا شك أن خير من عبر عن هذه الطبيعة الإنسانية هو الإسلام، في ما زوّدنا به من أساسيات الصحة النفسية وقواعد العلاج الإيماني.

القيمة الأولى: ملء حياة الناس بالرجاء والأمل:

يتضمن مبدأ التوبة مفهوماً سامياً، يتعلق بشكوى النفس طلباً للغفران، والتحرر من عقدة الشعور بالذنب، وكثيراً ما يستعمل الفرد وسائل دفاعية مختلفة، للتخلص من هذا الشعور مثل الكبت والتحويل والتبرير، ولكنها مسالك غير مجدية، لأنها غير مرتبطة بصور الاعتراف، والاقلاع عن الذنب، ومن أسرار القرآن الكريم أنه يربط دوماً بين التوبة والطهارة في مثل قوله تعالى: (إن الله يُحب التوابين ويحب المتطهرين) [البقرة :٢٢٢]، وهو حين يدعو إلى التطهير الروحي، والتحرر من قيود الغرائز لا يتغافل عما في الإنسان من دوافع تقوده نحو الخطيئة، ولكنه يقرر حقيقتين الأولى: أن الإنسان مسؤول عما يفعل، والثانية: أن باب التوبة مفتوح كي يفجر في أعماق الإنسان الإحساس بالمسؤولية، ويفسح المجال أمامه لتجديد مسار حياته.

ومن المؤكد أن التعمق في صياغة هذه المعالجة الإسلامية للفعل الإنساني، تمثل مادة ثرية أمام الكتاب، كي تُشخّص في مواقف وأحداث إنسانية متوترة، تؤدي إلى التشويق والإثارة، خاصة إذا وردت على لسان بطل الرواية في حركات تمثيلية صادقة، تؤكد تفريغ ما بالنفس من انفعالات ومشاعر آثمة تريح الفرد، وتحقق توازنه وتعطيه أملاً في الانفراج، وتأكيد الذات، في مقابل المعالجات الدرامية البائسة التي تقود إلى الانتحار والمخدرات والسقوط، وكأن رسالة الدراما التلفازية متخصصة في ملء حياة الناس باليأس والإحباط.

ولا ريب أن تعاون التأليف والإخراج - في فهم هذه التوجهات الإسلامية، والاحتكام إلى مرجعيتها - كفيل بتقديم مادة إنتاجية قويمة، تحترم نفسها ويحترمها الناس، وتخرج إنتاجنا من داء العبث والخداع الفني إلى مستويات الإشعاع الثقافي المستنير، والثقة بالنفس، وهي نقلة مهمة، ندعو الفكر الإسلامي الحديث إلى الاهتمام بها، والنضال من أجل تكريسها في الواقع، لأن تحقيق بوادرها يحتاج إلى جهود ومساهمات تفرض نفسها بمستواها الرفيع، فيحصل منها نفع عميم لجماهير عديدة وأجيال كثيرة.

القيمة الثانية: الاستبصار الذاتي:

يُقرر القرآن الكريم، أن منزلة الخلافة التي تبوأها الإنسان، جديرة بأن تدفعه إلى فهم الأسباب المؤدية إلى سعادته أو شقائه في الدنيا، وأنه زوّد بقدرات خلاقة، تهيئه لإدراك الدوافع التي تقود إلى الاضطراب والضلال، وفهم ما في نفسه، من خير وشر، وبعبارة جامعة يدعو الإسلام إلى نمو الذات البصيرة، إذ من دونها لا يحقق الإنسان أي لون من ألوان الترقي والسمو، بل إن الدعوة إلى الله لا تكون إلا على بصيرة «يوسف ١٠٨».

خلافة الانسان في الارض جديرة بدفعه الى فهم اسباب سعادته وشقائه

إن التأكيد على منزع التعالي باعتباره من الأهداف الكبرى التي ينبغي أن تملأ حياة الإنسان، وتقوده إلى الفلاح، يمكن أن تصبح في المعالجات القصصية مصدر توعية تدعم فكرة الارتفاع بقضايا المسلسلات، وتعمق الرؤية في تحريك الشخصيات، ورسم ملامحها وهي تواجه قضايا الحياة بحزم وسمو.

القيمة الثالثة: تأصيل الشعور الديني:

يظهر الشعور الديني في الإنسان، باعتباره فطرة منقوشة في كيانه، حين تشتد عليه وطأة الأحداث، ويحدوه اليأس من قوّته وماله وجاهه، فيجد لديه باعثاً فطرياً يدفعه إلى التضرع، والالتجاء إلى الله تعالى، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الدليل الفطري في سياق البرهنة على فطرية الإيمان، ووجود الخالق سبحانه وتعالى، واعتباره ملاذ المضطرين وملجأ الداعين قال تعالى: (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) [لقمان-٣٢].

ولما كان هذا اللجوء إلى الله فطرياً في أعماق كل نفس بشرية، اعتبر علماء النفس هذه الظاهرة دليلاً على أصالة النزعة الدينية.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة يمكن للإعلاميين والتربويين مسايرة هذا الشعور الديني واستغلاله، من أجل إبرازه وتقويته، في مواقف ومواقع فكرية وفنية، تؤصل الحياة الثقافية، وتحميها من كل مظاهر التلبيس والجمود والتعطيل، وتُكسبُ المتلقين فرص تنمية الضمير بوصفه رقيباً نفسياً وسلطة داخلية تنبع من الذات.

وبذلك يُسهم التلفاز - باعتباره الوسيلة الأكثر شعبية وفعالية - في إكساب الناس اتجاهات راقية، وقيماً جديدة وأصيلة، وتحويل طاقات الأجيال إلى

الإسلام ونظام الحجر الصحي

صحة

الحجر الصحي هو المنع من دخول أرض الوباء، أو الخروج منها منعاً لانتشار العدوى بالأمراض المعدية السريعة والانتقال مثل الطاعون والكوليرا والتيفوس. والحجر الصحي يعتبر أعظم نظام في الطب الوقائي وأقوى وسيلة يلجأ إليها الطبيب للوقاية من الأمراض الوبائية لحصر المرض في أضيق حدوده وحجهه في مهده الأول حتى لا ينتشر وتكثر الإصابة به(١).

بقلم: صلاح حسين شهاب الدين

والحجـــر الصحي بهذا المعنى ليس من مبتكرات الطب الحديث فلقد سبق الإسلام الطب الحديث بعدة قرون في تقريره لنظام الحجر الصحي، وكانت للإسلام نظرة عميقة في حماية الإنسان مما قد يسبب له الآلام أو الأمراض، فلم يحرم على الإنسان الاقتراب من أرض الوباء فقط، بل حرم عليه أيضاً أنواعاً من الأطعمة والأشربة لأنه وجد فيها ضرراً على الجسم وهلاكاً له.

إن الإسلام يرى في الإنسان خليفة الله في الأرض، قال تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة: ٣٠.

وكل ما يضر أو يسيء إلى معنى الخلافة أو يضعف من قوته محرم شرعاً ليظل محتفظاً بمكانته وقوته كخليفة لله في الأرض، وعناية الإسلام بالحفاظ على سلامة وصحة جسم المسلم هو عناية بقوة المسلمين المادية والأدبية، فهو يتطلب أجساماً تجري في عروقها دماء العافية، ويمتلىء أصحابها فتوة ونشاطاً، وللجسم الصحيح أثر لا في سلامة التفكير فحسب، بل في تفاؤل الإنسان مع الحياة والناس.(٢)

من أجل ذلك وفر الإسلام أسباب الوقاية من العلل والأمراض بما شرع من قواعد، ثم بما رسم من حياة رتيبة يلتزم المسلم السير عليها.

والإسلام حين وضع أسس الطب الوقائي صبغ ذلك بصبغة دينية حتى يتمسك المسلم بهذه الأسس تمسكاً قوياً، ويعمل بها لأنها صادرة عمن قال الله عنه: (وما ينطق عن الهوى) النجم ـ ٣.

الإسلام حين وضع أسس الطب الوقائي صبغ ذلك بصبغة دينية حتى يتمسك المسلم بها تمسكاً قوياً

وإذا أردنا أن نصنف الطب الوقائي الإسلامي في مجموعات وقوائم وجدنا هذه القوائم كما يلي:

العناية بالنظافة

إن الدين الإسلامي أكثر الأديان عناية بالنظافة، وتعاليمه في النظافة من الوضوح والدقة بحيث إن تقدم العلم لم يزد عليها شيئاً وإن كان قد أوضح تفسيرات لكل هذه الإجراءات، فمن الأوامر المبكرة في صدر الإسلام الطهارة الكاملة، يقول الله تعالى: (وثيابك فطهر) المدثر: ٤.، ومن الآيات القرآنية التي تأمر بالنظافة قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) النساء ـ ٤٣.

في هذه الآية النص على نهي الجنب أن يقرب الصلاة إلا إذا اغتسل وتطهر من الجنابة سواء كان ذكراً أم أنثى، وهذه ميزة في النظافة يمتاز بها المسلمون عن غيرهم الذين لا يغتسلون من الجنابة، وقد أثبت الطب أن في هذا الغسل صحة للأبدان وتنشيطاً للأجسام.(٣).

ثم يأتي الأمر بالوضوء للصلوات الخمس كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) المائدة ـ ٦.

ومؤدى هذا النص أن المسلم الذي يريد الصلاة سيغسل وجهه، ويديه، ويمسح رأسه، ويغسل رجليه مرات متعددة في اليوم، زد على ذلك ما نادت به السنة النبوية من المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين، وما فيها من نظافة للفم والأنف والأذنين وإزالة ما علق بها، وبذلك لا يكاد يعلق بجسم الإنسان درن أو قذر أو إفرازات بدنية حتى يأتي الوضوء فيزيل هذه الأقذار والأدران

فيبيت المسلم نظيفاً طاهراً.(٤)
والمضمضة ونظافة الفم بالسواك التي سنها رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ أعظم صحة للفم ولم تأتِ مدنية تحافظ على سلامة وصحـة الفم كمدنيـة الإسـلام وغسل الأذن داخلهـا وخـارجها يـؤثـر على عصبي القلب اللذين يسيران متلاصقين خلف الأذن، وهذا التأثير لـه دوره المنعش على مـراكـز المخ ومراكز القلب.(٥)

وقد امتـد هدي الإسـلام في النظافـة ليشمل شعر الرأس، فتجد دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من كان له شعر فليكرمه» رواه أبو داود.

وفي المقابـل نراه يعيب على الـذي يترك شعره ولا يـرجله، فعن زيـد بن أسلم أن عطـاء بن يسار أخبره قـال: كان رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فـأشار إليـه رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم ـ بيـده أن اخـرج كأنـه يعني إصلاح شعـر رأسه ولحيتـه ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم: «أليس هـذا خيراً من أن يـأتي أحـدكم ثـائر الرأس كأنه شيطان» رواه مالك.

كما نـدب الإسلام إلى تغطيـة أواني الطعـام والشراب حفظاً لها من التلـوث أو الفساد بما ينقلـه الـريح أو الـذبـاب وصيـانـة لها من الحشرات الضارة.

«كذلك حث الإسلام على نظـافة البيوت فقال صلى اللـه عليـه وسلـم: «إن اللـه طيب يحب الطيب، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم، نظيف يحب النظـافـة فنظفـوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود» رواه الترمذي.

وتمتد نظافة المكـان التي حث عليها الإسلام لتشمل المسجـد والأسـواق وأمـاكن العمل، والهدف من ذلك هـو المحـافظة على الصحـة العامـة لأن تراكم الأوسـاخ يعطي الحشرات والجراثيم مجالاً رحبـاً لـلازدهـار والنمـو، فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة التي تزكم الأنوف»(٦).

هذه هي دعـوة الإسلام في العنـاية بالنظـافة والتي ينادي بها الآن الطب الحديث كـوسيلة من الـوسائل التي تحمي الإنسـان من العلل والأمراض، لـذلك كان إهمال النظافة عمـوماً أمراً خطيراً، يقول أحـد أطباء العصر الحديث في حـديـث لـه عن الآثـار الضـارة لإهمال النظـافـة: «هو مـرض من أمـراض الصيف المشهـورة والخلاص منـه يكمن في كلمـة واحـدة هي النظـافـة في كل صغيرة وكبيرة، لايزور أحد منا هذا الزائر الثقيل: «التيفود». جميع الأمـراض التـي تصيب الجهـاز الهضمي تعتمد في الوقايـة منها على النظافة في كل شيء».(٧)

ومن هنا نـدرك عظمة الإسلام في تشريعـاته التي وضعها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان من أجل حمايـة الجسم الإنسـاني من الأمراض.

التوسط في المأكل والمشرب

أمرنا رب العـزة ـ سبحانه ـ بعدم الإسراف في الطعام والشراب وأوصـانا رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنـا لا نشبع فإن كـان لابـد فثلث للطعـام وثلث للشراب وثلـث للنفس، وهـذا واضح من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيقول اللـه تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عنـد كل مسجـد وكلوا واشربـوا ولا تسرفـوا إنـه لا يحب المسرفين) الأعـراف ـ ٣٠.

ففي هذه الآيـة الكريمة أرشد اللـه عباده إلى إدخـال ما يقيم البـدن من الطعـام والشراب عوض ما تحلل منه وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض وأعني بـذلك عدم الأكل والشرب أو الإسراف فيهما، فحفظ الصحـة في هـاتين الكلمتين الإلهيتين.(٨)

لذلك قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ـ «مـاملأ ابن آدم وعـاء شر من بطنـه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبـه، وإن كان لابـد فـاعـلاً فثلث لطعامـه، وثلث لشرابـه وثلث لنفسه» أخرجه النسائي. وابن ماجة من وجه آخر عنـده وله طـرق أخرى، وقـد روى هذا الحديث مع ذكـر سببه: فـروى أبو القـاسم البغوي في معجمه من حـديث عبدالرحمن بن المرقع... قال: «فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وهي مخضرة من الفـواكه فـوقع الناس في الفاكهة فغشيتهم الحمى فشكوا إلى رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ فقـال رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلـم ـ: «إنما الحمى رائد الموت وسجـن اللـه في الأرض، وهي قطعة من نـار، فإذا أخذتكم فبردوا الماء في الشنـان فصبوهـا عليكم بين الصـلاتين، يعني المغـرب والعشاء، قـال ففعلوا فـذهبت عنهم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لم يخلق الله وعـاء إذا ملىء شراً من بطن فإذا كـان لابد فـاجعلوا ثلثـاً للطعام، وثلثـاً للشراب، وثلثاً للريح».

وهـذا الحديث أصل جـامع لأصـول الطب كلها، وقد روي أن ابن أبي مـاسوية الطبيب لما قرأ هـذا الحديث في كتاب أبي خيثمـة قال: لو استعمـل الناس هذه الكلمات لسلمـوا من الأمراض والأسقام ولتعطلت البيمار ستانات ودكاكين الصيادلـة، وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم.(٩)

ولو يعلم هـؤلاء المرضى أن أمعاءهم قـاست منهم لأنهم نسوا قول رسـول الله صلى الله عليـه وسلم: «ما مـلأ ابن آدم وعـاء شراً من بطنـه بحسب ابـن آدم لقيمات يقمن صلبـه، فإن كـان لابـد فاعـلاً فثلث لطعـامـه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».(١٠)

فـالإسراف في الطعـام هـو السبب الحقيقي للسمنة، والسمنـة مرض، بل ومـرض ضـار، فنحن نعلم تمامـاً أن السمنـة تسبب تصلب الشرايين وأمـراض القلب، وتشحم الكبـد، وتكـون حصيـات المرارة، والسكر بـالـدم، ودوالي القـدمين والجلطـة، والـرومـاتيـزم المفصلي الغضروفي بالركبتين. كما أنها تؤدي إلى زيـادة ضغط الدم، وذلك بـالإضافـة إلى الأمراض النفسيـة التي يعاني منهـا البدين. وأيضـاً الآثـار الاجتماعيـة السيئـة التي يواجهها البدين.(١١)

لـذلك كـانت دعوة الإسـلام إلى الاعتـدال في الأكل والشرب حفظـاً منه على حيـاة وصحة المسلم لكي يعيش في هذه الحياة سعيداً ينفع نفسـه ويخدم دينه.

الإسلام أكثر الأديان عناية بالنظافة وتعاليمه في ذلك كثيرة وواضحة وضوح الشمس

نهى الإسلام عن كل ما يضر الإنسان في جسمه وعقله فحرم المطعومات الضارة بالصحة، كما في قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم) المائدة ـ ٣.

ومن الشراب حرمت الخمر وما اشتق منها وما شابهها وقد جاء تحريم الخمر في قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) المائدة ـ ٩٠.

وإنما حرم الله سبحانه وتعالى هذه الأطعمة والأشربة على المسلم لأن فيها هلاكاً لمن يتناولها وقضاء عليه، فالميتة ما ماتت إلا بسبب قد يكون هذا السبب مرضاً لازم هذا الحيوان فترة طويلة حتى انتشرت الجراثيم وطفيليات المرض في كل جزء من أجزائه، فإذا تناول المسلم شيئاً من هذه الميتة أصيب هو الآخر ببعض الأمراض بسبب تناوله هذا اللحم المريض الذي قد يكون حاملاً لجرثومة المرض بعد طهيه.(١٢) لأن هناك ميكروبات تنتج في الجسم سموماً تؤذي الإنسان ولا تفسد بالطهي، وتسبب التسمم للإنسان إذا أكلها حتى بعد طهيها، كذلك وجود الدم في جسم الحيوان الميت يساعد على نمو الميكروبات في الجسم وسرعة فساد اللحم.(١٣)

والطب الحديث يرى في أكل الميتة ضرراً كبيراً على الإنسان، لأن الحيوان الميت لا يموت إلا لمرض أو شيخوخة، فإذا مات نتيجة المرض فإنه مما لا شك فيه.. لا يزال في جسمه بعد الموت مواد غير طبيعية وتسممية ضارة بجسم الإنسان الحي بعد أن تعقم من الجراثيم بطريق الحرارة، والجسم يشبه في هذه الحالة الغذاء المتخمر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة، لا يزل مضراً بالإنسان وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة... والميتة بالشيخوخة ضررها كضرر الميتة بالمرض، لأن الشيخوخة معناه انحلال أحد الأنسجة، وذلك مقدمة لانحلال آخر حتى تنحل جميعها، ويصبح الآكل في هذه الحالة آكلاً لأنسجة مريضة متحللة.(١٤) وأما الدم: فإن أي سموم يمكن أن تصل إلى الجسم تمتص من الأمعاء، وتذهب للدم الذي ينقلها إلى الكبد للتخلص منها وتفرزها الكلى، إذن نجد الدم دائماً محملاً بالجراثيم وأيضاً بالبكتريا السابحة، أو الفيروسات التي يستطيع التخلص منها والقضاء عليها، وتنقية الدم مما به فيصير الدم الخارج من الكبد نقياً وتفرز الكلى ما بقى في الدم ليصير أكثر نقاوة. (١٥)

كذلك وجود الدم بكثرة في أمعاء الإنسان يساعد على تكوين مركبات «نوشادرية» تؤثر على المخ وتحدث تغيرات مرضية قد تصل إلى حد فقد الإحساس والغيبوبة، وهذا يحدث نتيجة بلع الإنسان لكميات كبيرة من دمه نتيجة نزف في المريء أو المعدة، أو الأمعاء، كما أن هضم كرات الدم البيضاء يزيد من حمض البوليك في الدم وما يترتب على ذلك من أمراض.(١٦)

من هنا، ولهذه الأسباب المتعددة كانت الحكمة الإلهية في تحريم أكل الدم، إلا ما أحله لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الكبد والطحال وأما الحكمة في تحريم أكل لحم الخنزير فأنقلها لك من مجلة المسلم المعاصر من مقال للدكتور أحمد حسين صقر تحت عنوان «الخنزير وبعض أسباب تحريمه»، حيث نقل هو أيضاً عن الدكتور رزقي من كتابه «عن الخنزير» ما نصه: «إن الخنزير يعتبر من أكبر الحيوانات لنقل الجراثيم والأمراض، وهو سبب كثير من الأمراض المتأزمة القاتلة والمعدية ومنها الديزنتاريا، والترايكينوسيس، والدودة الوحيدة، أو الشريطية، أو المستديرة، والعنقودية، واليرقان وفقر الدم والاختناق، وانسداد الأمعاء ومرض البنكرياس المزمن، وتضخم الكبد والإسهال والحمى وإعاقة النمو عند الطفل، والتيفوئيد وأمراض القلب والإجهاض، والعقم والموت المفاجىء»(١٧).

الإسراف في الطعام هو السبب الحقيقي للسمنة التي هي مرض ضار ينتج عنها تصلب الشرايين وأمراض القلب والكبد وما إلى ذلك من الأمراض المستعصية

والخنزير من الحيوانات التي تأكل كل شيء حتى البراز والميتة ومن طباع الخنزير أن الذكر منه لا يغار على أنثاه بعكس الحيوانات الأخرى، وقد وجد أن هذا الطبع يوجد أيضاً فيمن يأكلون لحم الخنزير أي أن آكل لحم الخنزير لا يغار على أنثاه.

و من أجل هذا أيضاً حرَّم ربنا أكل لحم الخنزير فتبارك الله رب العالمين.(١٨).

وعندما نفكر في فائدة طريقة الذبح الإسلامية التي تتم بقطع الأوردة الموجودة في رقبة الحيوان ليخرج منها الدم ولتصبح أنسجته خالية من احتقان الدم فيها، نجد أن قتل الحيوان أو خنقه يجعل الدم يحتقن في أنسجة الحيوان ويصبح اللحم مليئاً بالدم المحتقن المتجلط المليء بالمواد الكيماوية الناتجة عن تفاعلات أنسجة الجسم وما به من جراثيم سابحة.(١٩)

ومن أجل هذا حرَّم ربنا أكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا بعد تذكيته نظراً لأن المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة يحتبس فيها الدم، فيؤدي إلى كثرة الجراثيم والتي تنتقل عند الأكل منها إلى جسم الإنسان، وأخيراً نأتي إلى الأشربة المحرمة وهي الخمر وما اشتق منها، وما ينطبق عليها من حشيش وأفيون وهيروين وكوكايين، وهي تتفوق على الخمر من ناحية أضرارها الصحية والاجتماعية والاقتصادية.

«إنها من أعظم الأخطار التي تهدد البشر لا بما تورثه مباشرة من الأضرار السامة فحسب، بل بعواقبها الوخيمة أيضاً وجلبها لمرض السل، والخمر والمخدرات توهن البدن وتجعله أقل مقاومة لكثير من الأمراض وتؤثر في جميع أجهزته وبخاصة الكبد والجهاز العصبي الذي يؤدي إلى الجنون والشقاوة والإجرام والموت فهي علة الشقاء والعوز والبؤس وجرثومة الإفلاس والمسكنة والذل، ومازالت تلك السموم بقوم إلا أودت بهم بدناً وروحاً وجسماً وعقلاً، وإذا كانت هذه الأضرار التي ظهرت للخمر والتي لم تظهر ويعلمها الخبير بطبائع الأشياء هي مناط التحريم وهي السر في ثبوت تلك الأحكام لها في الإسلام، كان من الضروري لشريعة تبني أحكامها على تحصيل المنافع ودفع المضار أن

تحرم كل مـادة من شـأنها أن تحدث مثل تلك الأضرار أو أشـد، سواء أكـانت المادة سـائلاً مشروبـاً، أم جـامـداً مأكـولاً، أم مسحـوقـاً مشموماً.(٢٠)

الابتعاد عن الأماكن التي بها أمراض معدية

من الوسـائل التي وضعها الإسـلام لحماية الإنسان من الأمراض المعـدية العزل، بمعنى عزل النـاس عن مصدر المرض وورد في ذلك جملـة من الأحاديث النبـوية الشريفـة، فعن فروة بن مسيك رضي اللـه عنه قـال: «قلت يا رسـول الله، إن عندنا أرضاً يُقال لها أبين هي أرض ريتنا وأرض ميرتنا، هي شديدة الوباء، فقال: دعهـا عنك فإن من القرف التلف» رواه أبو داود وغيره. (القـرف هو مـداناة الـوباء والمرض والتلف هو الهلاك).

لـذلك لا يجوز للمـريض بمـرض متنقل أن يخالط الأصحـاء لما في ذلك من خطر انتقـال العدوى، فعـن أبي هريـرة ـ رضي اللـه عنه ـ عن النبي صلى اللـه عليـه وسلم ـ قـال: «لا يوردن ممرض على مصح» رواه الشيخان.

وعن ابن عطية ـ رضي اللـه عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لا يحل الممرض على المصح وليحل المصح حيث شـاء» رواه مالك في الموطأ والطبراني.

ومع أن النبي ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ كان يحرص على تطبيب نفس المريض إلا أنه كان يضع مصلحة المجتمع المسلم في المقام الأول، بحيث إذا تعـارضت مع مشـاعـر فـرد فإن مصلحة المجتمع هي الـراجحة، فعن الشريد ابن السويـد رضي الله عنه قال: «كـان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ـ صلى الله عليـه وسلم : « ارجع فقد بـايعناك» رواه مسلم والنسائي.

وفي حـالة ظهـور الـوباء، فإن كل إجـراءات الحجْـر الصحي يجب أن تتخـذ، وينفـذهـا المسلمون طواعيـة لحماية المجتمع، ولو أدى ذلك إلى أن يبقى الفـرد في منطقـة الوبـاء ولا يغادرهاحتى لا يكـون سبباً في انتشاره وهو بذلك مجاهد في سبيل الله، وإذا مات على هذه النيـة فله أجـر الشهيد كما ورد في أحـاديث كثيرة صحيحة.(٢١)

فقد قال صلى اللـه عليه وسلم: «ليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلـده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب اللـه له إلا كان له مثل أجر الشـهيد» رواه البخاري.

وقال صلى اللـه عليه وسلم: «إذا سمعتـم به بأرض فـلا تقدمـوا عليـه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فـلا تخرجـوا فـراراً منـه» رواه البخاري.

وقـد يُقال إن الخوف مـن العدوى يـدل على ضعف في يقين الإنسان وإيمانـه، أو أن هذا هروب من قضاء الله المقدر، ويُجاب عن هذا بما فعله عمر بن الخطـاب ـ رضي الله عنه ـ من رفضـه السفـر إلى الشـام حين ظهـر الطاعون بها، فلما قيل له أتفـر من قدر الله قال: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

وما على الإنسـان المسلم إلا أن يعمل بما أمر بـه رسـول الله ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ ويأخـذ بـالأسباب، ويترك البـاقي على اللـه تعالى، فعليه ألا يدخل منطقة موبوءة بمرض معـد إذا كان خـارجها، وألا يخرج منهـا إذا كـان بها مع الاعتقاد بـأن كل شيء بيد اللـه تعال «هـذه بعض الإرشادات التـي جاء بها الإسـلام قـرآنـاً وسنــة في المحـافظـة على الصحة، وعلاج الأمراض البـدنية، وقد أثبت الطب صحتهـا وعظم نتائجهـا في الـوقايـة، وحفظ الصحة، وقد جـاءت هذه الإرشادات بجـانب الإرشـادات الأخـرى التي رسمهـا الإسـلام لعـلاج القلـوب ووقـايتهـا من أمراضهـا كالشهـوة والغضب والحقـد وما إليها مما يفسد على الناس مجتمعهم، وبهذه وتلك إذا تـرسّمهـا الإنسـان سلم في قلبـه وعقله، وفي صحته وبدنه.

فتسلم لـه أداة التفكير والنظـر في معـرفـة الحق، وتسلم له آلات العمل في تنظيم الحياة وعمارة الكـون، كما يحب اللـه ويـرضى وبـذلـك تكتمل لـه سعـادة الـدنيـا والآخرة».(٢٢) ■

> الإسلام نهى عن كل ما يضر الإنسان في جسمه أو عقله من المأكولات الضارة

المراجع

(١) الإسـلام والطب، محمـد عبـدالحميـد البـيـوشي، ص ٥٨ و ٥٩، دار القلم ١٩٦٥م القاهرة.
(٢) المنهج الإسـلامي في رعـاية الطفـولـة ـ لجنة من علماء الأزهر ص ١٣ بتصرف.
(٣) البيان في منهـاج الإسلام ـ خلف محمد الحسيني، ص ٣٠٢ ـ الهيئة المصريـة العامة للكتاب ١٩٧٥.
(٤) دراسات في الثقافة الإسلامية ـ لمجموعة من العلماء ص ٥٤٤ مكتبة الفلاح الكويت، ط ٣، ١٩٨٣م.
(٥) القـرآن الكريم والصحـة النفسية ـ د. جمال ماضي أبو العزائم، ص ٥٨، دار الهلال ١٩٩٤م.
(٦) حماية البيئة من التلـوث رؤية إسلامية، م. محمد عبـدالقادر الفقـي، ص ١٧ الأهرام التجارية ـ قليوب ١٩٩٥م.
(٧) دراسات في الثقافـة الإسلامية ص ٥٤٨ و ٥٤٩ مرجع سابق.
(٨) مختصر زاد المعـاد، لـلإمـام محمـد عبدالوهاب، ص ٣٨٤ و ٣٨٥.
(٩) جـامع العلـوم والحكم ـ لابن رجب الحنبلي، ص ٣٧٠، النـاشر دار عمـر بن الخطاب ـ الإسكندرية.
(١٠) الطب النبوي، د. علي مؤنس، ص ٢٧ و ٢٨، دار أخبار اليوم، ١٩٩٠م القاهرة.
(١١) المرجع السابق ص ٢٤ و ٢٥.
(١٢) دراسـات في الثقـافة الإسلاميـة مرجع سابق ص ٥٥٩.
(١٣) مـدخل إلى الطب الإسـلامي، أ.د. علي محمـد مطـاوع، ص ١٥٠ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٨٥ القاهرة.
(١٤) دراسـات في الثقـافة الإسلاميـة مرجع سابق ص ٥٥٩.
(١٥) الطب النبوي ـ مرجع سابق ص ٤١.
(١٦) مـدخل إلى الطب الإسـلامي، مـرجع سابق ص ١٥٠.
(١٧) مجلة المسلم المعاصر، د. أحمد حسين صقـر، مقـال تحت عنوان «الخنـزيـر بعض أسباب تحريمه» العدد ٢٥ ص ٤٧، ١٩٨١م.
(١٨) مـدخل إلى الطب الإسـلامي، مـرجع سابق ص ١٥٣.
(١٩) الطب النبوي، مرجع سابق ص ٤٢.
(٢٠) الإسـلام وقضايـا الإدمان والسمـوم البيضـاء، ص ٣٥ و ٣٦ وزارة الأوقـاف المصرية ١٩٨٨م.
(٢١) المدخل الإسـلامي للطـب، د. إبـراهيم عبدالحميد الصياد، ص ٢٠٩ و ٢١١ سلسلة البحوث الإسلامية ١٩٨٧م.
(٢٢) منهج القرآن الكـريم في بناء المجتمع ـ لـلإمـام محمـود شلتـوت، ص ٦٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٩٦م.

الأسس النفسية والتربوية للفطام السيكولوجي للطفل

صحة

يتعرض الكثير من الأطفال لهزات نفسية عنيفة وظروف صعبة تؤرقهم نتيجة لما يعانونه من بعض المشاكل النفسية التي قد تترك آثاراً سيئة تنعكس على سلوكهم، وسمات شخصياتهم إذا لم يحسن توجيههم توجيهاً حسناً، ومنها على سبيل المثال صدمة الفطام عن ثدي الأم وهذه لا تقل أهمية عن صدمة الفطام النفسي - تلك التي تشكل فجوة في حياة الطفل إثر انتقاله من جو الأسرة الذي ألفه وألف أفراده إلى جو يتسم بالضبط وسط أقران غرباء عليه وجو لم يألفه، وعليه أن يتكيف وسط هذا المناخ.

بقلم: د. محمد عيسوي الفيومي

وعلى الأسرة أن تساعده في التغلب على هذا الموقف حتى يمر دون أن يترك آثاراً نفسية سيئة ويمكن للأم أن تلعب دوراً مهماً في مساعدة الطفل للتغلب على صدمة الفطام النفسي إذا أخلصت النية وأدت ما عليها من واجبات نحو الطفل لأنها أول كائن يتفاعل معه الطفل، وهي أكثر المحيطين به تأثيراً فيه.

الاسرة والطفل

فالطفل يفوز بجميع رغباته معتمداً غالباً على أمه، فهي التي تطعمه وتدفئه وتقضي حاجاته وتوفر راحته وتجري لإسعافه عند بكائه، بالإضافة إلى أنها لا تعاقبه إذ أزعجها طوال الليل بصياحه وعويله منذ الطفولة المبكرة، ان الشعور بالأمن في هذا السن هو بدء الثقة بالنفس والانتقال من هذا الدور إلى ما بعده يجب أن يكون انتقالاً تدريجياً.

ومن عوامل ثقة الطفل بنفسه أن يتصل بعد أمه بأفراد الأسرة ثم يتصل برفاقه وأصحابه، فنمو الطفل سلسلة من مراتب استقلالية تتحقق كل حلقة منها باتساع الدائرة التي يعيش فيها الطفل، فهو يستقل عن أمه ليصبح عضواً في مجتمع الأسرة، ثم يستقل عن مجتمع الأسرة ليندمج في مجتمع الرفاق، ثم يتسع هذا إلى مجتمع المدرسة، ثم إلى المجتمع الأكبر، ولذلك ينبغي إعداد الطفل للانتقال للمرحلة المقبلة، وهو في المرحلة السابقة حتى يمكن أن نهيء لفلزات أكبادنا حياة مستقرة خالية من التوتر والقلق والاضطرابات والصراعات النفسية، فهم أمل المستقبل وحملة لواء المسؤولية فضلاً عن أنهم أمانة واجبة علينا، وبخاصة أن تربية الأطفال قد تغيرت وسائلها عما كان سائداً من قبل نظراً لسرعة التقدم التكنولوجي، حيث أصبح الطفل على صلة بالعالم كله وبما يدور من حوله.

مراتب استقلالية الطفل تتحقق باتساع الدائرة التي يعيش فيها

ولهذا يطلق على هذا القرن من الناحية النفسية أنه قرن الطفل، ذلك لأنه القرن الذي شهد يقظة الوعي الجاد بأهمية مرحلة الطفولة في تكوين سمات شخصية الإنسان

النشأة والاضطرابات

ولقد أكدت الأبحاث أن الاضطرابات التي تحدث لكبار السن منشؤها الطفولة غير السعيدة، ومن ثم بدأت الوقاية من هذه الاضطرابات، ويضيف إلى أهمية مرحلة الطفولة تلك الآثار الضارة لأساليب التنشئة غير السليمة أنها تتكاثر عبر الأجيال، أي أن الشخص الذي تؤذيه التنشئة الاجتماعية سوف يسلك سلوكاً مضاداً للمجتمع، ومن ثم يوقع الضرر على أشخاص عديدين، ومادام المجتمع متغير فينبغي كذلك أن تتغير التنشئة لتواكب خصائص العصر لأن حاجات الطفل قد تغيرت عن الماضي، وبذلك ينبغي التعرف على حاجاته العصرية، بالإضافة إلى أن عدم تفرغ الأم لتربية أبنائها أدى ذلك إلى فقدان الطفل العوامل التي كانت تشعره بالدفء والأمن النفسي في ظل رعاية الأم طوال اليوم.

إن هناك بعض الأطفال ينم سلوكهم عن قصور قدرتهم على تقبل الانفصال عن الأسرة والالتحاق بالمدرسة لأول مرة، فيفشلون في التكيف وتقبل الوضع الجديد،

حيث نـراهم داخل الفصل شـاردي الـذهن وتبـــــدو عليهم سمات الحزن وربما لجأ البعض منهم إلى الثـورة العـارمة على فكـرة الانفصـال عـن البيت بقصـد الـذهـاب إلى المدرسة، وربما كرهوا المدرسة نفسها.

ولا شك أن انفصال الطفل عـن البيت بقصد الـذهـاب إلى المدرسـة يشبـه من النـاحيـة النفسية فطـامه عن ثدي أمـه ولكي تتم هذه العمليـة من غير إرهاق نفسي وفي غير قسـوة ينبغي أن يمـــر بها الطفل تـدريجيـــاً إلى أن ينتهي به الأمر إلى الفطام النفسي الكامل، كما انتهى به الأمـر سابقـاً بالاستغنـاء التام عن الثدي والانصراف إلى تناول الأطعمـة معتمداً على نفسـه وحتى يتغلـب الطفل على مشكلـة الانفصـــال عن المنـزل، ويـــذهب الطفل إلى المدرسـة راضياً مطمئنـاً ينبغي أن يمهد لـه تدريجياً خلال السنوات الأولى التي يقضيها الطفل الصغير بين أبويه، وهي السنوات التي تسبق ذهـابه إلى المدرسـة مستقـلاً عن أهل المنـزل، ويحتـاج ذلـك من الأسرة قـدراً من الـوعي السيكولـوجي، لأن التربية الحديثـة تكفل للطفل حياة أهنأ فهي تهدف إلى التعمق في السلوك، كما أنها تعالج الانحراف، وتعمل على اكتشـاف المواهب والـــذكـاء والقـدرات وتوجيههـا وجهة بناءة نحـو الخلق والإبداع، وربما يأتي الطفل إلى المدرسـة كارهـاً لأبيه، فيسقط هـــذا الكـــره على المدرس بحكم أن المدرس في نظـــره يحل محل الأب في عمليـــة الضبط، وقـد يكـون الطفل منتميـاً إلى أسرة تعاني من التصـدع والانشقاق بين الزوجين فيؤثر ذلك على المناخ الأسري الذي يعيش فيه الطفل، كما قد لا تتـوافر لـدى الطفل وسائل الترويح، وقـد يعبر الطفل عن مظـاهر عـدم التكيف للـوضع الجديد في أن سلوكـه يتسم بالأنانية المفرطـة أو بالعناد والعدوان والميل إلى السيطـــــرة، والتسلـط والعصبيــــــة، وخصوصاً بعد انتهاء اليوم الدراسي والعودة إلى المنـزل فتتعـدد مطـالبـه وقـد يلجأ إلى الانطواء والعـزلة. ففي كل عـام يبدأ الملايين من أطفالنا في الالتحاق بالمدارس لأول مرة في حيـــاتهم، وبـالنسبــة للطفل الصغير، فإن ذهابه للمدرسة لأول مرة في حياته خصوصاً في اليـوم الأول، يمثل خبرة نفسيـة غايـة في الحساسيـة والأهمية جديرة بـاهتمام الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات.

حيث يمثل هـذا انتقالاً كبيراً من نـوع الحياة الأسرية إلى نـوع آخر من الحيـاة، والمعروف



أن مـراحل الانتقـال في حياة الفـرد مـراحل حـرجـة يتعـرض فيهـــا الفـرد لـــلأزمـات والتوترات والانفعـالات الحادة. ولذلك ليس من الغـــريـب أن يُصـــاب بعض الأطفـــال بـالاكتئـاب أو القلق بدايـة من اليـوم الأول لذهابه إلى المدرسة متأثراً بفراق أمه.

إن الذهـاب للمدرسـة بالنسبـة للطفل يمثل حدثـاً مهماً وتغيراً كبيراً في نمط الحياة التي اعتادها لمدة ست سنـوات، فالطفل في المنزل يتمع بنوع من الحيـاة الأسرية التي تختلف عن الحيـاة في داخل المدرســة، فهـو يتمتع بحنان الأبـوين ورعايتهما وتقتصر عـلاقته الاجتماعيـــة على عـدد محدود من الأخـــوة والأخوات.

التعامل معه في المدرسة

أمـــا في المدرســة فإن نمـط العـــلاقـــات الاجتماعية يتغير حيث تتسع دائرة معـارفه وأصدقـائه وزملائه الـذين عليه أن يتعـامل معهم.

إن ذهـاب الطفل للمدرسـة يمثل تغييراً كبيراً في بيئـة الطفل الاجتماعيــة، وهـذا التغير في الجو المحيط بـالطفل الذي ألفـه لمدة طويلـة يحتـاج إلى كثير من الرعـاية والحمايـة حتى يتكيف مع نـوع الحيـاة الجديـدة والخبرات الجديدة في المدرسة.

كما أن الطفل في يومه الأول يجد نفسه وسط أعـداد غفيرة من الغـربـاء من الأطفـال ومن الكبار ومن شأن مثل هذه الخبرة أن تبعث في نفســه الخـوف والقلق والـرهبـة، والإنسـان دائماً يخاف من المجهـول، وإزاء تصـورنـا قصور خبرة الطفل المحدودة، فإننا نشعر ما يشعر به من خوف وتهيب.

فـالطفل فيما قبل المدرسة كـان يحيا حيـاة حـرة طليقة لا قيـود فيهـا ولا تكلف، وفجأة يواجـه نوعـاً منظماً من الحيـاة الذي يتعين عليـه الخضـــوع لبعض مظـاهـــر النظـام والقانون والقيام ببعض الأعباء والمهام.

أما بالنسبة للعـلاقات العاطفية فإن المدرس مهما بلغ مـن العطف، فـــلا يستطيع إلا أن يوزع عطفه واهتمامه ورعايته على عدد كبير من التلاميـذ، أما في المنـزل، فإن الطفل كان يلقى اهتمام الأبـوين كله وكـان يمثل مركـز الاهتمام وتلتف حوله الأنظار والقلوب.

كذلك فإن العلاقـة العاطفية بين الطفل وبين

تقبل الطفل للسلوكيات الجديدة لابد أن يمهد له تدريجياً في السنوات الأولى التي يقضيها بين والديه

أفـراد أسرته تختلف عـن العلاقـة بين الطفل وبين غيره من الزملاء في المدرسة، فهذا النوع الأخير من العـلاقـات، لابـد أن يخضع فيـه الطفل لنوع من العـلاقات الاجتماعية قـوامه الأخذ والعطاء واحترام حقوق الغير.

ويحتـاج الطفل لكي يتكيف انفعـالياً للحيـاة المدرسيـة التي تبعده عن الأسرة جـزءاً كبيراً من اليـوم، يحتـاج إلى أن يتعود على الفطـام الانفعالي أو العـاطفي، هذا الفطـام ينبغي أن تبدأ فيه الأسرة قبل ذهاب الطفل إلى المدرسة.

ولابـد من أن يتدرب الطفـل على هذا الفطـام النفسي أي بالبعد عن الآباء انفعـالياً وتكوين الشخصية المستقلـة عن الآباء حتى يستطيع أن يتكيف مع جو المدرسة الجديد.

وفي المجتمعـات المتقـدمة حيث تتـوفـر دور ريـاض الأطفـال يتـدرب الطفل على الحيـاة المدرسية المنظمة وعلى الأخذ والعطاء واحترام النظـــام المدرسي، وتمثـل خبرة الطفل بهذا النـوع من المدارس تقـديم الطفل للمـدرسـة الابتدائية بعد ذلك.

ولـذلك لا يتعـرض الطفل لخبرات انفعـاليـة حـادة ومفاجئـة عنـدمـا يذهب إلى المدرسـة الابتدائيـة، أما في إطار الأسرة العـربية، فإنها تستطيع أن تقوم بتـدريب الطفل على الفطام النفسي، والاستقـــلال عـن الأسرة وعـــدم الارتبـاط أو الالتصاق بها، وذلك عن طـريق إتاحة الفرصـة أمام الطفل الصغير للالتحاق ببعض الأندية أو فرص تكوين الأصدقاء مع أبناء الحي أو الأقارب والأصدقاء.

تعامله داخل الأسرة

وفي داخل الأسرة يجب أن يتـدرب الطفل قبل الـذهـاب إلى المدرســة على الأخـذ والعطـاء والتعاون واحترام النظام والطاعة، وفوق كل ذلك احترام حقـــوق الغير، ذلك لأن الطفل في المدرسة لا يمكن أن تلبى جميع مطالبه كيفما يشاء ومتـى يشاء بصرف النظر عـن حقوق غيره من التلاميذ.

كـذلك من الممكن أن تقـدم الأسرة المدرسيـة للطفل المدرســة على أنها شيء جميل ومفيـد، حيث العلم والإعداد للحيـاة وحيث الأصدقاء والزملاء والصحبة الطيبة.

ومن شـأن تداول مثـل هذا الحديث أن يهيىء الطفل ذهنياً لتقبل الحياة الجديدة التي يمكن أن يحياهـا، إن بدايـة حياة الطفـل المدرسية معناها بداية حيـاته الاجتماعية خارج دائرة الأسرة.

حيث ينبغي أن يشعر أنـه أصبح بين زملاء متساويين معـه في كل شيء، كذلك ينبغي أن يتعلم كيف ينتـزع نفســه من أحضان أمـه ومن دائرة الأسرة الضيقة، وعملية الانفصال عن الأم ليست بـالأمـــر الهين، ولكن ذهـاب الطفل إلى الحضـانـة يمهـد لهذا النـوع من الاستقـلال، كما تسـاعـــده في التعـود على الحياة المدرسية الجديدة.

إن المنظر الانفعـالي لوداعـة الأم لطفلها على باب حجـرة الدراسـة يعرض لنـا صعوبـة سيكـولوجيـة لا لـدى الطفل وحسب، ولكن لدى الأم كذلك، وكلما شعرت الأم بالحزن أو التوتـر أو الخوف، كلما أثر ذلـك على نفسية الطفل، ولـذلك من الواجب أن تقبل الأم هـذا الموقف قبـــولاً طبيعيـــــاً كشيء حتمي وضروري.

إعداد الطفل

لكي نعد أطفالنا لاستقبـال الحياة الدراسية يجب:

١ ـــ أن يـــذهب الطفل إلى إحـــدى مـدارس الحضانة ولو لفترة محدودة حتى يتعود على البقـاء بعيـداً عـن المنـزل، ويألف الخبرات المتضمنة في الـذهاب والعـودة من المدرسة، وعلى النظام المتبع في المدرسة ومخالطة غيره من الغرباء عن الأسرة.

٢ ـ إذا كان للطفل الصغير أخ أكبر يذهب إلى نفس المدرسـة، فإن الأم قـــد تشجع الطفل الصغير بالذهاب معه، وتستطيع أن تشجعه على ذلك بإعطـــائه بعض الهدايـــا أو المنح، كـذلك تستطيع الأم أن تـذهب مع طفلهـا في اليوم الأول على شرط أن تبقى بعيدة عنه.

٣ ـــ إذا لم يكن للطفل الصغير أخ تستطيع الأسرة أن تبحث له عن جـار أو صديق أكبر منه قليلاً حتى يصحبه معـه وحتى يقدم له مطالبـه في المدرسة ويقـوم بحمايته داخلهـا حتى يشعـر الطفل الصغير بـالأمان في هـذا المكان بالنسبة له.

٤ ـــ يجب أن تغـرس الأم في ذهن طفلهـا قبل الذهاب للمدرسة أن المدرسة شيء جميل وأنه إذا لم يكف مثلاً عن سذاجتـه عما يرتكب من أخطـاء، فإنـه لن يذهب إلى المدرسـة، وهنـا يكوّن التلميـذ مفهوماً إيجابيـاً عن المدرسة، فهي مكـان للمكـافأة والنجـاح، وإقـــامـة العلاقات مع الظـرفاء وليس الحمقى، كذلك فإنها ليست مكاناً للضعاف، وإنما هي مكان مفيد وجميل.

٥ ـــ وهناك حقيقـة تقول: إن الطفل إذا كـان متكيفـاً في الأسرة، فإن ذلك مـن شأنـــه أن يساعـد على تكيفه في المدرســة، والمعروف أن النمـــو النفسي والخلقـي والاجتماعي للطفل عبـارة عن سلسلـة متـــلاحقـة ومتـداخلـة ومتـدرجـة بحيث تعتمـد مظـاهـر النمـو في المراحل اللاحقة على تلك المظاهر من المراحل السابقة، فالطفل الـذي تمتع بطفولة سعيدة يحتمل أن يحيـا أيضـاً مـــراهقـة سعيـدة، والمراهق الـذي يحيا حيـاة مراهقـة موفقـة يشب فيها سعيـداً، وسعادة الفرد في شبـابه تنعكس على سعادتـه في مرحلـة الكبر، فحياة الفرد ليسـت مراحل منفصلة بـل تعتمد على بعضها بعضاً.

فالطفل الذي يعاني من صراعات عائلية ومن سـوء الفهم ومن الشجار بين أعضـاء الأسرة والذي يتعرض لأساليب خـاطئة في تربيته في الغالب يعاني مثل هذا الطفل من صعوبات في التكيف مع الحياة المدرسية.

فالأسرة يجب أن تعد الطفل للحياة المدرسية، لأن دخـول الطفل الحيـاة المدرسيـة معنـاه الانتقال من حيـاة يعامل بها كفـرد واحد إلى حياة يعـامل فيها كفـرد وسط عدد كبير من الأفـراد أي ضمن الحيـــاة الجماعيـة، هـذه الخبرة أي الانتقـال من نـوع من الحيـاة إلى نوع آخر يمكن أن يكـون سهلاً إذا أعد الآباء العدة لهذه الخبرة قبل حصولها.

فهناك كثير من العادات السلوكية التي تحتاج إلى تغيير شـامـل عند دخول الطفـل المدرسة ومن ذلك عاداته في النوم والاستيقاظ وتناول الطعـام والإبعـاد، هـــذه العـادات عن الطفل ينبغي على الآباء تعديلها قبل بدء حياة الطفل المدرسية، وعلى ذلك فعنـد دخول المدرسة لا يحتاج الطفل إلى إعادة تكييف نفسه لكثير من

ذهاب الطفل إلى المدرسة يمثل له تغييراً كبيراً في بيئته النفسية والاجتماعية

الأمور كذلك ينبغي على الآباء أن يوقعوا الكشف الطبي على الطفل قبل دخوله المدرسة للتأكد من سلامته الجسمية وقدرته على الاحتمال للأعباء الجسمية المطلوبة في الحياة المدرسية

الإعداد النفسي

أما الإعداد النفسي فلا يقل أهمية عن الإعداد الجسمي، فالطفل يجب أن يتعود على إقامة العلاقات والاتصالات مع الأفراد خارج دائرة الأسرة، وكذلك ينبغي أن تتاح له فرص الاشتراك في المناشط الرياضية والألعاب مع غيره من أقران السن، بل إن مجرد زيارة الطفل لمدرسة المستقبل يساعده على تقبلها وعدم الخوف والرهبة من الذهاب إليها مرة أخرى.

ولكن مسؤولية المنزل لا تنتهي بدخول الطفل المدرسة، بل إنه يظل ذا أهمية كبيرة في حياة الطفل، لأنه يقضي حوالي نصف وقت يقظته في المنزل، كما أن الطفل يقضي بعض الفترات المهمة من يومه في المنزل مثل ساعة الذهاب للفراش وأوقات تناول الوجبات وبعد قضاء يوم حافل بالمناشط والأعمال والأعباء داخل جدران المدرسة، فإن الطفل يعود إلى المنزل حيث يسعى إلى الراحة والاسترخاء بمقدار ما يلقى من الراحة والتعويض وبمقدار ما يتجدد نشاطه لاستقبال اليوم المقبل.

أما العلاقة بين المنزل والمدرسة، فلها أهمية خاصة في تكيف الطفل داخل المدرسة والمنزل على حد سواء، تكيفاً لا في التحصيل الدراسي وحسب، وإنما أيضاً في النمو النفسي والعاطفي والانفعالي ويجب أن يتحقق التعاون بكامله بين المدرسة والمنزل.

ويجب أن يكون هناك فهم متبادل بين المدرسة والمنزل ويساعد هذا الفهم في حسن تكيف الطفل وسهولة نمو شخصيته من النواحي المعرفية والجسمية والعقلية والنفسية.

وليس هذا الفهم ضرورياً في بدء دخول الطفل المدرسة فحسب، وإنما هو لازم وضروري طوال حياة الطفل الدراسية، ومن سمات تعاون المدرسة مع الأسرة أن تساعد المدرسة الأب في تقرير مصير نجله، ويجب أن تتاح له فرصة إشباع طموحه مادامت قدرات ابنه الطبيعية تسمح بتحقيق هذا الطموح.



ومن المؤكد أن وجود الاتصال الدائم بين المنزل والمدرسة يساهم في حل كثير من الصعوبات التي تعترض حياة التلاميذ في أول أيام الدراسة، كما تميل بعض الأمهات والآباء إلى مصاحبة أبنائهم حتى داخل حجرات الدراسة والبقاء معهم، هذا الاتجاه وإن كان يختفي نسبياً عن الطفل من التأثير الانفعالي لموقف الانفصال، ويجعل عملية الانفصال متدرجة إلا أنه لا يساعد الطفل في الاعتماد على نفسه والاستقلال الانفعالي عن أمه ولذلك فلا ينصح بهذا الاتجاه إلا في حالة معاناة الطفل من الانفصال الشديد.

التعامل مع الطفل

وهناك مشكلة أخرى تمس طفل المدرسة الابتدائية وهي جنس المعلم.. فهل من الأفضل أن يقوم باستقبال الطفل مدرس ذكر أم مدرسة أنثى؟

يرى بعض علماء النفس أنه من الأفضل أن يتعامل الطفل الصغير مع مدرسة لأنها تشبه في كثير من الخصائص الجوهرية الأم، ومن الممكن أن تعوض الطفل عن حنان أمه وعن دورها الأنثوي بالنسبة للطفل، فالمعلمة بديلة عن الأم إلى حد كبير.

وهناك بعض الآراء التي تنادي بتأنيث التعليم الابتدائي كله، وربما كانت فكرة مفيدة بالنسبة للصفوف الثلاثة الأولى، أما الفرق الثلاث الأخيرة من المرحلة الابتدائية فبحكم ثقل محتوى المنهج الأساسي فلا مانع من الاعتماد على الرجال من المدرسين.

ومن الناحية السيكولوجية البحتة، فإن الطفل يميل إلى تقمص شخصية أحد الكبار الذين يرتبط بهم وغالباً ما يكون هذا الشخص هو المعلم ويتخذه مثالاً له، ويتشبه به ويتوحد وإياه وبذلك يعتنق كثيراً من آرائه ويتحلى بالكثير من صفاته وسماته - وحرمان الطفل الذكر من شخصية رجل يتوحد وإياه مدعاة إلى أن يتصف الطفل الذكر بصفات أنثوية إذا ظل تعليمه قاصراً على العنصر النسائي فقط.

تكيف الطفل مع الأسرة من شأنه أن يساعده في تكيفه مع الآخرين

آراء خبراء التربية المدرسية

ويرى بعض خبراء التربية أن تكون السنة الأولى من حياة الطفل المدرسية مخصصة للنشاط العام والألعاب الرياضية والمناشط الترويحية والحركية والغناء الموسيقي والرقص دون إرهاق ذهن الطفل بالمواد الدراسية في هذه المرحلة المبكرة من حياته.

وهناك رأي آخر يقول إنه لابد من إدخال المواد الدراسية اعتباراً من السنة الأولى وربما كان الاتجاه الأمثل هو الأخذ بكلا

الاتجاهين: اتجاه النشاط الترويحي، واتجاه المواد الدراسية معاً ذلك لأن إهماله المناشط الترويحية والألعاب الفردية والجماعية يمثل حرماناً كبيراً للطفل لأن ـ المناشط الترويحية والألعاب من الحاجات الأساسية للطفولة.

كذلك فإن الاقتصار على المناشط الحرة لا يعطي الفرصة لتعويد الطفل على الحياة الجديدة والتعود على الحياة الدراسية، وفي ذلك إحساسه بالمسؤولية تجاه المدرسة، ومن ناحية أخرى، فإن الطفل من سن الست سنوات يصبح قادراً من الناحية السيكولوجية على اكتساب بعض الخبرات والمعارف الأساسية في القراءة والكتابة والحساب وإهمال هذا الاستعداد عند الطفل مضيعة للوقت وضياع للفرصة.

ومن مبادىء التربية السليمة ينبغي ألا نتعجل نمو الطفل فنكلفه بالأعباء قبل نمو قدراته ولا نهمل النمو فلا تأتي الفرصة ثم نضيعها على الطفل، والوضع المثالي أن يمتزج اللعب الذي يحبه الطفل بتعليم الكلمات أوالعد والجمع والطرح والقراءة عن طريق اللعب والغناء والتمثيليات وبناء المكعبات وحل وتركيب الآلات البسيطة مع الالتزام بالوسطية التي تدعو إليها التربية الإسلامية.

أما عن دور المدرسة في إحداث التكيف النفسي والاجتماعي للطفل، فإن المدرسة يجب أن تكون مكاناً يحبه الطفل حيث يجد الحب والدفء والحنان والرعاية، ويتطلب ذلك إعادة التفكير في محتوى مناهج المدرسة الابتدائية بحيث تشتمل على الموضوعات العصرية التي يحبها الطفل، كما يحتوي على المناشط الرياضية والاجتماعية والترويحية والترفيهية التي تحبب الطفل في المدرسة.

أما عن دور المعلم سواء في معاملة الطفل وعلاقته معه، أو في فنون التدريس، فإن المعلم الحديث بحاجة ماسة إلى الخبرة السيكولوجية والإعداد السيكولوجي الواسع ليقوم بدوره الحقيقي في تربية الطفل.

مساعدة الطفل للتغلب على هذه المشكلة

ينبغي على لأسرة مساعدة الطفل على إشباع حاجاته في الحدود المقبولة حتى لا يفقد الطفل القدرة على الاستقلال عنها وتوفير فرص اعتماد الطفل على نفسه عن طريق القيام ببعض الأعمال البسيطة كتناول الطعام بنفسه، وفي المحافظة على لعبه وأدواته وترتيبها بنفسه واعتماده على نفسه في إنجاز ما يكلف به من قبل المدرسة وأن يكون مسؤولاً عن خلع بعض الملابس ووضعها في المكان المعد لها دون مساعدة الآخرين ويؤديها بنجاح من جانبه لأن من شأن ذلك أن تزيده اطمئناناً إلى نفسه وبالتالي تقلل تدريجياً من اعتماده على الغير.

كما ينبغي محاولة تنمية القدرة لدى الطفل بتشجيعة على إقامة علاقات اجتماعية مع بعض الأبناء من أصدقاء الأسرة حيث إن ذلك ينمي فيه القدرة على إقامة علاقات اجتماعية، كما أن محاولة إتاحة الفرصة لإقامة علاقات ودية بين الطفل، وأطفال آخرين من أطفال الجيران أو الأصدقاء ممن يذهبون للمدرسة ذاتها أو سيلحق بها في الوقت نفسه، فإن أحدهما سوف يشجع الآخر ويقلل من شعوره بالوحدة وهو الشعور الذي كثيراً ما يزعج الطفل المبتدىء في أول عهده بالمدرسة مع عدم إكراه الطفل على الذهاب إلى المدرسة لأن ذلك أسلوب سيىء.

كما ينبغي أن تشيد الأسرة بمحاسن المدرسة أمام الطفل في العام السابق لذهابه إليها ويفضل أن يصطحب أحد الوالدين الطفل إلى المدرسة لزيارتها زيارة عابرة ليتحقق بنفسه من أن المدرسة مكان فيه ما يسره وسيجد فيه ما يحقق سعادته وسط رفاقه فينجذب إليها لأن ذلك يهيئه لقبول فكرة الذهاب إلى المدرسة حتى يحين أوانها وعلى الأم أن تزور المدرسة بعد التحاق ابنها بها بين الحين والآخر لترشد المعلمة عن الخصائص المزاجية لابنها حتى يكتمل الدور التربوي ويحدث تعاون بين المنزل والمدرسة. وينبغي على لمدرسة أن تساعد الطفل على الاشتراك في ألوان النشاط المختلفة التي تتيح للطفل إقامة علاقات مع أقرانه وأن تهيىء له جواً مدرسياً عاماً له وحدة متماسكة تماسكاً تاماً يسهل على الطفل أن يجد مكاناً فيه، كما يسهل عليه أن يتفاعل مع عناصره تفاعلاً ويترتب عليه فهمه لنفسه وفهمه لغيره على أساس صحيح ويترتب عليه أيضاً نشوء عاطفة حب وانتماء للمجتمع المدرسي ويسهل عليه الانتقال من الاتكال على المنزل، ويحرره تدريجياً حتى يندمج في مجتمع المدرسة اندماجاً لا يفقده احترامه لذاته وبحيث يؤهله للاندماج في المجتمع الأكبر خارج المدرسة، ويكون أساسه هو الحب حتى نشعر بالطفل بالولاء للمجتمع ويعمل لصالحه.

ذلك لأن وظيفة المدرسة بالنسبة للطفل حديث العهد بها لا تختلف عن الأسرة، فينبغي أن نهيىء للطفل جواً لا يختلف عن جو الأسرة من العطف والحنان والأمن والأمان النفسي واستقبال الطفل والترحيب بقدومه لنشعره من يوم لآخر بأهميته كفرد مستقل مما يخفف من شعوره بالقلق وإحساسه بأنه ضائع وسط المجموعة الكبيرة، وذلك بسبب انفصاله عن بيئة الأسرة الآمنة المعنية بشؤونه إلى بيئة أخرى جديدة تختلف اختلافاً واضحاً عن البيئة الأولى من حيث المكان والزيادة في الالتزامات والنقص في الحقوق ومحاولة التعرف على سمات شخصية الطفل ومدى استعداده للاندماج في الجو المدرسي، لأن ذلك من شأنه أن يساعد على فهم أكثر لسيكلوجية الطفل مع الأخذ في الاعتبار أن الطفل في بيئته المنزلية يعيش في جو خاص به يشعر فيه بالأمن والطمأنينة وبالعطف والتفاهم وبالحنان ومن أجله يبذل الوالد كل الجهود في سبيل راحته وتهيئة الجو الملائم لإسعاده لأنه حق من حقوقه وعلى الأسرة أن تعمل على تنمية النواحي الذهنية والنفسية والجسمية في آن واحد وفي سن مبكرة إسهاماً منها في إيجاد جيل قوي يتمتع بالصحة النفسية ـ قادر على العطاء...

فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. ■

المراجع

رياض الصالحين للإمام النووي.

عبدالرحمن العيسوي: مشكلات الطفولة والمراهقة ـ دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٣م.

حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي ـ عالم الكتب القاهرة ـ ١٩٨٨م

أحمد عزت راجح: أصول علم النفس ـ المكتب المصري الحديث الإسكندرية ١٩٧٣م.

عبدالعزيز القوصي: أسس الصحة النفسية ـ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٢م

صلاح مخيمر: المدخل إلى الصحة النفسية ـ الأنجلو المصرية ١٩٨٢م.

عندما خاض التابعي الجليل عقبة بن نافع بحر الظلمات، أو ما يُعرف اليوم بالمحيط الأطلسي، بجواده حتى بلغ الماء بطن حصانه وهو يقول: «والله لو علمت أن وراءك قوماً لخضتك إليهم، حتى آتيهم وأدعوهم إلى الله» بعد أن وصل أقصى اليابسة، أو ما كان يعرف بالعالم القديم مجاهداً مندفعاً في سبيل الله، لم يعرف أن وراء المحيط قارات ستكتشف وعالماً سيظهر وأن الله سبحانه سيحقق له أمنيته ولو بعد قرون طويلة، فيقوم دعاة للإسلام في أمريكا بإمكاناتهم المتواضعة يخوضون في سبيل الدعوة إلى الله بحاراً واسعة، من ظلام النفوس وكثافة المادة وضمور القيم والمثل ليحملوا دعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى الغرب في عقر داره.

وينتظم هؤلاء الدعاة الذين يعملون في تلك الأجواء الصعبة والظروف البالغة التعقيد بمجهوداتهم الفردية، يقدم إليهم بين الحين والآخر من أهل الخير من المسلمين الذين يهمهم أن ينتصر الإسلام حيث حل وترتفع رايته في كل مكان في مؤسسة كبرى تشرف على جميع شؤون المسلمين في أمريكا وكندا، وهي الاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية.

مؤسسات اسلامية

الاتحاد الإسلامي لمسلمي المهجر تجربة ناجحة

إعداد: طارق البكري



أهداف الاتحاد

للاتحاد الإسلامي أولويات وأهداف يسعى إلى تحقيقها وهي:

١ ـ إعداد برامج دعوية خاصة لدعوة غير المسلمين بصفة خاصة في الجامعات بين الشباب الأمريكي.

٢ ـ تأسيس مدارس إسلامية تعمل بمقررات معدة خصيصاً لتحتضن الناشئة وتحميهم من الانحرافات المنتشرة داخل المدارس الأمريكية وتوجههم الوجهة الإسلامية لبناء شخصيتهم الإسلامية المتميزة.

٣ ـ توفير المال اللازم لضمان استمرار العمل الإسلامي مع إعداد الكفاءات المناسبة لدفع هذا العمل وتطويره، ويتم كل ذلك بالتخطيط المحكم والبرامج التدريبية المناسبة مع الاهتمام بتنظيم حملات لجمع التبرعات في الداخل والخارج.

٤ ـ قوة المجتمع الإسلامي تكمن في وحدته وترابطه، لذلك يعمل الاتحاد من خلال مؤسساته ومنظماته على جمع المسلمين في مسيرة واحدة، ويمد كذلك يد التعاون مع المنظمات الإسلامية الأخرى التي تتفق معه في الأهداف.

الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية بدأ تأسيسه في عام ١٩٨٣ بمؤسسات ومراكز إسلامية عدة

مرحلة التأسيس

تأسس الاتحاد في يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٨٣م ليضم في مؤسساته عدداً من الجمعيات والمراكز الإسلامية العاملة، مثل اتحاد الطلبة المسلمين واتحاد الجاليات الإسلامية، والوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية ومركز الدعوة والتعليم الإسلامي وجمعية الأطباء المسلمين، وجمعية العلماء والمهندسين المسلمين، ورابطة الشباب المسلم العربي وجماعة الدراسات الإسلامية الماليزية.

وجاء الاتحاد الإسلامي كمحصلة رئيسية



لجهود آلاف من العاملين في الحقل الإسلامي من الطلبة وأبناء الجاليات الإسلامية والمهنيين، أداء للأمانة وهداية للبشرية ونوراً للعالمين، وتحقيقاً لتعاليم الإسلام في النفس والمجتمع، ومرحلة جديدة تنتقل بها أهداف العمل الإسلامي في أمريكا الشمالية للحفاظ على الهوية واستقرار الدعوة واستمرارها وانتشارها حتى يتحقق وعد الله.

فالإسلام دين عالمي للبشرية جمعاء، والاتحاد يسعى إلى تبليغ رسالة الإسلام الصحيحة النقية إلى الناس كافة وأن يرشدهم إلى الطريق القويم.

عضوية الاتحاد

ويعتبر الاتحاد الإسلامي من أكبر المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية، وتصل عضويته المركزية إلى نحو ستة آلاف عضو، وعلى مستوى القارة يتمثل وجود الاتحاد في أكثر من ١١٥ مركزاً لاتحاد الجاليات الإسلامية، و٢١٥ فرعاً لاتحاد الطلبة المسلمين، وتضم هذه المراكز والفروع في عضويتها ما يزيد على مئة ألف مسلم، وهي مفتوحة لكل المسلمين في أمريكا الشمالية الذين ارتضوا الإسلام ديناً ومنهجاً متكاملاً لحياتهم، وكذلك يتيح الاتحاد لأي منظمة إسلامية أمريكية أن تنضم إليه لتنسيق أهدافها ونظمها مع دستور الاتحاد وتعمل من داخله.

وتتكون الهيكلية التنظيمية للاتحاد من مجلس الشورى والمجلس التنفيذي، ويمثل مجلس الشورى القيادة الحقيقية للاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية، ويناط به مهمة رسم اللجان وقبول المنظمات وجمع التبرعات داخل وخارج أمريكا الشمالية ويقوم تحت مبدأ الشورى بتوجيه العمل الإسلامي لتحقيق الأهداف المنشودة وينتخب أعضاء الاتحاد ثلثي أعضاء المجلس لدورة مدتها ثلاث سنوات، الثلث الأول يمثل المسلمين في أمريكا الشمالية وكندا بشكل عام، أما الثاني فيمثل الأقاليم التابعة للاتحاد، ويتكون الثلث الأخير من أعضاء معينين يمثلون المنظمات المختلفة والمؤسسات التي يتكون منها الاتحاد.

كما أن عدد أعضاء المجلس الحالي ٤٥ عضواً يتم انتخابهم من بين المسلمين المعروفين بالسيرة الحسنة والالتزام والنشاط الإسلامي على المستوى المحلي داخل أمريكا الشمالية وخارجها.

> **للاتحاد الإسلامي أولويات منها: إعداد برامج خاصة بالدعوة، وتأسيس مدارس، وتوحيد رابطة مسلمي المهجر**

المجلس التنفيذي

أما المجلس التنفيذي فيدير أنشطة الاتحاد المختلفة ويتكون من رئيس الاتحاد ونائب رئيس الاتحاد في الولايات المتحدة، ونائب رئيس الاتحاد في كندا وستة أعضاء آخرين يتحملون مسؤوليات محددة يختارهم رئيس الاتحاد بموافقة مجلس الشورى وأعضاء المجلس، ويشترط فيهم أيضاً توافر شروط الكفاءة التي وضعت لأعضاء مجلس الشورى.

يقوم المجلس التنفيذي بوضع قرارات مجلس الشورى موضع التنفيذ ويقوم كذلك بتحضير الميزانية العامة والخطط المرحلية ويشرف على أعمال الأمانة العامة واللجان ويقوم بكل واجبات القيادة التنفيذية في الميدان.

وتتكون الأمانة العامة من الأمين العام ومديري الإدارات والموظفين ومهمة الأمانة تسيير الأعمال اليومية للاتحاد الموكلة إليه،

وتقوم كذلك بمساعدة المجلس التنفيذي في تنفيذ برامج الاتحاد ومشروعاته، ومن وظائف الأمانة العامة إعطاء العمل الإسلامي الاستمرارية في النشاط والخبرة والاستقرار، ومقر الأمانة العامة هو المركز الإسلامي في أمريكا الشمالية في بلينفيلد ـ انديانا، ويضم ـ بالإضافة إلى مكاتب الأمانة في أمريكا، كلاً من اتحاد الجاليات الإسلامية، واتحاد الطلبة المسلمين، ورابطة الشباب المسلم العربي، واتحاد الجمعيات الطبية الإسلامية، ومكتب الخبراء والمهنيين.

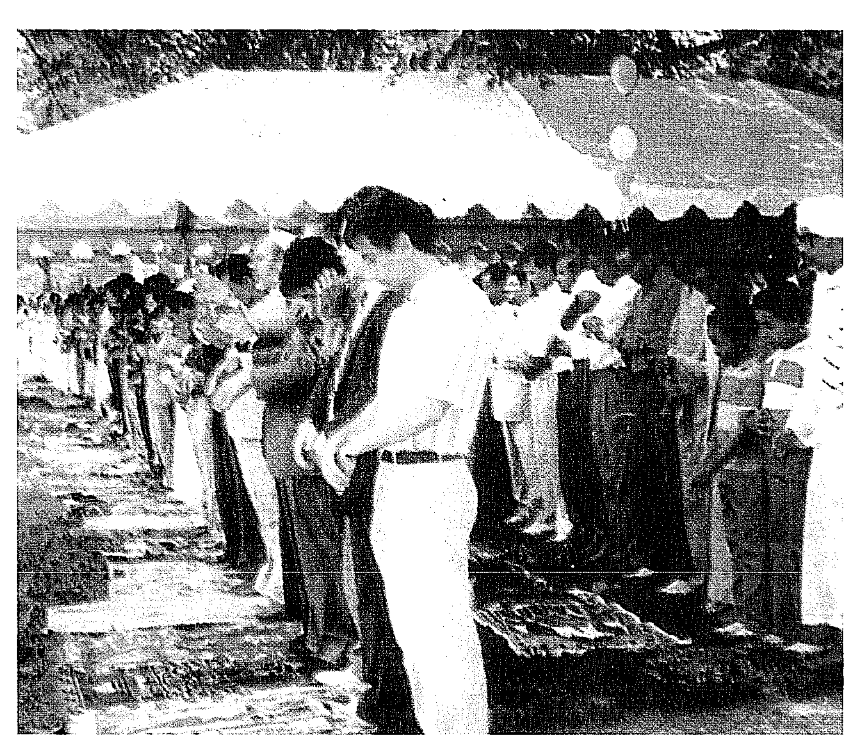
وتضم عضوية الاتحاد عناصر شتى من المسلمين العاملين، ويعمل في حقله الشباب والشيوخ من الرجال والنساء، وتجدهم في كل مدينة وكل ولاية في أمريكا الشمالية بعضهم من أصل أمريكي والبعض الآخر من الأمريكيين المتجنسين، وتضم آخرين من مختلف بلاد العالم الإسلامي المعروفة، يتحدثون بألسن عدة تربطهم جميعاً عقيدة الإسلام متخطية الألوان والأعراق والطبقات، وهذه الصفة التي يتميز بها الاتحاد الإسلامي أكسبته قوة خاصة فقد أحيت في نفوس أعضائه الأمل والشوق إلى تحقيق المجتمع المسلم الكريم.

أنشطة الاتحاد

من أهم أنشطة الاتحاد، المؤتمر السنوي العام وهو أكبر تجمع للمسلمين في القارة الأمريكية والذي يستمر لمدة أربعة أيام ويشمل برامج للكبار والصغار وبرامج خاصة للنساء وبجانب المؤتمر السنوي تعقد ثلاثة مؤتمرات فرعية في شرق وغرب الولايات المتحدة وفي كندا، وتهدف برامج هذه المؤتمرات إلى إبراز الشخصية الإسلامية وعرض القضايا الإسلامية ومناقشتها بوساطة العلماء والمختصين بهدف إعداد المجتمع المسلم في أمريكا وتقويته.

إلى جانب ذلك تقوم فروع ومراكز الاتحاد المنتشرة في أمريكا الشمالية بعقد العديد من المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية.

كما رأى الاتحاد أن العمل الإسلامي يحتاج إلى نوعيات مدربة وقادرة على حمل أعباء الدعوة، ولذلك وجه جلّ اهتمامه لإمداد الدعاة ويتم تنفيذ هذه البرامج من خلال مخيمات خاصة تركز على تعلم الدين وسبل نشر الدعوة وطرائق العمل وفنونه ليتم من



خلال ذلك تقوية الالتزام وتنمية روح البذل والعطاء.

ويشكل الشباب من الطلاب الوافدين وأبناء المسلمين المقيمين في أمريكا الشمالية نسبة كبرة من أعضاء الاتحاد، وتقوم لجنة الشباب في الاتحاد بإعداد وتنفيذ ومراقبة النشاط الشبابي الإسلامي في الحلقات التعليمية وفي المعسكرات والرحلات الخاصة بذلك.

أعمال الاتحاد

ويقوم أعضاء الاتحاد بالاشتراك في برامج الحوارالديني التي تعقد في الجامعات وفي الكنائس وفي المراكز الإسلامية والتي يحضرها غير المسلمين، وتساهم هذه البرامج، مساهمة ملموسة في نشر

الاتحاد الإسلامي لمسلمي المهجر يعتبر من أكبر المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية

الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين، كما يقوم أعضاء بعض الفروع بتقديم برامج تلفزيونية أسبوعية لتعريف الإسلام للمشاهد الأمريكي والكندي، وتنتشر في فروع الاتحاد بالجامعات اللجان الخاصة بالدعوة وتقوم بأنشطة منظمة يتم الآن تنسيقها لتكون مراكز انطلاق للإسلام بإذن الله. ويزود الاتحاد فروعه ومراكزه المختلفة بالمحاضرين الذين لهم القدرة على إلقاء المحاضرات في الموضوعات الإسلامية المختلفة لتغطية المناسبات الإسلامية أو أي مناسبات أخرى لنشر المعرفة والفكر الإسلامي. وبالإضافة إلى الصحف والنشرات العديدة التي تصدرها فروع الاتحاد، يقوم الاتحاد بإصدار نشرة شهرية تسمى «آفاق إسلامية» تحمل أخبار الاتحاد والنشاط الإسلامي في أمريكا الشمالية، وأخبار العالم الإسلامي، إلى مجلة ربع سنوية تسمى «الاتحاد» تعنى بقضايا الحركة الإسلامية وفكرها

وأخيراً نود أن نقول، إن الوجود الإسلامي المؤثر في العالم لا يتم إلا بوجود صف إسلامي عريض يدعم ويؤازر ويساند أي عمل إسلامي بناء، بهدف نشر الإسلام وتوطيد أركانه في العالم. ■

كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان عام ٢ هـ أول مواجهة عسكرية مع المشركين، وكان للنتائج التي أسفرت عنها آثار بعيدة المدى على الدعوة، فما الذي جعل المسلمين يقبلون خوض هذه المعركة، بل ويرتاحون إلى خوضها؟ ذلك ما يكشف عنه تحليل ما جرى من وقائع منذ الهجرة، لا في المجال السياسي فحسب، بل في المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

دراسات عسكرية

كيف أعد الرسول ﷺ المسلمين لمواجهة أعدائهم بعد الهجرة

اللواء: محمد جمال الدين محفوظ

أولاً تأمين الجبهة الداخلية:

ليس من شك في أن استقرار الجبهة الداخلية وقوتها ضرورة حيوية للنجاح في العمليات العسكرية في جبهات القتال، وذلك كان أول ما عمد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلى المدينة حيث وحد صف الأنصار من الأوس والخزرج، وربط المهاجرين بالأنصار بصلة الأخوة، وعقد معاهدة بين المسلمين من جهة، وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى.

وبهذا العمل السياسي البارع حقق الرسول صلى الله عليه وسلم وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية، وجعل أهلها جميعاً على اختلاف دينهم يداً واحدة على أعدائهم، كما وضع لمجتمع المدينة نظامه الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على تأمين الجبهة الداخلية ببث العيون والأرصاد والقضاء على محاولات تفتيتها.

ثانياً: دراسة مسرح العمليات

كانت الأعمال القتالية قبل الإسلام تتخذ شكل الغارات، وهي أعمال محدودة تنحصر في مساحة محدودة هي أرض الخصم التي غالباً ما تكون مطروقة ومعروفة للمهاجم، أما بعد الإسلام فقد طرأ تغيير في شكل الصراعات وطبيعتها تمثل في اتساع مسرح العمليات بالنسبة للمسلمين حتى أصبح يشمل شبه الجزيرة العربية برمتها، الأمر الذي جعل من الضروري لهم أن يدرسوه ويتعرفوا على الطرق وموارد المياه والوديان والجبال والسكان وغيرها.

وكانت دراسة هذا المسرح بالنسبة «للمهاجرين» ضرورية للغاية لأنه لم يكن لهم إلف بتلك المساحة، وهذا ما حرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في العمليات التي جرت قبل معركة بدر حيث كانت قوتها مشكّلة من المهاجرين «ليس فيهم من الأنصار أحد»، فلم يمض عليه ثمانية أشهر فقط من مقامه بالمدينة حتى بعث أربع سرايا وقاد بنفسه أربع غزوات، وقد تمت جميعها خلال عشرة أشهر فقط من رمضان سنة ١ هـ إلى رجب سنة ٢ هـ كما يلي (انظر الخريطة):

(١) سرية حمزة: في رمضان سنة ١ هـ وقوامها ثلاثون راكباً من المهاجرين بقيادة حمزة بن عبدالمطلب إلى العيص على ساحل البحر.

(٢) سرية عبيدة بن الحارث: في شوال سنة ١ هـ وقوامها ستون «أو ثمانون» رجلاً من المهاجرين إلى وادي رابغ.

(٣) سرية سعد بن أبي وقاص: في ذي القعدة سنة ١هـ وقوامها عشرون رجلاً من المهاجرين إلى الخرار.

(٤) غزوة ودَّان «الأبواء»: في صفر سنة ٢ هـ وقوامها مئتا رجل إلى ودان.

(٥) غزوة بُواط: في ربيع الأول سنة ٢ هـ وقوامها مائتا رجل إلى بواط.

(٦) غزوة ذات العُشيرة: في جمادى الآخرة سنة ٢ هـ وقوامها مئتا رجل إلى العشيرة.

(٧) غزوة بدر الأولى: في جمادى الأخرة سنة ٢ هـ وقوامها مائتا رجل لملاقاة كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة «أي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة» وقد بلغ المسلمون وادياً يُقال له سفوان من ناحية بدر وفاتهم كرز فرجعوا إلى المدينة.

(٨) سرية عبدالله بن جحش: في رجب سنة ٢ هـ وقوامها ثمانية «أو اثنا عشر» رجلاً من المهاجرين إلى وادي نخلة بين مكة والطائف في مهمة استطلاع لقافلة قريش.

فهذه العمليات قد «غطت كل الطرق المعروفة في اتجاه الشمال والغرب والجنوب والجنوب الغربي من المدينة، وحظي طريق القوافل من مكة إلى الشام على ساحل البحر بأكبر قسط من تلك

العمليات، وفي مواضع مختلفة على امتداده من الجنوب إلى الشمال، هذا فضلاً عن الطريق بين المدينة وبدر، وعن وصول سرية عبدالله بن جحش إلى وادي نخلة بين مكة والطائف، كما أن معظمها بعيد المسافة يتراوح بعدها ما بين ١٥٠ إلى ٤٠٠ كيلو متر.

ثالثاً: معاهدة القبائل المجاورة

عقد الرسول صلى الله عليه وسلم اتفاقات مع مختلف القبائل العربية المجاورة ومن ذلك على سبيل المثال معاهدته مع بني ضمرة في غزوة ودان، ومع بني مدلج وحلفائهم في غزوة ذات العشيرة، وقد كان لهذا العمل الدبلوماسي البارع نتائج استراتيجية لصالح المسلمين على مدى الصراع، ونذكر فيما يلي ما نصت عليه المعاهدة مع بني ضمرة:(١)

«هذا كتاب من محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من ناوأهم، وأن لا يحاربوا في دين الله، وأن النبي إذا دعاهم لنصرة أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله، ولهم النصر على من بَرَّ منهم واتقى».

ومن نتائج تلك المعاهدة نذكر ما يلي:

(١) كفالة حرية المسلمين في نشر الدعوة مما يزيد من قوة المسلمين في مواجهة أعدائهم.

(٢) كفالة حسن الجوار والمعاملة، ولم يكن ذلك ليتحقق لو لجأ المسلمون إلى الإغارة على تلك القبائل، بدلاً من معاهدتهم الأمر الذي يدل على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إدارة الصراع، فإن كسب صديق أفضل من كسب عدو.

(٣) حرمان قريش من محالفة هذه القبائل والحصول على معاونتها سواء بتأمين طريق التجارة، أو بشد أزرها بالعدوان على المسلمين بالمدينة أو تهديد طرق تحركاتهم أو مواصلاتهم الأمر الذي جعل قريشاً ـ وقد أصبح طريق تجارتها محفوفاً بالمخاطر ـ مضطرة إلى الاعتماد على نفسها في حراسة قوافلها وتزويدها بما يتطلبه السفر الطويل من مؤن وخدمة.

(٤) تحييد القبائل التي بينها وبين قريش موادعة، ومن أمثلة ذلك مجدي بن عمرو الجهني الذي كان موادعاً لقريش وللمسلمين، فوقف موقف الحياد بين قوة المسلمين وقوة قريش في سرية حمزة إلى العيص ولم ينـاصر أي طرف منهما على طرف، ولو لم يكن المسلمون قد وادعوه من قبل، فلربما ناصر قريشاً على المسلمين.

(٥) حرمان قريش من «حريةالعمل» وذلك «بتضييق» المساحة التي تستطيع التحرك فيها للعمل ضد المسلمين، وذلك بإحاطة المدينة بقوى حليفة أو محايدة.

(٦) حرمان قريش من «القواعد الخارجية» التي تسمح لها بأن تقوم بعدوان غير مباشر ضد المسلمين.

رابعاً: إضعاف قوة العدو الاقتصادية:

وقد استطاع المسلمون في هذه العمليات تهديد تجارة قريش التي تعيش عليها لكي تفهم أن في مصلحتها التفاهم مع المسلمين تفاهماً يكفل لهم حرية الدعوة إلى الدين، ولم يكن هذا التفاهم ممكناً بغير هذا التهديد، لأنه هو الذي يشعر قريشاً بقدرة المسلمين على الإيقاع بهم، وإيصاد طريق التجارة في وجهها، ولقد ظهر ذلك بوضوح حين شعرت قريش بأن طريق تجارتها قد أصبح محفوفاً بالمخاطر مما يؤدي إلى كساد تجارتها، وقد عبر عن ذلك قول صفوان بن أمية لقريش: «إن محمداً وأصحابه قد عَوَّروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم «يشير بذلك إلى المعاهدات مع القبائل» ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا في دارنا هذه، أكلنا رؤوس أموالنا، فلم يكن لها من بقاء، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء، فقال له الأسود بن المطلب: «تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق» ثم دله على فرات بن حيان من بني بكر بن وائل ليكون رائدهم في هذه الرحلة، وتجهز صفوان من الفضة والبضائع بما قيمته مئة ألف درهم.

وما لبث الرسول صلى الله عليه وسلم أن بعث زيد بن حارثة بمئة راكب يتعرضون للقافلة، فلقيها زيد عند ماء يقال له «القردة» (وهي ماء في نجد في الرمة لبني نعامة) ففر المشركون مذعورين، وأصاب المسلمون القافلة وأسروا دليلها فرات بن حيان، فلما جيء به إلى المدينة دخل الإسلام(٢).

وهكذا نجح المسلمون في ضرب «الحصار الاقتصادي» على قريش بحرمانها من طريق مكة ـ العراق، كما حرموها من قبل من طريق مكة ـ الشام.

خامساً: الاحتكاك المباشر بالعدو:

● وقد حققت العمليات التي سبقت بدر قدراً من الاحتكاك المباشر بقريش لا يصل إلى حد نشوب القتال ولكنه ينمي في المسلمين ثقتهم في قدرتهم على الدفاع عن عقيدتهم وعن أنفسهم عند الحاجة، وفي قدرتهم على قهره في المعركة.

● وينطبق على هذه الآثار اصطلاح معروف في العلم العسكري هو تطعيم المقاتلين ضد شدائد المعركة، فكما يؤدي تطعيم الإنسان بالمصل الواقي إلى تحصينه ضد الأمراض الوبائية الفتاكة، فإن اشتراك الرجال في بعض العمليات القتالية المحدودة من حيث طبيعتها وأهدافها والأخطار التي تنطوي عليها مثل الإغارات والكمائن ومفارز «دوريات» القتال، يؤدي إلى تحصينهم ضد شدائد الحرب ومعاناتها القاسية على النفوس والعقول والأجسام، واحتفاظهم بإرادتهم القتالية وروحهم المعنوية مهما اشتد القتال.

● وهكذا كان المسلمون قادرين على مواجهة التحدي في بدر، فكان جوابهم حين استشارهم الرسول صلى الله عليه وسلم قبل المعركة «اذهب أنت وربك فقاتلا إن معكما مقاتلون»... «وامض لما أردت فنحن معك.. فسر بنا على بركة الله..»، ودارت المعركة فغلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله، وفرح المؤمنون بنصر الله. ■

هوامش:

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص ٣٤٧ ـ محمود إبراهيم الديك «الدكتور»: المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ص ١٢١ ـ جمهرة رسائل العرب ج١ ص ٧٠.

(٢) الواقدي: مغازي رسول الله ص ١٥٤ ـ ١٥٦.

المسلمون والعلوم المستقبلية
أين نحن من علم المستقبل

لطالما شغلني هذا السؤال منذ ان بدأ وعيي يتفتح بالحياة.. ولطالما ملك عليّ نفسي وعقلي وانا انظر حولي ببراءة الأطفال وشدة ملاحظة الشيوخ والكبار، فلا أرى سوى من يشتغل بالماضي بغير فهم، او يقف عند الحاضر بتفكير ناقص.. واذ بالجمود يلفنا من كل جانب او بعض الجانب بينما بلدان اخرى اخترقت حاجز الماضي والحاضر لتصل الى المستقبل تدرسه وتستشرفه.. تناوره وتحاكيه وتبارزه.. تؤسس المعاهد العالية المختصة بالمستقبل وتضع المقرارات التي تدرس آلية عمل هذا المستقبل.. تواجه فرضياته بروح الفريق العلمي المتميز وتستقصي اسراره وسننه وقواعده بمجموعات من الباحثين المتخصصين، ويبرمج حياتها وكأنها في المستقبل تحيا، وهي لما تطرق أبوابه، او تضع خطوة واحدة في طريقه.. واذ بعد فترة صار تركيز جهودها علم مستقل علم قائم بذاته.. وصارت قواعده واحكامه وآليه عمله تحت السيطرة عموماً، ولم يعد المستقبل تلك الهواجس او الأحلام وماتحمله من مفاجآت يقف الانسان حيالها حائراً او خائفا لايقدر على شيء سوى الاحتماء من كوارثه والأختفاء من نائباته..

د. عادل حسون الخنساء

وعلم المستقبل يختلف اختلافا كبيرا وجذريا عن علم الغيب.. فاذا كا علم الغيب من اختصاص الله سبحانه وحده لاشريك لـه.. فإن علم المستقبل من اختصاص الانسان.. لأن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الانسان وزوده بهذه النفخة الروحانية النورانية من روحه الكريمة سبحانه« وهي نفخة الفكر والعقل» أي الطاقة العقلية بالمفهوم العلمي للكلمة.. جعل هذا العقل يمتلك قدرة فائقة على الاختراق للمعضلات البشرية والمشكلات الانسانية يراها في الحاضر ويتوقعها في المستقبل وإلا فقدت هذه الطاقة العقلية عظمتها وقيمتها ولم تكن دليلاً رفيعا على عظمة الله.. لأنه وكما هو معلوم تكون عظمة المخلوق دليلا على عظمة الخالق بمعنى قدرة العقل البشري على الاختراق سواء اختراق الماضي باستقصائه واستشفافه أو باختراق المستقبل باستقصائه واستشرافه انما هو برهان على عظمة الخالق الذي خلق بنفسه هذا العقل واراد له ان يكون كذلك بهذا المستوى اللائق الذي به يرتفع مخلوقه ليكون شاهداً على عظمة الخالق.. ونتيجة لذلك يكون علم المستقبل مختلفا كل الاختلاف عن علم الغيب فالأول من اختصاص الانسان والثاني من اختصاص الله.

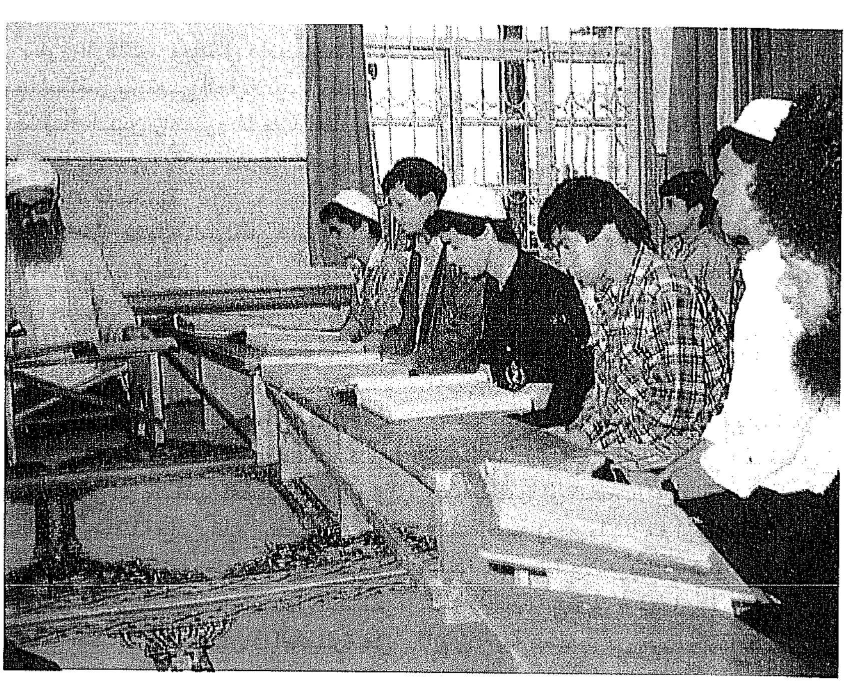
مثلما ينبغي للإنسان ان يدرس تاريخه ليستفيد من تجاربه، عليه ان يدرس المستقبل ليستفيد من احتمالاته

نخلص من ذلك إلى ان علم المستقبل هو من اختصاص الانسان وهو كغيره من العلوم التي يعمر بها الانسان هذه الارض.. اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وعلميا واعلاميا.. وهو بمعنى آخر يتميز بآلية عمل محددة وقواعد واحكام مرتبة وسنن وقوانين منظمة.. وماعلى الانسان العاقل او المجتمع العاقل إلا العمل على اكتشافها وتطبيقها والاستفادة من نتائجها. ومثلما يدرس الانسان التاريخ ليستفيد من وقائعه وتجاربه فعليه ان يدرس المستقبل من احتمالاته وممكناته انطلاقا من قرارات صائبة واضحة وواقع حاضر مشاهد ومدروس.

تسميات مختلفة لعلم الاشتغال بالمستقبليات

عندما يظهر علم من العلوم تتعدد في كثير من الأحيان تسمياته حسب المجتمع الذي نما فيه، وحسب الرؤى المختلفة لأفرقة الباحثين وتخصصاتهم. ينطبق هذا على ذلك العلم المستقبلي.. ففريق من العلماء يطلقون على هذا العلم اسم «علم استقراء المستقبل بينما يطلق عليه فريق آخر علم المستقبليات، او علم تنظيم المستقبل»،او علم صناعة المستقبل، او علم ادارة المستقبل.. وهنالك من يركز على مصطلح استشراف المستقبل، او علم بحث المستقبليات، او علم بحث السياسات المستقبلية، وعلم دراسة المستقبليات وعلم التنبؤ المشروط او علم التنبؤ التخطيطي وغير ذلك من المترادفات التي تتوالد بين الفينة والفينة، والتي تختلف درجات تقبلها وشيوعها من منطقة الى اخرى، غير انها في مجموعها لتعبر عن مضمون ذلك العلم الجديد والمعاصر الذي يتميز بكونه الوعاء

الـــذي يمكن من خـــلالـــه رسم صـــورة للمستقبل بهدف احكـام السيطـرة عليـه في اطار مـن العلمية والموضوعيـة. نخلص من ذلك إلى ان العلـوم المستقبليـــة ســواء اطلق عليهـــا علم بحـــوث المستقبليـــات،او علم الاستقباليـة او الاستشرافية او غير ذلك من الاسماء هو علم لايخرج عـن دائرة التنبؤ في الممكن.. كمحـاولة لحل اشكاليـة المستقبل بـالـوسائل العلميـة الكفيلـة بتنظيم حيـاة المجتمعات بطريقـة تعود بالنفع العميم على حاضر الاجيـال الحاضرة ومستقبل الاجيال المقبلة..



مضامين علم المستقبل ومافهيمه

علم المستقبل حسب مايراه انـدريه بوفر في كتـابه بنـاء المستقبل١٩٧٦ هـو ذلك العلم الذي يدرس الاسباب العلميـة والاقتصادية والاجتماعيـــة التي تـدفـع تطـور العـــالم الحاضر، والتنبـؤ بالاوضـاع التي يمكن ان تنجم عن تأثير هـذه الاسباب.. بينما يـرى العالم«شان» ان علم المستقبليـات ماهو إلا ذلك التخصص الجديد العلمي الذي يختص بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على اساسهـا يتم اتخاذ القرارات السيـاسية في مختلف مجالات السلـــوك الانســـاني مثل الاعمال التجـارية والحكـومية والتعليميـة، والغـرض من هـــذا التخصص العلمي هـو مســاعـــدة متخـذي القـرارات وصـــانعي السيـاسيـات على ان يختـاروا بحكمـة –في اطار اغراضهم وقيمهم– من المناهج البديلة المتاحة للفعل في زمن معين.

ويرى الـدكتور ضياء الدين زاهـر في بحثه حـول علوم المستقبـل في التربية ان بحـوث المستقبـل او علم المستقبـل لايتضمن فقـط دراسة معلومات الماضي والحاضر والاهتمام بهما انما يتضمن الى جانب ذلك استحضار واستشراف المستقبـلات البـديلـة الممكنـة والمحتملة واختيار البـديل المرغوب منها ثم التخطيط والعمل على تحقيقـه وهي مسـألـة تحتاج الى جهد شاق ومكثف.

اختلاق النظريات حول مفهوم المستقبل

ابتداء ينبغي التفريق بين علم المستقبل وبين المستقبل في حــد ذاتــه.. فـــاذا كـــان علم المستقبل يعني بأبسط معانيه مجموعة من المحاولات التكنولـوجية او الاجتماعية التي تختص بصقل البيانات وتحسين العمليات لـرسم صـورة معقولـة للمستقبل تمهيـدا للسيطـرة على آليـة عملـه.. فـان المستقبل مجموعـة من الاحتمالات والظـروف خارج دائرة الزمن الحاضر والذي يحمل في طياته كثيرا من المفاجآت والازمـات وبمعنى آخر ان المستقبل في حـد ذاته غير قـابل للتـوقع ولايمكن احتجـازه في سلسلة من التنبـؤات وذلك لكثـرة وجـود العـوامل المحتملـة فيه..فيكـون علم المستقبليـات هو الـرباط الـــذي يـربـط بين الحاضر والمستقبل كي يتمكن المجتمع في أيـــة لحظـــة من اتخاذ القـرارات العقـــلانيـة الممكنـــة والهادفـة والصحيحـة من خـلال رؤية ديـناميكيـة للمستقبلية مما يعني آخر الامر الانتقال من الاندفاعات الغـرائزية القائمة على الارتجال الانفعالي الـلاعقلاني الى نوع من العقـلانية الممكنة والواسعة للسلوك والتفكير من اجل المستقبل.«ضيـاء الدين زاهر– المجلة العربية التربوية–ديسمبر١٩٩١».

علم المستقبل هو الرباط الذي يربط بين الحاضر وبين الآتي ليتمكن المجتمع من اتخاذ القرار المستقبلي السليم

ويمكن وبصفة مستحسنة تصنيف عدد من النظـريات المختلفـة حول مفهـوم المستقبل بشكل ييسر للقـارىء والـدراس والبـاحث والمتخصص معـرفة خلفيـة كل نظريـة كي يتمكن من اتخاذ مـوقف اكثر عمليـة واكثر مـوضـوعية عنـد محاولتـه فهم آليـة عمل المستقبل وبـــالتـــالي فهم حقيقـــة علم المستقبل..ومن هذه النظريات والآراء:

١–نظـرية القـانونيين ويـرى انصار هـذه النظـريـة ان المستقبل يمكن ان يتـوافق مع خطة مثـالية يطمحون اليهـا، فالمستقبل في نظرهم يمكن ان يخدم طموحاتهم المثالية.

٢–نظرية التقنيين« التكنولوجيون»

حيث يـرى انصار هـذه النظريـة ان التقدم التكنولوجي اذا استمر تواتره على ماهو عليه من تطـور فقد يؤدي إلى الانفجـار.. بمعنى انهم يتوقعـون بدقة حدوث انفجـار للتقدم التكنولوجي مستقبلا.

٣–نظرية المنطقيين

ويرى اتبـاع هذه النظـرية ان المستقبـل قد يحقق لهم امكانية اكتشاف بعض العقلانية

في تطور الوقائع.. وبالتالي فإنهم يتعاملون مع المستقبل بمنتهى العقلانية» انظر د.ضياء الدين زاهر – المجلة العربية التربوية ديسمبر ١٩٩١–المرجع نفسه».

٤–التربية السلامية

ويرى اتباع هذه النظرية ان المستقبل هو مرحلة زمنية مقبلة تتضمن خيرا وشرا، يمكن من خلال الاستعداد الكامل والفهم الشامل وترتيب بدايات صحيحة لجميع الاوضاع والظروف وفق قواعد العقيدة الاسلامية وضمن حدود البحث العلمي السليم والصحيح والهادف.. يمكن الوصول الى مستقبل افضل للاجيال الحاضرة والمقبلة بإذن الله.. بمعنى ان علم المستقبل علم ممكن فهمه وممكن التعامل معه وممكن تكييفه من خلال الحاضر وحسب امكانات الانسان في السيطرة على قوانين المستقبل وآلية عمله بحيث يختلف ذلك عن علم الغيب الذي هو من اختصاص الله لايطلع على علمه احد الا من ارتضى من عباده.

اعتدال المفهوم الاسلامي للمستقبل

ومن هذا المنطلق تقف النظرية الإسلامية لعلم المستقبل الموقف المعتدل الذي لايقع في الخلط بين الغيب والمستقبل والذي لايسمح فيه للانسان بأن يكون جاهلا لحقائق المستقبل ولا سلبيا في التعامل معه بل مدعوا لان يكون ايجابياً في منتهى الايجابية في تحقيق أكبر استفادة وافضل استثمار للمستقبل بالحث على دراسة علم المستقبليات باعتباره احد العلوم البشرية والانسانية التي تحقق السعادة والحياة الكريمة للانسان وتحقق العمران التقدم للمجتمع.. وهذه احدى اهم الغايات التي وجد الانسان لاجلها في هذه الحياة وشاء الله بحكمته ان يزوده بالطاقة العقلية التي هي نفخة من روح الله وذلك كي يتميز الانسان بهذه النفخة عن الحيوان «غير القادر على بناء الحضارات وانشاء المدنيات وابتكار المعارف والعلوم» وكي يتميز ايضا عن الملائكة ذوي القدرات الخاصة والمكلفين بالتعهد لله دون الاشتغال بعمران الكون.. ان المستقبل في النظرية الاسلامية الصحيحة هو حاضر قادم.. وبما انه حاضر فإن التعامل معه سهل اذا ماقدر الإنسان هذا المخلوق الكريم اعمال هذا العقل اعمالا صحيحا بعيداً عن الخيال الواهم او الهواجس او التوهمات والاحلام وبعيداً عن استخدام هذا العقل في البحث في امور لاتنفع الانسان بل بالعكس تهيء الاسس لفنائه وتدمره.. وبالتالي فإن إعمال العقل في النظرية الاسلامية المستقبلية اي المرتبطة بعلم المستقبل انما يكون إعمالا واقعيا معتدلا بعيدا عن السلبية وبعيدا عن الايجابية المبالغ فيها والتي قد تصل المبالغة فيها الى نتائج سلبية، وكأن النظرية الاسلامية في تعاملها مع المستقبل اخذت بمبدأ لا إفراط ولاتفريط.. وهو مبدأ رائع لانه يجعل المستقبل – فهما وتعاملا – بين ايدي أمينة تستفيد من خيره وتتفادى كثيرا من شره.

مشكلات البشرية وعلم المستقبل

كثيرة جداً هي المشكلات المعقدة التي تواجه العالم في حياتنا المعاصرة كماً ونوعاً مشكلات سياسية ومشكلات اقتصادية.. مشكلات عسكرية ومشكلات ثقافية واجتماعية..مشكلات اعلامية ومشكلات بيئية.. تواجه بلدانه الكبيرة مثلما تواجه بلدانه الصغيرة.. ويقلق وجودها العالم الاول مثلما يقلق وجودها العالم الثالث « ومنه عالمنا العربي والاسلامي» حتى انه ليمكن تسمية عصرنا الحالي بأنه عصر المشكلات.. قياسا على عصر العلم وعصر السياسة وعصر الادارة وعصر الإعلام وعصر الانترنت وهكذا..

بكل إخلاص أوجه نداء إلى المسؤولين لتأسيس مركز عال للدراسات المستقبلية في الكويت بخاصة كي يكون لها

لكن الى جانب هذه السمة السلبية التي تميز بها عصرنا الحالي باعتباره عصر المشكلات المعقدة فإن هنالك سمة اخرى ظهرت واضحة في منتصف هذا القرن واخذت تتبلور لتشكل ظاهرة تقف على النقيض من الظاهرة الاولى.. انها ظاهرة الاشتغال بالمستقبل من حيث الاهتمام بدراسته واستشرافه والتعرف على آلية عمله وفهم منهجية قواعده واحكامه بشكل يمكن للانسان السيطرة عليه واتخاذ القرارات المناسبة والصائبة لمواجهة مايحمله المستقبل من سلبيات بالتضييق عليها من جانب او تحويلها الى ايجابيات من جانب آخر.. الامر الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية بهذا التنظير لقواعد العلم المستقبلي او التأصيل والتأسيس لما يسمى بعلم المستقبليات والذي يهدف فيما يهدف الى ايجاد مستقبل افضل للبشرية تقل فيه المشكلات ويتميز بمناخ بعيد عن الكوارث والأزمات والمفاجآت..

دعوة ونداء

ترى هل يكون علم المستقبل قد جاء في وقته المناسب ليحل مشكلات البشرية المعقدة وليساهم في ايجاد مجتمع افضل للاجيال المقبلة، بحيث يمكن للاجيال الحاضرة ان تخطط لحاضر تلك الاجيال« والذي نراه نحن الآن مستقبلا».. ان تخطط للبعد بدقة واحكام ليس فقط على مدى زمني سنتين او ثلاثاً أو خمسا او عشرا انما على مدى ثلاثين عاما أوخمسين أومئة.. وهل يمكن لامتنا العربية والاسلامية بعامة ولمجتمعاتنا الخليجية بخاصة ولكويتنا الحبيبة على وجه اكثر خصوصية ان تبدأ بالاستفادة من علم المستقبل لتضمن حاضراً سليما لأجيال مقبلة.

إنني انطلاقا من منطلق اسلامي ومن خلال مجلة الوعي الاسلامي التي تشجع كل خير أوجه نداء مخلصاً الى جميع المسؤولين للإسراع بتأسيس مركز عال للعلوم المستقبلية في الكويت بحيث يكون للمجتمع الكويتي السبق في هذا المجال سواء كان ذلك على شكل هيئة ادارية حكومية او جمعية ذات نفع عام. ■

الاستشراق وكيفية مواجهته

فكر

الصراع بين العرب وأوروبا له تاريخ طويل، يمتد منذ ظهور الرسالة المحمدية في الجزيرة العربية وحتى الآن، ولقد اتخذ هذا الصراع أشكالاً ومظاهر عدة، منها الحروب وأشكال الصراع الفكري المختلفة، ويمثل الاستشراق في جميع صوره أحد أشكال هذا الصراع بين العرب والغرب، ولقد اهتم العديد من المفكرين والكتاب في العالم العربي والإسلامي بالكشف عن الوجه القبيح للاستشراق، من أمثال هؤلاء الكتاب إدوارد سعيد، وصادق جلال العظم، وأحمد عبدالرحيم السايح، ومحمد إبراهيم الفيومي، ومحسن جاسم الموسوي، ومحمود حمدي زقزوق إلخ، ونحن نهتم في دراستنا هذه بعرض الموقف الفكري لمحمود حمدي زقزوق من الاستشراق.

بقلم: أحمد محمد سالم

الاستشراق جذور المد التنصيري

بداية يمكن القول إن الاستشراق يشكل الجذور الحقيقية التي كانت لاتزال تقدم المد للتنصير والاستعمار، وتغذي عملية الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وتشكل المناخ الملائم من أجل فرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي، وإخضاع شعوبه، فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين بالمواد التي يسوقونها إلى العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته، وهدم معالم أفكاره، ومن هنا يكتسب موقف محمود زقزوق من الاستشراق قيمته الفكرية.

الاستشراق تاريخياً

يؤصل محمود زقزوق الاستشراق تاريخياً فيؤكد أن «تاريخ الاستشراق هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى، والشرق الإسلامي، لأنه على الصعيدين الديني والأيديولوجي كان الإسلام يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني(١)، ومن ثم لم يكن من السهل في ذلك الزمان فصل الاستشراق عن التنصير، وعن الدافع الديني بصفة عامة، فالدافع الديني كان هو السبب الأول في نشأة الاستشراق، وذلك على الرغم من أن هناك اختلافاً في القصد بين المستشرق والمبشر، ومن ثم يقول الدكتور زقزوق إن هناك تجاوباً متبادلاً بين الاستشراق والتنصير، وإن لم يكن هناك تماثل في القصد بين المستشرق الأكاديمي، والمبشر الإنجيلي، ويمكن القول إن التحالف بين الجانبين لايزال مستمراً، وبأي شكل من الأشكال حتى عصرنا الحاضر(٢).

> **الاستشراق يشكل الجذور الحقيقية التي كانت لاتزال تقدم المد للتنصير والاستعمار**

محاولات الاستشراق

ويذهب د. زقزوق إلى أن المحاولات في تاريخ الاستشراق تحمل وجهين، وجه يحمل التشويه، وأقصد حملة التشويه للإسلام إلى حد أن قال د. زقزوق «لم يحدث أن تعرض دين من الأديان في هذا العالم، أو في أي عصر من العصور إلى مثل ما تعرض له الإسلام من جانب خصومه من الاحتقار والتشويه، والوصف بكل أوصاف السوء، وقد وصل الأمر إلى حد أن من أراد أن يصف نظرية من النظريات بوصف مشين يصفها بأنها نظرية محمدية، كما لو كان الأمر أنه لا يوجد في تعاليم محمد شيء صحيح، وإن كل ما فيها فاسد. وإذا أبدى أحد رغبة صادقة في التعرف على الإسلام لا تقدم له إلا الكتب المضادة الخبيثة المليئة بالضلالات (٣) ومن ثم فقد ذهب أحد المستشرقين ويدعى ريلاند قائلاً: «صحيح إن الدين الإسلامي دين سيء جداً، وضار بالمسيحية، لكن أليس من حق المرء لهذا السبب أن يبحثه؟! ألا ينبغي للمرء أن يكتشف أعماق الشيطان وحيله؟! فالأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته كي يحاربه بطريقة أكثر أماناً وأشد قوة»(٤).

الوجه المنصف

والوجه الآخر للاستشراق وهو الوجه المنصف، حيث أنصف بعض المستشرقين

الإســـــلام، ومنهــم المستشرق الألماني «رايكه»، ويـرجـع الفضل إلى هذا المستشرق في إيجاد مكانة بارزة للـدراسات العربية في ألمانيـا، ولكن عصره ومعاصروه تجاهلـوه، وحاربه رجال اللاهوت متهمينـه بالزندقة، ولعل هـذا يـرجع إلى مـوقفـه الإيجابي من الإسلام، فقـد امتدح الـدين الإسـلامي في كتـاب له بـاللاتينيـة، ورفض اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بـالكذب أو التضليل، أو وصف دينه بأنه خرافات مضحكة ـ كما كان ذلك سائداً حينذاك ـ كما رفض تقسيم العالم إلى تاريخ مقدس وتاريخ غير مقدس، وأكـد أن وضع العـالم الإسـلامي في قلب التـاريخ العالمي، وفـوق ذلك عبر عن آرائه بأعظم قـدر من الصراحـة، غير مكترث بكل العواقب المترتبة على ذلك وقـد جرَّ عليه ذلك ويـلات كثيرة ، وعـاش طـوال حيـاتـه في ضائقة مالية، ومات بائساً مشلولاً، وهو في الثامنة والخمسين من عمره(٥)، ولقد تكرر موقف المواجهة الغربية العنيفة لكل من هو منصف من الغرب في الفترة المعاصرة حيث هاجم العديد من الكتاب والمفكرين الغربيين المستشرقة الألمانية «انا ماري شميل» وذلك بسبب مـواقفهـا المنصفـة تجاه الإسـلام والمسلمين.

ويؤكـد د. زقزوق أن محاولات المستشرقين الجادة والمنصفـة في التعرف على الإسـلام عن قرب، وبلا أحكام سابقة، لم تستطع أن ترسخ في الفكـر الأوروبي تياراً عـامـاً، ولم تستطع بالتالي أن تقضي تماماً على الصورة المشـوهة لـلإسلام في أذهـان الأوروبيين، والتي لا تزال آثارها عميقة وعالقة بالعقول حتى اليوم، فقـد بقيت الصورة في إطـارها العام على مرِّ العصـور كما هي، وإن حدث فيهـــا بين الحين والحين ـــ بفعـل بعض الظـروف ـــ بعض التعـديل في الظـلال والألـوان أي «روتوشـات خفيفة» والـدليل على ذلك أن صـورة الإسـلام في أذهــان الأوروبيين لا تــزال حتى اليـوم صــورة مشوهة بعيدة عن الحقيقة.(٦)

العلاقة بين الاستشراق والاستعمار

ولا أحـد يستطيع أن ينكـر مدى العـلاقـة الـوثيقـة بين الاسـتشراق والاستعمار، وهذا ما يؤكده د. زقـزوق بقوله: «لقد كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق، وخصـوصاً بعـد منتصف القـرن التـاسع عشر، وقـد أفـاد الاستعمار من التراث الاستشراقي، ومن نـاحيـة أخـرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دور كبير في تعـزيـز مـوقف الاستشراق، وتـواكبت مـرحلـة التقـدم الضخم في مـؤسسـات الاستشراق وفي مضمـونــه مع مـرحلـة التـوسع الأوروبي في الشرق(٧)، ولا شك أن الموقف الـواضح يبدو جلياً في تسخير الاستعمار لـلاستشراق والمؤسســات الاستشراقية من أجل السيطرة على العالم، والعمل على تشـويـه معتقـداتـه ولغتـه، وتراثه، وثقافته.

مستشرقو الإسلام

ويــوضح د. زقـزوق أن الاستعمار قـد استطاع أن يجنـد طائفـة من المستشرقين لخدمة أغراضـه، وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطانـه في بلاد المسلمين، وهكـذا نشأت هناك رابطة رسميـة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين ارتضـوا لأنفسهـم أن يكـون علمهم خاصـاً لإذلال المسلمين، وإضعاف شأن الإسـلام وقيمه، ويضرب مثـالاً على ذلك بعـالم الإسـلاميات الشهير «سنـوك جرويتـه» المتوفى العـام ١٩٣٦م من أنه في سبيل استعداده للعمل في خدمة الاستعمار تـوجـه إلى مكة في العـام ١٨٨٥م بعـد أن انتحل اسماً إسـلامياً وهــو «عبدالغفـار» وأقام هناك ما يقرب من نصف العام، وقد سـاعده على ذلك أنـه كان يجيد العربيـة كأحـد أبنـائها، وقـد لعب هـذا المستشرق دوراً مهماً في تشكيل السيـاسـة الثقـافيـة الاستعمارية في المنـاطق الهولنديـة، وشغل منـاصب قيادية في السلطة الاستعماريـة الهولنـديـة في انـدونيسـا(٨)، وإذا كـان الاستشراق قـد ارتبـط بـالمد الاستعماري وازدهر في عهده، إلا أن هـذا لا يعني انتهاء الاستشراق انتهــاء المد الاستعماري، ذلك لأن هناك طائفـة من المستشرقين لم ترتبط بـالاستعمار، وليس يعني ذلك بـالضرورة أنها منصفة للإسلام والمسلمين.

الاستعمار قد استطاع أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين

أسباب الاستشراق

ويـوضح د. زقزوق العـلاقـة الوثيقـة بين الاستشراق، ودخول عنـاصر يهودية فيـه، فيؤكد أن إقبـال اليهود على الاستشراق كان لـه هـدفان دينـي وسياسي، أمـا الأسبـاب الـدينيـة فإنها تتمثل في محاولـة إضعـاف الإسـلام والتشكيك في قيمه بإثبـات فضل اليهودية عليه وذلك بـإدعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصـدر الإسـلام الأول، أمـا الأسبـاب السياسيـة فإنها تتصل بخدمـة الصهيونية فكرة ودولـة، ويؤكد أن اليهود قـد ظلـوا طـوال تـاريخهم يتصيـدون كل فرصة متاحـة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً ينفثون فيـه سمـومهم ضـد الإسـلام والمسلمين، فدخلوا في هـذا المجال تحت رداء العلم، كما وجدوا في الصهيـونية بابـاً آخر يفـرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين.(٩)

الدعم الأوروبي الواضح

وإذا كـان د. زقـزوق يوضح العـلاقـة بين الاستشراق والتبشير والتنصير، وبينـــه وبين الاستعمار، وبينـه وبين اليهود فإنـه يـؤكـد من جهـة أخـرى أن الحكـومـات الأوروبية تهتم بدعـم الحركة الاستشراقية في أوروبـا، ولا يبخل عليهـا بالمال الـلازم لاستمرار نشـاطها، ذلك لأن هناك ارتبـاطاً وثيقاً بين مصالح الغرب واهتماماته، ودعم الحـركـة الاستشراقيـة، وهـذا أمـر يجعل استمرار الاستشراق متـوقفاً على استمـرار الـدعم المالي الـذي تقـدمـه الهيئـات والحكومات المختلفة، واستمرار الدعم المالي يتـوقـف أيضـاً على مـدى تشبث الغـرب

بمصالحه في العالم العربي والإسلامي، والتشبث بهذه المصالح حقيقة واقعة تؤكدها جميع الشواهد، وليس هناك أي بارقة تلوح في الأفق أن الغرب على استعداد للتخلي عن هذه المصالح، ومادام الأمر كذلك فإن الحاجة إلى الاستشراق في الغرب ستظل قائمة(١٠).

سموم الاستشراق وآفاقه

وإذا كان الاستشراق يحمل العديد من السموم والآفات تجاه العالم الإسلامي، فإنه من الضروري العمل على مواجهته بجميع الطرق والسبل، فلابد من استيعاب إنتاج المستشرقين حول الإسلام ودراسته دراسة عميقة، فتلك هي الخطوة الأولى لنقده نقداً صحيحاً، وإثبات ما يتضمنه من تهافت وزيف، الأمر الذي يجعل المستشرقين المنحرفين عن جادة الصواب يفكرون ألف مرة قبل أن يكتبوا تحسباً لما قد يواجههم من نقد علمي يعريهم، ويثبت زيف ادعاءاتهم.

اقتراحات المواجهة

ويقدم د. زقزوق اقتراحات عدة لمواجهة المستشرقين، والدفاع عن الإسلام، وإظهاره بصورة متميزة في أذهان لعالم كله، وهذه الاقتراحات هي:

١ ـ تأسيس موسوعة للرد على المستشرقين: وهنا يدعو د. زقزوق إلى تأسيس هذه الموسوعة للرد على جميع ادعاءات المستشرقين، على أن يساهم فيها خلاصة من المتخصصين على مستوى العالم الإسلامي.

٢ ـ تأسيس مؤسسة علمية عالمية:
هذه المؤسسة لا تنتمي لقطر من الأقطار الإسلامية، ولا لمذهب سياسي، أو فكري، أو ديني معين، بل يكون ولاؤها لله وحده، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتستطيع استقطاب الكفاءات العلمية الإسلامية في شتى أنحاء العالم، وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية، ويكون لها دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع، تنشر فيها بحوثها بلغات مختلفة، وتعمل على استعادة أصالتنا الفكرية.

٣ ـ إقامة دائرة معارف إسلامية جديدة:
إذ من الضروري تأسيس دائرة معارف إسلامية، فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية، وقد تجاوزها المستشرقون، وانتهوا منذ بضع سنوات وبدأوا بإصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية، واللغات الأوروبية الرئيسة، حتى تنقل وجهة النظر الإسلامية إلى شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على حدٍ سواء.

٤ ـ إنشاء جهاز عالمي للدعوة الإسلامية:
يرى د. زقزوق أنه من الضروري إنشاء مؤسسة إسلامية تبشيرية عالمية، ويعني بذلك إنشاء جهاز للدعوة الإسلامية في الخارج يدعو للإسلام من ناحية، ويرعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية، ويحمي المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة، ويتطلب هذا العمل الإسلامي أيضاً إصدار سلسلة كتب إسلامية باللغات العالمية الحية لكي تصحح التصورات الخاطئة عن الإسلام العالقة في الأذهان.

٥ ـ تقديم ترجمة إسلامية لمعاني القرآن:
من الضروري أيضاً تقديم ترجمة إسلامية أمينة لمعاني القرآن، ولا يجب أن نترك قرآننا كلأً مباحاً لكل من يريد ترجمته وتحريفه.

٦ ـ تنقية التراث الإسلامي:
فمن الضروري تنقية هذا التراث العظيم، وإزالة الغيوم التي تحجب عنه إشراقة شمسه، ولكن لا يجب أن نتقوقع عند حدود تراثنا، ولا نتابع التطورات العلمية المستمرة في العالم والتي تحدث كل يوم.

٧ ـ الحضور الإسلامي في الغرب:

من الضروري إنشاء جهاز للدعوة الإسلامية في الخارج يدعو للإسلام ويرعى المسلمين الجدد ويحمي المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة

يرى د. زقزوق ضرورة تقوية الحضور الإسلامي في المؤسسات الأكاديمية في الغرب، وذلك بمحاولة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية في الغرب عن طريق الاتفاقات الثقافية التي تعقد بين بلدان العالم الإسلامي ودول أوروبا وأمريكا.

٨ ـ الحوار مع المستشرقين المعتدلين:
ذلك لأنه من المفيد جداً أن يكون للمؤسسات العلمية الإسلامية صلات بالمستشرقين المعتدلين، هدفها إجراء حوار مستمر معهم، وعقد لقاءات وندوات تجمع بينهم وبين علماء المسلمين.

٩ ـ تأسيس دار نشر إسلامية عالمية:
إذ من الضروري إنشاء دار نشر إسلامية عالمية تقوم بنشر المطبوعات الإسلامية بجميع اللغات، حتى لا تظل المطبوعات الإسلامية باللغات الأجنبية تحت رحمة الناشر في الغرب، ويمكن أن تقوم هذه الدار المقترحة بإصدار صحف ومجلات إسلامية وبلغات مختلفة، وحتى تكون هذه الصحف والمجلات وسيلة ربط بين المسلمين في كل مكان تعمل على تجميعهم وتوحيد صفوفهم، وتعريفهم بقضايا الإسلام، وإعلامهم بأخبار بعضهم بعضاً من مصادر صحيحة.

تلك هي رؤية د. زقزوق للاستشراق، والتي لم تقف عند حدود التركيز على فضح سمومه وادعاءاته، و لكنه يتجاوز ذلك بتقديم بعض الحلول المقترحة لمواجهة ليس فقط الاستشراق، بل لإظهار الإسلام بصورة متميزة وواضحة في العالم الأوروبي والأمريكي. ■

الهوامش:

١ ـ د. محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف القطرية ط٢ ١٩٨٤ ص ٢١.
٢ ـ المرجع نفسه ص ٣١
٣ ـ المرجع نفسه ص ٣٤
٤ ـ المرجع نفسه ص ٣٤
٥ ـ المرجع نفسه ص ٣٥
٦ ـ المرجع نفسه ص ٣٦.
٧ ـ المرجع نفسه ص ٤٣.
٨ ـ المرجع نفسه ص ٤٥ ـ ٤٦.
٩ ـ المرجع نفسه ص ٥٠.
١٠ ـ المرجع نفسه ص ٥٥.

مخطط الانحدار
متى وكيف بدأ؟

بقلم: د. خالص جلبي

لو أتيح لـزائر سماوي ان يمر على الارض قبل الف سنـة (١) من غير ان يعـرف اي لغة او ثقـافة او دين وتفقـد الارض والناس والـوقت والعمل فسوف يتشكل في ذهنـه انطباع واضح من جـراء تكرار المناظـر، ان هذا العالم ليس عـالماً واحدا بل عالمان، وان هنـاك خطين واضحـين يفصلان النـاس في الكـرة الأرضيـة، تمامـاً مثل خطـوط الطـول والعـرض وخط الاستـواء ومدار الجدي والسرطـان، ولكنهما ليسا خطين جغـرافيين بل خطان حضـاريان متميـزان، او لنقل محورين للشمال والجنـوب، يمتد الخط او المحـور الاول على طول طنجـة- جاكـرتـا، ويربط الثـاني بين موسكو ولندن.

محور طنجة- جاكرتا «قبل ألف سنة»:

المحور الاول(طنجة- جاكـرتا) يملك الثـروة والعلم والقوة العسكـرية نـاشط اقتصاديـا تمر عبر اراضيه خطـوط التجارة الـدولية، وتـزدحم اسواقه بالبضائع والناس والمال معا، في اعظم دينامية اقتصادية عرفتها اسـواق المال، وتزدان بيـوته بكتب العلـم والثقافـة العالميـة والترجمات المنوعة، ومجالسه بالبحث العلمي والمنـاظرات على الطريقة التي سجلها لنا مثقف ذلك العصر ابو حيـان التوحيدي في كتابـه «الامتاع والمؤانسة» ومدارسه التي تقيس محيط الكـرة الارضية وتخطط لانتقاء افضل مكان لبناء بيمارستان «مستشفى» بتجربـة صمود اللحم للفساد (٢) وتمتلك دوله الجيوش النظاميـة المتطورة، ويتحرك في مدنه بشر فعالـون بوجوه تفيض بالجمال والحيوية، يرتـدون الملابس النظيفة الجميلة، وفي مدينة مثل بغـداد يعالج فيهـا اكثـر من ٨٠٠ طبيب في عشرات البيمارستـانـات عشرات الآلاف من الناس، الذين ينعمون بالرفاهية ويرتادون الحمامات العامـة بشكل دوري، ويعنون بـالنظافـة والجمال وتشع منهم الـزينة ويتبـارون في التأنق في المأكل والملبس، ويقضـون الكثير من الـوقت في مجالس العلم والرحلات، كما خلدهـا الأدب العربي في قصص السندباد البحري ومجالس الظرف والفكاهـة، وعجائب الاسفار وغرائب الحوادث، في قصص الف ليلة وليلـة، وكتاب «الأغاني» لابي فرج الاصفهاني.

كتاب الثقـافة العالميـة وسطور الحضـارة كانت تكتب في ذلك الـوقت بخط ولغـة من اليمين الى الشمال(٣).

محور موسكو- لندن «قبل ألف سنة»:

وفي المحور الثاني على خط لندن- موسكو يعيش اكثـر شعـوب العالم فقـراً وتخلفـاً، ينتشر فيهم الطاعون فيحصد ثلث السكـان على الاقل، في المدن القذرة التي لاتعرف نظام التصريف الصحي والحمامات بعد، يطاردون الساحرات والقطط، ويعالجون السعال الديكي بلبن الحمير، ويشترون تذاكر لدخول الجنة، ويحرقـون العلماء والكتب معاً في السـاحـات العامـة، بتهمة الهرطقـة والـزندقـة، وتزدحم مـدنهم بـالشحاذين على الطـريقة التي وصفهـا الروائي الفـرنسي« فيكتور هيجو» في قصتـه العالمية المشهـورة«أحدب نوتـردام» (٤) ويعالج المريض النفسي بـالسلاسل والضرب بالكـرباج لاستخراج الارواح الشريرة من جمجمتـه، وينسب انتشار الامراض الى البروج والكواكب او اليهود فتخرج الناس على شكل طوابير تطوف البر تضرب نفسهـا بالسـوط لـدفع المرض. او تحرق اليهـود والساحـرات والقطط معاً في الساحات العامـة، وتتحرك من وسطه افواج من الحجاج الفقراء لزيارة القدس، او عصابات صليبية مفلسة يقودها رجال أميون من طـراز ريتشـارد قلب الاسـد، ويضحك البـابا لاكتـانتيـوس أشـد الضحك على الذين يزعمون ان الارض كروية فيقول: هل جن الناس الى هـذا الحد فيدخل في عقـولهم ان البلـدان والاشجـار والناس تتـدلى من الطرف الاخـر؟!!(٥) في صورة حضاريـة«كاريكـاتورية» تعجـز عنها ريشة أعظم فنان!!

انقلاب الميزان التاريخي لصالح الغرب:

وبعـد ألف سنة بـالضبط يصـاب الزائر السماوي بـالدوار وجحـوظ العينين، ويبدأ ليمشي على رأسه حتي يفهم قراءة المخطوط من جديد؟!

إن الشمال تحرك الى الجنوب، وتـزحزح الجنوب فـاستقر في الشمال في معادلة معكوسة جداً.

محور طنجـة جاكـرتا يـزدحم بشعـوب فقيرة هزيلـة عاجـزة عن حل مشاكلهـا، يشكل العالم الاسلامي فيهـا وزنـاً كبيراً، قد خسرت الـرهان العالمي وطـوقت بحضارة رأسمالية غـربية، ذات إدارة مـوحدة تحكم قبضتهـا عى الكرة الارضيـة كلهـا، للمـرة الاولى في تـاريخ الجنس البشري، مسلحـة بـالصواريـخ النوويـة ومصـارف المال ومراكز البحث العلمي.

وانقلب خط الشمال ليمتـد هـذه المرة فيملك اربع قـارات جديـدة ومئـات الجزر العذراء الغنيـة في المحيط، ويضع يده على ممـرات الملاحة البحـرية ومعها الثورة العالميـة، ويمتلك الجيوش النظامية المتطورة التي فاجأت فـرسان المماليك عند سفح الاهـرام مع نهايـة القـرن الثـامن عشر، ومعهـا

محور طنجة جاكرتا يزدحم بشعوب فقيرة هزيلة عاجزة عن حل مشاكلها

الاسلحة المتطورة من البنادق والمدفعية، بالاضافة الى التقنية الحربية الرفيعة. الغرب اليوم يملك ثلاث اخماس الكرة الارضية واربعة انهار من كل خمسة مهمة في الجغرافيا، وخمسة فدادين من كل سبعة صالحة للزراعة، ويملك ثمانية قروش ونصف في العالم(٦) وتنام في مانهاتن في نيويورك، اعظم خزينة ذهب في تاريخ الجنس البشري لم يحلم بها الفرعون خوفو، ولم يملكها قارون بذاته. وانتشرت لغة ريتشارد قلب الاسد لتصبح اللغة العالمية وبُني لاحفاده بيت على ظهر القمر، وكتبت الحضارة هذه المرة من الشمال الى اليمين.

مجلة الشبيجل الالمانية تمثل لهذا الانقلاب العالمي بعنوان «عالم منكوس» وتمثل لهذا بكمية الاستهلاك العالمية للطاقة، حيث تحتل امريكا الشمالية رأس القمة فتستهلك ثلث مايستهلكه جميع البشر على وجه الكرة الارضية وتأتي أوروبا في المقام الثاني وتأتي دول اوروبا الشرقية في المقام الثالث وتنكمش قارة افريقيا كلها في هذه الخريطة الى مايعادل استهلاك اسبانيا، وعندما نفخت الصورة امريكا او بالعكس انكشمت حجم الدول الى مقدار استهلاك الطاقة، فان صورة العالم تحولت الى كائنات عملاقة يسكنها الرجل الابيض، وتحولنا نحن الى كائنات قزمة وذيول تابعة لكائنات خرافية ديناصورية تتمدد على خط الشمال(٧) المحور الذي سماه سابقاً المفكر الجزائري مالك بن نبي «واشنطن- موسكو».

والسؤال: كيف حدث هذا الانقلاب الصاعق ومتى؟

في عام «١٠٩٩م» قبل ان يختم القرن الحادي عشر بعام واحد بالضبط، كانت مدينة القدس تعيش ازمة مروعة لسكانها المحاصرين الجياع، فالعصابات الصليبية المفلسة كانت تجتاح منطقة آسيا الصغرى والشرق الاوسط مثل الجراد المدمر، وتذبح سبعين الفا من سكان القدس في الشوارع، وينشغل العالم الاسلامي في حرب «كماشة» تجتاحه من الشرق والغرب بوقت متقارب.

ذراع الكماشة القادم من الشرق كان الاعصار المغولي، وذراع الكماشة الغربي كانت اوروبا الفقيرة القذرة، فاما الاعصار المغولي فتم امتصاص زخم اندفاعه، وتحويله الى رصيد اسلامي، واما ذراع الكماشة الغربي فقد قام بحرب لم يعرف لها الجنس البشري حتى الآن نظيراً، ولعله لن يعرف في المستقبل حرباً تدوم مائتي عام باثنتي عشرة حملة عسكرية يقودها ملوك اوروبا الأميون.

وعندما كان الملك الفرنسي لويس العاشر يفدي نفسه من الاسر الذي سقط فيه في المنصورة كان السلطان صلاح الدين الايوبي يظن انه انهى الغارة الصليبية على العالم الاسلامي، ولم يعرف انها قد بدأت فعلا في ذلك الوقت، ولكن من زاوية لاتخطر على بال احد، ولاتوحي مظاهرها بذلك.

سقوط مدينة طليطلة كمؤشر لانكسار الميزان التاريخي:

إن انكسار الميزان التاريخي بين الشرق والغرب بدأ في الواقع قبل مذبحة القدس بأربعة عشر عاماً«١٠٨٥للميلاد» عندما سقطت العاصمة التقليدية لشبه الجزيرة الايبيرية«طليطلة-توليدو حاليا-» بيد الفونسو السادس بعد حصار دام سبع سنوات(٨).

وعندما ارتعب ملوك الطوائف وارتجفت مفاصلهم خوفاً على عروشهم البئيسة امام الزحف الاسباني القادم، هرعوا باتجاه المغرب الى الدولة القوية المرابطية جديدة الولادة، فاستنجدوا بملك المرابطين«يوسف بن تاشفين» ليقول المعتمد بن عباد حاكم اشبيلية يومها، وهو يرى الخيار الصعب في زوال دولهم بين مطرقة الاسبان وسندان المرابطين: ان لم يكن بد من التحول الى طبقة الخدم والعبيد وفقدان الملك، فان أرعى جمال المرابطين أحب اليّ من رعي خنازير الاسبان.

كان المعتمد بن عباد شريفاً على كل حال في اتخاذ مثل هذا القرار المصيري التاريخي. وبقي قبره في «اغمات» خارج مراكش، يروي حسرات الاسير وشعره الباكي.. مات« المعتمد» قهراً وغماً في الاصفاد بعد موت حبيبته وام اولاده«اعتماد» التي شاركته المحنة، فبكاها بحرارة روّى فيها تربتها بالشعر المبلل بالدموع، ودفن بجانبها، فقبرهما المشترك الذي نزلا فيه ضيفين على الابدية يروي قصة الشعر والحب والحرب.

معركة« الزلاقة» واثرها في مصير الجزيرة عام٤٧٩هـ-١٠٨٦م:

في عام«١٠٨٥م» سقطت «طليطلة» وفي عام«١٠٨٦م» كان سيف العجوز يوسف بن تاشيفن ذو الثمانين عاما، ينزل كالصاعقة على رؤوس الاسبان فيحطم تجمعهم في معركة «الزلاقة». ولكن ابن تاشفين يدرك فوراً بعد دخوله الجزيرة انه لن يستطيع ايقاف مسلسل الاحداث، وان المسلمين خسروا زمام المبادرة التاريخية، فالجسم الاسلامي مريض، وان طليطلة لا أمل في استعادتها. وان ابناء الجزيرة الاندلسيين تحولوا الى مايشبه الايتام على مأدبة اللئام، وكان المرض الأموي القديم قد فعل فعله وآتى اكله ايضا في الجزيرة، منذ ان نجح في ايقاف المسيرة الراشدية في العالم الاسلامي وتحويل الدولة الاسلامية الى امبراطورية بيزنطية، فاستوى المرض وبدأ الجسم الاسلامي في الترنح والسقوط بفعل انهيار جهاز المناعة الداخلي قبل الهجوم الاسباني بفترة طويلة.

معركة «الزلاقة» في العام٤٧٩هـ الموافق ١٠٨٦م التي دارت رحاها على حدود دولة البرتغال الحالية، حجمت الامتداد الاسباني ومسحت دول الطوائف الهزيلة التي عاشت لجيلين لمدة ثمانين عاما«٣٩٩هـ-٤٧٩هـ» في ضربة واحدة وفرملت السقوط النهائي للاندلس لمدة اربعة قرون لاحقة حتى جاء موعد كسوفها مع كريستوف كولمبس عام ١٤٩٢م.

وبعد سقوط طليطلة صمدت الجزيرة حتى مرحلة وفاة الفيلسوف «ابن رشد» الذي مات عام ١١٩٨ للميلاد بعد ان كافأه اهل مدينته بالطرد مرتين، مرة من المسجد هو وابنه وكانت من أحزن مالاقاه، وأمره بنفيه الى قرية «الليسانة» اليهودية ليقضي فيها بقية عمره وهو في السبعين.

وعندما نضب العقل الاسلامي الجماعي الى هذا القدر الحزين، جاءهم الطوفان الاسباني هذه المرة ليمسح- وبعد موت الفيلسوف بجيل واحد فقط «١٢٣٨م»- مدينة قرطبة بالكامل، وليطرد اهل قرطبة كلهم من المسجد. ويُدخل في مسجدها الجامع -بشكل محشور عجيب، مثل الشوكة في

انكسار الميزان التاريخي بين الشرق والغرب بدأ في الواقع قبل مذبحة القدس بأربعة عشر عاماً«١٠٨٥للميلاد»

اللحم- كنيسة مصطنعة لايصلي فيها احد.
كل من يمر اليوم في قرطبة يبكي عند المحراب الذي لايصلي فيه احد، والكنيسة الخرساء التي يحدق فيها السواح الاوربيون من دون معنى، ويتأمل العربي المسلم وجه اهل قرطبة فيتذكر اهل دمشق. هذه المرة لايسمع اللغة العربية ولا الأذان ويتعجب من اختفاء أمة كاملة من خريطة الوجود.

نقطة التحول التاريخية« منتصف القرن الثالث عشر الميلادي:

ان منتصف القرن الثالث عشر للميلاد يسجل كارثتين غير معقولتين للعالم الاسلامي ودفعة واحدة وبفاصل عشر سنوات، ففي عام ١٢٤٨م يسقط الجناح الغربي للعالم الاسلامي «اشبيلية» وفي عام ١٢٥٨م يسقط الجناح الشرقي، بسقوط لؤلوة الشرق بغداد بيد الحصادة المغولية القادمة من الشرق. ويخرج خليفة أعزل سمين حاسر الرأس لمقابلة جزار دموي من طراز «هولاكو» يناشده الحفاظ على ٧٠٠ من الجواري اللواتي لايعرفن ضوء الشمس.
وكما جلس العباسيون على جثث الامويين النازفة المغطاة بالسجاد، يأكلون عشاء فاخراً ويشنفون آذانهم بسماع ألحان حشرجة وأنات الموتى الأخيرة، فإن حياة آخر خليفة عباسي كانت في كيس «جوال خيش» يقضي نحبه على نغم طبل مختلف، بالخنق والرفس بالأقدام، ويساق الوزراء واعضاء الاسرة الحاكمة والاعيان والفقهاء الى مقبرة المنظرة فيذبحون كالشياه، وتنعي بغداد يومها حوالي ثمانمئة الف قتيل، وتتحول اكوام الكتب الى جسر يصلح لمرور الجندي التتري على نهر دجلة.ان التدمير المغولي وبخاصة لشبكة الري في جنوب العراق والذي قامت عليه حضارة سومر، لم يصلح حتى يومنا الحالي.

النتيجة البعيدة وغير المباشرة لسقوط العاصمة البيزنطية:

في القرن الخامس عشر للميلاد سقطت بيزنطة وغرناطة بفاصل نصف قرن تقريبا«١٤٥٣م-١٤٩٢م» ويبدو وكأن سقوط الحاضرتين وكأنهما لوحتان متعاكستان ووقائع متناقضة، فالقسطنطينية سقطت بيد الاتراك المسلمين، القوة الناهضة الجديدة وغرناطة بيد الاسبان رأس الحضارة الغربية المستيقظة، ولكن التحليل الاعمق يفضي الى تكامل الصورتين، والتحام السبب والمسبب: فسقوط العاصمة البيزنطية جاء جوابه في سقوط غرناطة، والاستجابة للضغط الجديد، عندما قُطعت طرق الشرق الاوسط الى الهند في وجه اوروبا، فاستندت اوروبا بكل ثقلها وظهرها الى المحيط «بحر الظلمات» ومن هذا الضيق جاء فرج غير متوقع.
المحيط الاطلنطي« بحر الظلمات» وسواه من المحيطات كانت مناطق تفصل السكان والحضارات فحضارات امريكا لم تتصل ببقية حضارات العالم ونمت لوحدها بطريقتها الخاصة، ولكن مع تطوير السفن العابرة للمحيطات على يد الملاحين العرب، تحولت هذه المحيطات الى جسور اتصال. ويمكن تشبيه السفن الجديدة عابرة المحيطات، بمايشبه سفن الفضاء الحالية بكل انجازاتها التكنولوجية الرائدة.
والبحر المتوسط بحر مغلق لايشابه بحر الظلمات« المحيط الاطلنطي» فسفن المحيط يجب ان تزود بتقنية ملاحية جديدة وآلات قياس ومعرفة متقدمة من خلال خرائط لاتجاهات الرياح وتيارات البحر، ومعرفة بأمراض البحر الناجمة عن السفر الطويل لأشهر متواصلة« مثل دراسة تكيف الانسان اليوم للبقاء فترة طويلة في القمرات الفضائية» وتزويدها بالمدافع والاسلحة الكافية والمناسبة لمقاومة انقضاض القراصنة، وخزانات المياه الكافية واطعمة تحفظ لفترة طويلة« تم اكتشاف الفيتامينات ومعرفة مرض الاسقربوط بنقص الفيتامين«سي-C» في الجسم لعدم تناول الخضراوات والفواكه الطازجة لفترة طويلة» وبوساطة سفينة المحيط العربية والحصان العربي، تم اقتحام قارات العالم الجديد، وضُم الى ممتلكات اوروبا اربع قارات جديدة بمساحة تزيد مرتين عن مساحة القمر، وآلاف الجزر الغنية في المحيطات اللامتناهية. لقد كانت الهجرة والاستكشاف للغربيين الفقراء مفيدة حقاً.
وعندما تقدم الاستعماري الاسباني المدعو« هيرناندو كورتس» لإبادة حضارة الازتيك وخنق مليكهم واستباحة عاصمتهم الجميلة فوق بحيرة غناء، كان السلاح الحاسم الذي ظهر على الساحة والذي أربك الهنود الحمر وأثار فزعهم، هو الحصان العربي ولكن التاريخ يسجل ظهور الحصان العربي من دون فارسه.
كان الاسبان يدفنون الحصان الميت سراً حتى لايتبادر الى ذهن الهنود إمكانية موت هذا الكائن وظهر الفارس الاسباني مثل اسطورة نيسوس اليونانية، ذلك الكائن الخرافي الجبار، قطعة واحدة بجسم حصان ورأس انسان، كما حصل مع الهكسوس في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، حينما اجتاحوا الحضارة الفرعونية العريقة بالحصان المدجن، ولم يتخلص المصريون من حكم الهكسوس الا بعد مائتي عام مريرة وبنفس سلاح الحصان، دبابة العصر القديم.
وعندما تقدم الزحف الاسباني بعد سقوط طليطلة الى الجنوب كان همُ الاسبان ومن بعدهم الانجليز، وضع اليد على المضائق فهي شرايين الحضارات القديمة، ومفاتيح التحكم، ومصادر الثروة والقوة.
وفي القرن السادس عشر تحول البحر المتوسط الى بحيرة عثمانية، على الرغم من هزيمتهم في المعركة البحرية «ليبانتو١٥٧١م» وبرز قواد بحريون اتراك مشهورون- من امثال خير الدين بربروسا وتورغود- ينزلون الرعب في مفاصل وقلوب الاوروبيين فترتبط اسماؤهم في الذاكرة الجماعية الغربية بالقرصنة (٩) لكن الاسبان والبرتغاليين شقوا طريقهم الى عنق البحر المتوسط عند رأس جبل طارق ثم قفزوا الى الشاطىء المغربي فاستولوا على سبتة ومليلة ومازالوا، وبذلك احكمت المدفعية الاسبانية قبضتها على المضيق، فحبست العالم العربي عملياً في زنزانة البحر المتوسط، وقطعت الطريق على أي انطلاقة عربية الى بحر الظلمات، وعندما اكتُشف العالم الجديد وحصل النزاع البرتغالي الاسباني حله البابا« حبياً» فقسم العالم بينهما الى نصفين بالتساوي بكل بساطة.
وخسرنا المحيط والى الابد على مايبدو.

كل من يمر اليوم في قرطبة يبكي عند المحراب الذي لايصلي فيه احد، والكنيسة الخرساء التي يحدق فيها السواح

خسارة المحيط وآثاره المأساوية وبداية انطلاقة الغرب قبل خمسة قرون:

على الرغم من وجود السفينة العابرة للمحيطات، وعلى الرغم من امكانية الوصول للقارات الجديدة التي وصل الي بعضها التجار العرب المسلمون كما في اندنوسيا ومالقا واليابان. فان التوجه للعالم الجديد فات الحضارة العربية وبه دشن عصر جديد حقاً.

ان اختراق المحيط على يد المغامرين المستكشفين اولا، ثم جموع الفلاحين الاوروبيين الفقراء لاحقا كان استجابة للضغط العثماني في الشرق، بمحاولة الهرب في اتجاه الغرب، تحت اغراء رائحة التوابل العطرة، تمولهم الشركات الاستعمارية بالمال والسلاح لتفريغ الارض من سكانها الاصليين واستبدالهم بالعرق المتفوق الجديد، على الرغم من وجود مكان كاف للغازي والمغزو، ولكن سيطرة التطهير العرقي اقوى.

كان هذا التوجه بركة عليهم، لأن العالم القديم المكون من ثلاث قارات قفز مرة واحدة الى سبع، منها اربع قارات جديدة اضيفت الى الملك ريتشارد قلب الاسد واحفاده، في الامريكيتين واستراليا ونيوزلندا والقطب الجنوبي. ومع تدفق الذهب من المكسيك وفلوريدا، والفضة من البيرو، وفي مدى قرن واحد، تدفقت دماء ثمانين مليونا من السكان المحليين، وتم تفريغ مائة مليون من سكان افريقيا، لزرعهم كآلات عضلية في مزارع العالم الجديد لرفاهية الرجل الابيض في اعظم مذبحة عرفها الجنس البشري، لم يكشف عنها النقاب إلا منذ فترة قريبة كما في فيلم «يرقص مع الذئاب»(١٠) وكتاب «فتح امريكا- مسألة الآخر» لاستاذ السوربون «تزفيتان تودوروف»(١١).

وكانت الموجة الاولى لاقتحام المحيط لاتينية« برتغال واسبان» لم تلبث ان اعقبتها الموجة الجرمانية «الانجلوساكسون» من الانجليز والالمان، بفعل القصور الذاتي والتعصب الديني وعدم تطوير النظام البرلماني في البيئة اللاتينية باستثناء فرنسا التي عوضت تأخرها مع انفجار الثورة الفرنسية وانفجار الحرية الفكرية ومنظومة القيم الجديدة معها، التي نحت الكنيسة والاقطاع في ضربة واحدة موفقة، وشقت الطبقة الوسطى البورجوازية الطريق الى الديموقراطية الجديدة بين توازن رأس المال وطبقة العمال. اما الصنف الاوروبي الثالث« السلاف» فقد بقوا بعيداً عن غارة المحيط فدفعوا ثمن تأخرهم -كما نرى -في الصرب الحاليين الذين يذكروننا بعقلية صليبيي القرون الوسطى. وعندما استطاعت الثقافة الجرمانية وخاصة الانجليز من تطوير نظامها الاداري، قفزت الى سطح العالم كقوة عالمية مسيطرة، وكان القرن التاسع عشر لها، كما كان القرن العشرين لابنها البكر امريكا. وسيبقون الى فترة طويلة على مايبدو مشاركين في هندسة مصير الجنس البشري. ومع تدفق خيرات القارات الجديدة وذهبها، تحول الفقراء الاوروبيون الحجاج الى بيت المقدس فجأة من أمم فقيرة هزيلة عاجزة عن حل مشاكلها الى أمم قيادية من نوع مختلف، فمع نمو الطبقة الوسطى، وبداية انفجار الثورة الصناعية، امكن في ظل البرلمان البريطاني، ان يتم وضع انموذج جديد للادارة حيث شكل التوازن الجديد بين طبقة اصحاب الثروة والقوة العمالية. أنموذج الديموقراطية الرأسمالية الجديدة التي تملك مقادير الجنس البشري في الوقت الراهن.

وعندما هرب فرسان المماليك امام مدفعية نابليون كانت الهزيمة في الواقع بين عالمين مختلفين، فالعالم الاسلامي استيقظ على الصفعة الاستعمارية هذه المرة، واحس بقشعريرة البرد شعور الغنم في الليلة المطيرة. ان العالم الجديد قد تغير وان الزمان قد دارت دورته، وان اساطير الف ليلة وليلة قد انتهت، وان شهريار قد ادركها الصباح وان احلام الماضي قد انقشعت كما يستيقظ المصاب في حادث السيارة وهو في العناية المشددة بعد ان تعرض لكسور رهيبة ونزف خطير، فهو يصرخ من آلامه. ولكنها آلام المخاض للخروج من رحم الأحلام الدافئة -في قصص ألف ليلة وليلة والسندباد البحري- الى العالم الجديد الذي لم يشارك في صناعته.

نحن مازلنا نعاني من مشكلة فهم تعقيدات هذا العالم الجديد المسحور، ومعاناة ضريبة التكيف معه، لانه عالم لم تصنعه أيدينا، فنحن امام سحر جديد لم نقدر على فك طلسمه بعد. والتعامل مع ملك الجان. ■

هوامش ومراجع:

١-تنسب فكرة الزائر السماوي في اصلها الى المفكر الجزائري مالك بن نبي حيث وضع مصطلح« محور طنجة- جاكرتا» ومحور«واشنطن موسكو» وتكرر هذا المصطلح على شكل «ثابت» ضمن مفاهيمه في سلسلة مشكلات الحضارة التي بلغت نحو عشرين كتاباً.

٢-عندما أرادوا بناء البيمارستان في احد ضواحي بغداد عمد اطباء ذلك الوقت الى تعليق اربع قطع لحم في الاتجاهات الاربعة، وانتظروا آخرها فساداً،وفي ذلك المكان تم بناء المستشفى. نحن اليوم لانعرف بناء بيوت صحية عازلة حتى مثل الحس الفطري عند اجدادنا عندما بنوها من الطين، فبيوتنا لاتعرف الاتجاه« القبلي» وهي باردة في الشتاء حارة في الصيف، وعندما نعجز عن دفع فواتير المكيفات سوف تهرب من سكناها حتى ثعابين الصحراء!!

٣-ذكر ذلك ابن بطوطة في رحلاته عندما تفاهم وباللغة العربية مع شعوب الارض المتحضرة في ذلك الوقت من طنجة حتى الصين واعتمدت شهادته كقاض «شهادة حقوق عالمية معترف بها» فاشتغل بها براتب مجز لعدة سنوات في الهند.

٤-تم تمثيل القصة بفيلم حيث رأينا مدينة كاملة للشحاذين في باريس.

٥-كتاب الناقد ص ٤٣.

٦-الناقد ص٩

٧-نقلاً عن طاقة العالم قسم الاحصاء لعام١٩٩١م مجلة الشبيجل.

٨-يراجع في هذا كتاب محمد عبد الله عنان الموسوعي حول التاريخ الاندلسي.

٩-كتاب سليمان القانوني- تأليف هارولد لامب- ترجمة شكري محمود نديم ص ١٨٠.

١٠-فيلم يرقص مع الذئاب تم عرض مأساة فناء الهنود الحمر من الجانب الهندي- ربما للمرة الاولى- في تاريخ هوليود بعد ان اعتدنا مشاهدة الهنود الحمر الوحوش الذين يصرخون ويذبحون الامريكيين المتمدنين بالبلطات!!

١١- ترجمة بشير السباعي- دار سينا للنشر وهو كتاب عرض فيه المؤلف مأساة إبادة سكان الحضارات القديمة وبقيت انا شخصياً مصدوما لعدة ايام عند قراءته، وتعرضت له مجلة الشبيجل الالمانية عند نشر سلسلة فتح امريكا بغرض جديد ومن دون مركزية اوروبية.

نحن مازلنا نعاني من مشكلة فهم تعقيدات هذا العالم الجديد المسحور، ومعاناة ضريبة التكيف معه

أحكام

من القضايا الفقهية:

اللمس وأثره في الطهارة الصغرى

بقلم د. أحمد محمود كريمة

اتفق المسلمون على أن الطهارة الشرعية طهارتان: طهارة من الحدث، وطهارة من الخبث، واتفقوا على أن الطهارة من الحدث ثلاثة أصناف: وضوء، وغسل، وبدل منهما هو التيمم(١).

والأصل في هذا: قول الله ـ تعالى ـ (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً....)(٢) واتفقوا على وجوب الطهارة من الحدث(٣).

وأجمع الأئمة على أن للصلاة شرائط لا تصح إلا بها وهي التي يتقدمها: الوضوء بالماء أو التيمم عند عدم وجود الماء، والوقوف على بقعة طاهرة، واستقبال القبلة مع القدرة، والعلم بيقين بدخول الوقت (٤). واتفقوا على أن امتثال خطاب الطهارة لأداء الصلاة واجب على كل من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها(٥). والأصل فيه: قول الله ـ تعالى ـ (..... إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا...) الآية وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لا يقبل الله الصلاة بغير طهور....»(٦) والإجماع: فإنه لم ينقل عن أحد من المسلمين في ذلك خلاف، ولو كان هناك خلاف لنقل. إذ العادات تقتضي ذلك.(٧) واتفقوا على أن الخارج المعتاد من السبيلين(٨) ينقض الوضوء(٩). والأصل فيه: صحة الآثار في ذلك.

واختلفوا في اللمس هل ينقض الوضوء والتيمم أم لا؟

ويتعلق بهذا الأمر معرفة معنى (اللمس) ومسائله: ـ

أولاً: معنى اللمس لغة:

اللمس باليد، ويقال لمسه أي مسه بيده فهو لامس. والمرأة باشرها. ولامسه ملامسة ولماساً: ماسه(١٠)

شرعاً: أن يلمس الرجل بشرة المرأة والمرأة بشرة الرجل بلا حائل بينهما(١١).

ثانياً: أشهر صور ومسائل اللمس:

يرجع هذا إلى اتحاد النوع واختلافه، ووجود الشهوة فيهما من عدمه. وعلى ذلك فالمسائل المتعلقة بهذا الأمر هي:

أ ـ اتحاد النوع والخلو من الشهوة.

ب ـ اتحاد النوع مع الشهوة.

ج ـ اختلاف النوع والخلو من الشهوة

د ـ اختلاف النوع وكان بشهوة.

مسألة اتحاد النوع والخلو عن الشهوة:

يعني باتحاد النوع أي لمس الرجل الرجل، أو لمس المرأة المرأة، وأما الخلو عن الشهوة فظاهر لأن هذا هو الأصل ـ فيما نحن بصدده ـ في أهل الطبع العادي، بخلاف الشواذ الذين يستلذون بنوعهم!!.

إذا علم هذا: فإن كان اللمس مع اتحاد النوع وخلا من الشهوة فقد اتفقت كلمة الفقهاء على أنه لا ينقض الوضوء.(١٢)

مسألة: اتحاد النوع وكان بشهوة

إن كان اللمس مع اتحاد النوع وكان بشهوة فهل ينقض الوضوء أم لا؟

اختلفت في هذا كلمة الفقهاء على مذهبين:

المذهب الأول: لا ينقض الوضوء، ذهب إلى ذلك الحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية وبعض المالكية(١٣).

المذهب الثاني: ينقض الوضوء، ذهب إلى هذا أكثر المالكية.(١٤)

الأدلة

استدل أصحاب المذهب الأول وهم الجمهور على ما ذهبو إليه بدليل المعقول:

أن اللمس والحال هذه ـ ليس بداخل فيما وردت به النصوص الشرعية ولا هو في معنى ما وردت به النصوص فلا ينقض به الوضوء.(١٥)

استدل أصحاب المذهب الثاني ـ جمهور المالكية ـ على ما ذهبوا إليه بدليل:

القياس على اللمس مع اختلاف النوع بجامع أن في كل التقاء بشرتين على وجه اللذة ينقض الوضوء.(١٦)

المناقشة

يناقش أصحاب المذهب الثاني بما يلي:

لا يسلم ما ذكروه من القياس لأنه لا يجرى في مثل هذا فالأحداث وما في معناها لا تثبت إلا بطريقة التوقيف.(١٧).

وعلى فرض صحة ما قالوه من قبول هذا القياس، فحكم الأصل ممنوع بالنصوص الدالة على عدم انتقاض الوضوء باللمس مع اختلاف الجنس.(١٨)

ويضاف إلى ذلك: أنه لو صح ثبوت الحكم في الأصل فيكون قياساً مع الفارق.

الرأي المختار: أرى ـ والله أعلم ـ أن ما ذهب إليه الجمهور أصحاب المذهب الأول من عدم نقض الوضوء بلمس الرجل الرجل أو لمس المرأة مع وجود شهوة لقوة ووجاهة ما استندوا إليه وضعف ما ذكره المخالفون.(١٩)

وأجمع الأئمة على أن للصلاة شرائط لا تصح إلا بها

مسألة: اختلاف النوع وخلا عن الشهوة

وتصور هذه المسألة في لمس رجل امرأة ـ وبالعكس ـ وهي أكثر المسائل تعرضاً للفتيا

وهي ما يتبادر إلى الذهن ـ غالباً ـ وما تبرزها جل المصنفات الفقهية.
اختلفت كلمة الفقهاء فيها على أقوال أشهرها قولان:
القول الأول: لا ينتقض الوضوء، قال بهذا الحنفية والمالكية والحنابلة ـ في المشهور.(٢٠)
القول الثاني: ينتقض الوضوء. قال بهذا الشافعية والظاهرية وأحمد في رواية.(٢١)

سبب الخلاف:

أ ـ اشتراك اسم اللمس في كلام العرب، فإنهم يطلقونه مرة على اللمس الذي هو باليد، ومرة يكنون به عن الجماع.
ب ـ تعارض الآثار الواردة في ذلك.(٢٢)

الأدلة

واستدل أصحاب القول الأول على ما ذهبوا إليه بدليل الكتاب والسنة والمعقول:
أولاً: دليل الكتاب: قوله ـ تعالى ـ (أو لامستم النساء) (٢٣).
وجه الدلالة: الملامسة هنا مختصة باللمس الذي هو الجماع، والملامسة من باب المفاعلة ولا تكون إلا بين اثنين، واللمس باليد إنما يكون من واحد فثبت أن الملامسة هي الجماع، ويضاف إلى ذلك أن اللمس إذ قرن النساء يراد به الجماع تقول العرب لمست المرأة أي جامعتها، كذلك فإن اللمس يحتمل الجماع حقيقة أو مجازاً فيحمل عليه توفيقاً بين الدلائل(٢٤)، وذكر ترجمان القرآن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الملامسة هنا بمعنى الجماع (٢٥) وعلى هذا فاللمس ـ مع اختلاف النوع ـ لا ينقض الوضوء لأن معناه الجماع فيقتصر عليه.
ثانياً: دليل السنة: منها:
أ ـ ماروي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «قبّل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ» (٢٦) وفي رواية «بعض أزواجه» (٢٧)
وجه الدلالة: لمس الرجل المرأة لا ينقض الوضوء لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمس ثم صلى من غير أن يتوضأ(٢٨) ولو كان اللمس ناقضاً لم يفعله أو لتوضأ(٢٩).
ب ـ ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كان يصلي وهو حامل أمامه بنت زينب(٣٠) فإذا سجد وضعها وإذا قام وضعها»(٣١).
وجه الدلالة: لو كان اللمس ناقضاً للوضوء ما حملها أو لخرج من الصلاة وتوضأ.(٣٢)
ج ـ ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «فقدت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد وهما منصوبتان....»الحديث (٣٣).
وجه الدلالة: أن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وضعت يديها على بطن قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو في الصلاة، فلو كان اللمس ناقضاً لخرج وتوضأ أو بيّن لها لأن البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة.
ثالثاً: دليل المعقول بوجوه منها: أن اللمس ليس بحدث في نفسه وإنما ينقض لأنه يفضي إلى خروج الحدث فاعتبرت الحالة التي تفضي إلى الحدث وهي حالة الشهوة(٣٤) فيقتصر عليها ـ أي ـ حال الشهوة فقط ولا تتعدى إلى غيرها أي التي من دون شهوة وهو ما نحن فيه.

ذهبوا إليه من نقض الوضوء باللمس مطلقاً بدليل الكتاب والسنة والمعقول:
أولاً: دليل الكتاب: قوله تعالى (أو لامستم النساء).
وجه الدلالة: اللمس يطلق على الجس باليد قال الله ـ تعالى ـ (فلمسوه بأيديهم)(٣٥)، واللمس التقاء البشرتين مطلقاً سواء أكان بجماع أم بغيره، وقرأها ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (و لمستم) واللمس حقيقة في المس باليد وتخصيصه بالجماع مجازاً والقاعدة (الأصل في الكلام الحقيقة)(٣٦).
ثانياً: دليل السنة: منها:
أ ـ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا وقد أصابه منها إلا أنه لم يجامعها؟ فقال: «توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصلّ»... الحديث (٣٧).
وجه الدلالة: أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجل بالوضوء من اللمس.
ب ـ ما روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه «قُبْلَةُ الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قَبّل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء»(٣٨).
وجه الدلالة: لمس المرأة ينقض الوضوء فيكون حدثاً من الأحداث الناقضة للطهارة.
ثالثاً: دليل المعقول بوجوه منها: القياس على لمس المحرم بالحج فإنه يوجب الفدية فينقض الوضوء(٣٩).

المناقشة

يناقش أصحاب القول الأول بما يلي:
مناقشة دليل الكتاب: لا يسلم بأن اللمس هنا يراد به الجماع لأن اللمس باليد ينطلق حقيقة على اللمس باليد، ويطلق مجازاً على الجماع، وإذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز فالأولى أن يحمل على الحقيقة حتى يدل الدليل على المجاز(٤٠).
يجاب: المجاز إذا كثر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة، كالحال في اسم الغائط الذي هو أدل على الحدث الذي هو فيه مجازاً منه على المنخفض من الأرض الذي هو فيه حقيقة(٤١).
مناقشة دليل السنة: حديث «قبل امرأة من نسائه»، «بعض أزواجه» ضعيف لا يجوز الاحتجاج به وقد حكم بضعفه جمهرة من العلماء (٤٢) و (٤٣).
يجاب: الحديث روي عن طرق صحيحة يقوي بعضها بعضاً (٤٤) وذلك مثلما ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ فقال عروة فقلت لها: من هي إلا أنت؟ فضحكت.» (٤٥)، وقال عنه العلماء لا يعلم له علة توجب تركه.

اللمس ليس بحدث في نفسه وإنما ينقض لأنه يفضي إلى خروج الحدث

الحمل اللمس (٤٧)
يجاب: هذا خلاف الظاهر فكيف يتصور حملها ووضعها.
حديث «فقدت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة من الفراش...» طعن فيه الترمذي وأبو داود وقال الدارقطني هذه اللفظة لا تحفظ وإنما المحفوظ« كان يقبل وهو صائم..»(٤٨).
يناقش أصحاب القول الثاني بما يلي:
مناقشة دليل الكتاب: اللمس وإن كانت دلالته على المعنيين بالسواء أو قريباً من السواء فهو ظاهر في الجماع وإن كان مجازاً لأن الله ـ تعالى ـ قد كني

بـالمباشرة والمس عن الجماع وهما في معنى اللمس وعلى هـذا التأويل في الآية يحتج بها في إجازة التيمم للجنب دون تقديم فيها ولا تأخير. (٤٩) وعلى هذا فـالآية خارجـة عن محل النزاع «اللمس بـاليد وما مـاثلها من الأعضاء الحساسة».

مناقشة دليل السنة: اللمس للرجـل في الحديث هو اللمس بشهوة بداهة وذلك خارج عما نحن فيها «اللمس الخالي عن الشهوة».

ب ـ وما قاله عمرو مـا نسب إليه يحمل على اللمس والقبلة حال الشهوة بدليل جمعـه لهما «قبلة الرجل امـرأته وجسها بيده...» وإذا تقـرر هذا فإنه كسابقه خارج عن محل النزاع.

مناقشة دليل المعقول: ما قالوه قياس في مقابلة النصوص الثابتة وهذه الأمور كغيرها من العبادات لا تعلل.

الرأي المختار: وبعد عرض القولين بالأدلة والمناقشة فقد اتضح لي أن ما ذهب إليه أصحـاب القول الأول من عدم نقض الوضـوء باللمس الخالي عن الشهوة لقـوة ما استـدلوا بـه وضعف ما استـدل به المخـالفون، وتحقيقـه مصـالح معتبرة منهـا «رفع الحرج» عن النـاس ولا سيما في أيامنـا هذه التي كثر الناس فيهـا وحدث التزاحم والتـدافع في الأسواق، ووسائل المواصلات ومنـاولة المرأة زوجها طلباته المنزليـة المعتادة وما أشبه ذلك.

مسألة: اللمس مع اختلاف النوع وكان بشهوة

اختلف الفقهاء في نقض الوضوء بـاللمس مع اختلاف النوع ـ لمس رجل امرأة ـ وكان بشهوة وذلك على مذهبين:

المذهب الأول: ينقض الوضوء. ذهب إلى هذا المالكية والشافعية والحنابلة ـ على المعتمد ـ والظاهرية. (٥٠)

المذهب الثاني: لا ينقض الوضوء. ذهب إليه الحنفية ومن وافقهم.(٥١)

الأدلة:

استدل أصحاب المذهـب الأول على ما ذهبوا إليه بدليـل الكتاب والسنة والأثر والمعقول.

أولاً: دليل الكتاب: قوله ـ تعالى ـ (أو لامستم النساء).

وجه الدلالة:

أ ـ أمر اللـه تعالى بـالطهـارة من لمس النساء وحقيقـة اللمس ملاقـاة بشرتين.(٥٢)

ب ـ أشبه أن يكون أوجب الوضوء الغائط وواجبه من الملامسة.(٥٣)

ج ـ وذكرت «الملامسة» مـوصولة بالغائط بعد ذكـر الجنابة، فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد والقبلة غير الجنابة (٥٤)

ثانيـاً: دليل السنة: منها خبر معـاذ بن جبل ـ رضي الله عنـه ـ «في رجل أصاب من امرأة لا تحل له ما يصيب من امرأته إلا أنه لم يجامعها فقال: «توضأ وضوءاً حسناً. ثم قم فصل»... الحديث(٥٥)

وجه الدلالة: ظاهر وتقدم.

ثالثاً: دليل الأثر منه: أ ـ ما روي عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ــ أن من لمس امرأة أو قبلها فعليه الوضوء: روي عن عبدالله بن عمر.(٥٦)، و ابن مسعود(٥٧).

وجه الدلالة: هذا الأمر توقيفي لا مجال للرأي فيه فيكون قول الصحابي فيه ومثله حجة.

رابعاً: دليل المعقول: اللمس إذا كان بشهوة أفضى إلى خـروج الحدث عـادة فكـان نـاقضـاً للوضـوء في هذه الحالـة.(٥٨) استدل أصحـاب القـول الثاني على مـا ذهبـوا إليـه بدليل السنـة والمعقول:

أولاً: دليل السنة: أ ـ خبر عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «قبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»(٥٩)

وجه الدلالة: التقبيل لا ينقض الوضوء ومن باب أولى ما دونه(٦٠)

ب ـ خبر عـائشة ـ رضي اللـه عنها ـ «كان رسـول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ يصلي وإني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة حتى إذا أراد أن يوتر مسّني برجله...»(٦١)

وجه الدلالة: لمس المرأة لا ينقض الوضوء.

ثانياً: دليل المعقول:

اللمس ليس حدثاً بعينه ولا سبباً لوجود الحدث غالباً فأشبه لمس الرجل الرجل ولمس المرأة المرأة. (٦٢)

المناقشة

يناقش أصحاب القول الأول بما يلي

أولاً: منـاقشة دليل الكتـاب: المراد من اللمس الجماع بشهادة السيـاق والذوق واللغة والنقل عن المحتج بتفسيره:

أ ـ السياق: أن الله ـ تعالى ـ عـم الخطاب في أولها للرجال والنساء بقوله (يـا أيها الذيـن آمنوا إذا قمتم إلى الصـلاة) فليكن التعميم مستمـراً إلى آخرها، وتكـون الملامسة مشتركة بين الرجـال والنساء إلا لجماع. ولأن الله ـ تعالى ـ ذكـر حكم الطهارتين «الماء والتراب» مع وجود الماء وعدمه فيدل على أن الجماع مراد الآية.

ب ـ الـذوق: ان الله تعالى ــ استعمل في كتابه العـزيز الكنايـات البليغة المشعرة بالمراد مما يستهجن التصريح بـذكره، وقد أورد أهل البيان من ذلك ما فيه تبصرة لمن رام الوقوف على أساليب النظم القرآني العظيم.

ج ـ اللغة العربية: فقد صرح أهل اللغة أن دلالة اللمس على الجماع أظهر وإن كان مجازاً لأن الله ـ تعالى ـ كنى عنه باللمس والمباشرة والمماسة.

د ـ النقل: نقل عن جمهرة من السلف أن اللمس الجماع قـاله ابن عباس (٦٣).

يجاب: الجماع معنى مجازي والحمـل على الحقيقــة متعين متـى أمكن حتى يدل الدليل على المجاز (٦٤).

مقتضى ما ذكرتموه أن اللمس مطلقاً ينقض الوضوء سواء أكان بشهوة أم بغير شهوة.

يجاب: الأخبار الصحيحة والآثار المتوافرة قيدت اللمس بالشهوة.

ثانياً: مناقشة دليل السنة : أ ـ خبر معاذ قيل فيه «ليس إسناده بمتصل» لأن عبدالرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ ومعاذ بن جبل مات في خلافة الفاروق عمـر وقتل عمر وعبدالرحمن بن أبي ليلى صغير ابن ست سنين.

يجاب: على فـرض صحة مـا قيل فإنـه روي موصـولاً من حـديث ابن مسعود(٦٥).

ثالثاً: مناقشة دليل الأثر: قول الصحابي هنا ليس بحجة لوجود ما يعارضه فقد روى خلاف ما قالوه من أن اللمس بمعنى الجماع.

يجاب: سلف إثبات أن المراد باللمس هنا حقيقته اللمس باليد ويحمل اللمس والتقبيل على ما كان بشهوة جمعاً للأدلة وهو ما نقول به.

رابعاً: مناقشة دليل المعقول: لا يسلم قولهم بأنه يفضي إلى حدث «انزال المذي أو المني» لعدم تحقق ذلك واللمس بناء على هذا مقدمة والمترتب عليـه «حدث» والمقـدمـات تخالف النهايـات في الأحكام مثل اللبـن فإن أوله الدم ونهايتـه اللبن ولكل حكم.

يجاب: المقـدمـات تخالف النهـايـات ليس على

اختلف الفقهاء في نقض الوضوء باللمس مع اختلاف النوع

إطلاقه فالنوم مقدمة كذلك لحدث وهو خروج شيء لعدم الإدراك والحالة هذه فقد ثبت حكمه وهو بهذا مقدمة وسبب الحدث فكذا اللمس بشهوة.

يناقش أصحاب المذهب الثاني بما يلي:

أولاً: خبر عائشة «كان يقبل بعض أزواجه» مرسل وضعّفه البخاري وكل طرقه معلوله(٦٦).

يجاب: أعله البعض بما لا يطعن في صحته فقد روى من طرق متعددة يقوي بعضها بعضاً وقد دفع ما وجه إلى الحديث من مطاعن غير واحد من الباحثين(٦٧).

أ ـ سلمنا بصحته إلا أنه محمول على التقبيل بغير شهوة مثل القبلة للبر والإكرام فيكون خارجاً عن محل النزاع.

ب خبر عائشة «كان يصلي وإني لمعترضة» يناقش بأنه لمس من دون شهوة وهو خارج عن محل النزاع.

ثانياً المعقول: يناقش بما يلي: اللمس سبب لوجود الحدث غالباً إذا كان مع الشهوة أما لمس الرجل للرجل والمرأة للمرأة فيمنع ثبوت الحكم في الأصل ولو سلم فمثله ليس مظنة لشهوة عادة فلا يصح القياس. يضاف إلى ذلك: أن هذه الأمور مما لا يجري القياس فيها أصلاً لثبوتها بنصوص وكونها توقيفية.

الرأي المختار: وبعد عرض المذهبين الأدلة والمناقشة فقد اتضح لي رجحان ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول من أن اللمس إن كان بشهوة واختلف النوع ينقض الوضوء لقوة أدلتهم وضعف أدلة المخالفين.

الخلاصة

وعلى هذا فقد اتضح لنا فيما مضى الحكم الشرعي لأهم مسائل اللمس على النحو التالي:

اللمس مع اتحاد النوع وخلا من الشهوة: لا ينقض الوضوء.

اللمس مع اتحاد النوع وكان بشهوة: لا ينقض الوضوء.

اللمس مع اختلاف النوع وخلا عن الشهوة: لا ينقض الوضوء.

اللمس مع اختلاف النوع وكان بشهوة: ينقض الوضوء.

والله تعالى أعلم . ■

الهوامش

١ ـ بداية المجتهد ١/٧ ط الحلبي
٢ ـ الآية ٦ من سورة المائدة.
٣ ـ بداية المجتهد ١ /٧.
٤ ـ رحمة الأمة ص ٣٠ ط الحلبي
٥ ـ بداية المجتهد ١/٧
٦ ـ صحيح مسلم ١/ ٢٠٤ ط الحلبي
٧ ـ بداية المجتهد ١/٧.
٨ ـ القبل والدبر
٩ ـ بداية المجتهد ١/ ٣٤، رحمة الأمة ص ١١.
١٠ ـ المعجم الوجيز ص ٥٦٤.
١١ ـ المهذب ١/ ٣٠.
١٢ ـ المغني ١/ ١٤٤.
١٣ ـ بدائع الصنائع ١/١٤٨، المجموع ١/١١، المغني ١/ ١٤٤، المحلي ١/٣٣١، حاشية الدسوقي ١/١١٧.
١٤ ـ بداية المجتهد وما بعدها ١/٣٧، المنتقى للباجي ١/٩٢، بلغة السالك ١/١١٣ وما بعدها، حاشية الدسوقي ١/ ١١٩ وما بعدها.
١٥ ـ المغني ١/ ١٤٤.
١٦ ـ بلغة السالك ١/ ١١٣.
١٧ ـ بدائع الصنائع ١/١٤٨.
١٨ ـ المجموع ٢/٢٢.
١٩ ـ الميسر في فقه العبادات أ.د/ علي مرعي ص ١٥٢.
٢٠ ـ المبسوط ١/٦٧، تبيين الحقائق ١/١١ وما بعدها، بلغة السالك ١/١١٣، المغني ١/١٤١.
٢١ ـ نهاية المحتاج ١/ ٨٠ وما بعدها، المجموع ٢/٢٦، المحلى ١/٣٣١.
٢٢ ـ بداية المجتهد.
٢٣ ـ دليل خاص بالحنفية لعموم عدم النقض باللمس عندهم.
٢٤ ـ تفسير القرطبي ٢/١٧٩٣، بدائع الصنائع ١/١٤٨.
٢٥ ـ نيل الأوطار ١/ ٢٣١، المبسوط ١/٦٨.
٢٦ ـ سنن الترمذي ١/ ١٣٣ ط الحلبي.
٢٧ ـ سنن النسائي ١/ ١٠٤.
٢٨ ـ المغني ١/ ١٤٢.
٢٩ ـ الميسر في فقه العبادات ص ١٥٣.
٣٠ ـ بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لأبي العاص.
٣١ ـ صحيح البخاري باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة.
٣٢ ـ المغني ١/١٤٣.
٣٣ ـ نيل الأوطار ١/١٩٨.
٣٤ ـ المغني ١/١٤٣.
٣٥ ـ من الآية ٧ من سورة الأنعام.
٣٦ ـ تفسير الرازي ٣/ ٢٢٧، المجموع ٢/ ٥٣١.
٣٧ ـ مسند أحمد ٥/ ٢٤٤، السنن الكبرى ١/ ١٢٥، مستدرك الحاكم ١/ ١٣٥.
٣٨ ـ السنن الكبرى ١/ ١٢٤، موطأ مالك رقم ٦.
٣٩ ـ المجموع ٢/ ٣٣.
٤٠ ـ بداية المجتهد ١/٣٨.
٤١ ـ المرجع السابق.
٤٢ ـ كسفيان الثوري ويحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل وأبو داوود والنيسابوري والدارقطني والبيهقي.
٤٣ ـ المرجع السابق منتقى الأخبار ١/ ٢٣١ ، نيل الأوطار ١/ ٢٣٢.
٤٤ ـ كطريق وكيع بن الأعمش.
٤٥ ـ سنن ابن ماجة ١/٩٣، سنن البيهقي ١/ ١٢٥ وما بعدها.
٤٦ ـ الجوهر النقي ١/ ١٢٥.
٤٧ ـ المجموع ٢/ ٣٤.
٤٨ ـ أحكام عبادات المرأة ـ د. سعاد صالح ص ١٥٩.
٤٩ ـ بداية المجتهد ٨/ ٣٨ وما بعدها.
٥٠ ـ بلغة السالك ١/١١٣، المجموع ٢/٢٦، المغني ١/١٤١، المحلي ١/ ٣٣١.
وجود الشهوة حقيقة بأن يحس اللامس بذلك أو حكماً بأن يقصد ولا يجد ولذلك يحسن وجهة نظر المذاهب الفقهية في ذلك: ـ
أ ـ يرى المالكية أن اللمس الذي ينقض به الوضوء كون اللامس بالغاً والملموس ممن يشتهى عادة والقصد وجود الشهوة وإدراكها بعضو من أعضاء اللامس ومن دون حائل كثيف... بداية المجتهد ١/٣٧، بلغة السالك ١/١١٣، حاشية الدسوقي ١/ ١١٩.
ب ـ يرى الشافعية أنه إذا التقت بشرتا رجل وامرأة أجنبية تشتهى ينقض الوضوء... نهاية المحتاج ١/ ٨٠ وما بعدها، المجموع ٢/٢٦.
ج ـ يرى الحنابلة أن لمس المرأة لشهوة ينقض الوضوء ولا فرق بين الأجنبية والمحرمة ولا الصغيرة ولا الكبيرة... المغني ١/ ١١٤، منتهى الإرادات ١/ ٢٥، الروض المربع ص ٣٩.
٥١ ـ كالشيعة الإمامية وانظر شرائع الإسلام ١/ ٢٥ حاشية ابن عابدين ١/٩٩ بدائع الصنائع ١/١٤٨ الاختيار ١/ ١٠.
٥٢ ـ المجموع ٢/٣١ المغني ١/١٤٢.
٥٣ ـ معرفة السنن والآثار ١/ ٣٧١.
٥٤ ـ الأم ١/١٥.
٥٥ ـ سبق تخريجه.
٥٦ ـ موطأ مالك ١/ ٤٣ ، السنن الكبرى ١/ ١٢٤.
٥٧ ـ موطأ مالك ١/ ٤٤.
٥٨ ـ المغني ١/ ١٤٣.
٥٩ ـ مسند أحمد ٦/ ٢١٠، سنن ابن ماجه ١/١٦٨، الدارقطني، ١٠/٥، السنن الكبرى ١/ ١٢٥ وما بعدها.
٦٠ ـ بدائع الصنائع ١/١٤٨.
٦١ ـ نيل الأوطار ١/ ١٩٦.
٦٢ ـ المبسوط ١/٦٨، أحكام القرآن للجصاص ١/٤٦، البدائع ١٤٨.
٦٣ ـ سبق بيان هذا وتوثيقه.
٦٤ ـ بداية المجتهد ١/٣٨.
٦٥ ـ الترمذي في كتاب التفسير تفسير سورة هود الآية ١١٤.
٦٦ ـ المجموع ٢/٣٢، نيل الأوطار ١/١٩٥.
٦٧ ـ كالشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث... الترمذي ١/ ١٣٤ وما بعدها.

حكم الموسيقى في الإسلام

شريعة

الموسيقى هي الصوت الرخيم الذي ينبع من نغمات مختلفة الدلالة سواء صدرت عن إنسان، أو حيوان، أو جماد. والموسيقى هي اللحن العذب الذي يجذب أذن السامع فتطرب له وربما تصرفه عن العبادة والذكر ولهذا تضاربت الآراء حولها واختلف المشرعون بين مؤيد ومعارض وأصبح للمريدين رأي وللمعارضين رأي وإليك رأى الفقهاء والعلماء:

اختلف فقهاء السلف والخلف في حكم الاستماع إلى الآلات الموسيقية على النحو التالي:

بقلم: أ. د. نزيه حماد

أولا: ذهب ابن حزم الأندلسي إلى أن حكمه يتبع نية المستمع، فمن نوى بالاستماع إليها عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق. ومن نوى بها الترويح عن نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه.

ومبنى رأيه أنه لم يثبت عن الله تعالى ولا عن نبيه ﷺ نهي عن ذلك، فكان حكمه في الأصل الإباحة، وإنما نظر إلى نية المستمع لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إنما الأعمال بالنيات» (المحلى لابن حزم ٩/ ٦٠، ٦١).

ثانيا: ذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم ذلك مطلقا، فقال ابن حجر الهيتمي: «الأوتار والمعازف كالطنبور والصنج والعود ذي الأوتار، والرباب والجنك والكمنجة والسنطير والدربيج وغير ذلك من الآلات المشهورة عند أهل اللهو والسفاهة والفسوق، هذه كلها محرّمة بلا خلاف. ومن حكى أن فيها خلافا فقد غلط،أو غلب عليه هواه حتى أصمّه وأعماه ومنعه هُداه، وزلّ به سنن تقواه. وممن حكى الإجماع على تحريم ذلك كله الإمام أبوالعباس القرطبي.

(كف الرعاع عن محرمات السماع ٢/ ٣٠٦). وقال ابن تيمية: «فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام» (مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٥٧٦).

اختلف العلماء والفقهاء في حكم سماع الموسيقى وكل منهم له دليله وبرهانه

وحكى ابن الصلاح الإجماع على التحريم فقال في فتاواه: «وأما إباحة هذا السماع وتحليله، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع».

(إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٢٤٧)

ثالثا: ذهب بعض الفقهاء المحققين المعروفين بالورع والتقوى إلى التفصيل في المسألة، ومن هؤلاء الشيخ عبدالغني النابلسي -أحد أعلام الفقه في القرن الثاني عشر الهجري- فقد قرر في رسالته «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» أن الأحاديث التي استدل بها القائلون بالتحريم -على فرض صحتها- مقيدة بذكر الملاهي، وبذكر الخمرة والقينات، والفسوق والفجور، ولا يكاد حديث يخلو من ذلك. وعليه كان الحكم عنده في سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشيء من المحرمات، أو اتخذ وسيلة للمحرمات، أو أوقع في المحرمات بصورة مباشرة أو غير مباشرة كان حراما. وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحا في حضوره وسماعه وتعلمه.

(إيضاح الدلالات ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢)

الآراء المؤيدة

وقال الإمام الغزالي: «الأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة: فإنها إما أن تخرج من جماد، كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره. وإما أن تخرج من حنجرة حيوان، وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقماري وذات السجع من الطيور، فهي من طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع، فلذلك يُستلذ سماعها. والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة. وما من شيء

توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخِلْقَةِ التي استأثر الله تعالى باختراعها، وشرح ذلك يطول. فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يُحرَّم لكونها طيبة أو موزونة، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي، كالذي يخرج من حلقة أو من القضيب والطبل والدف وغيره، ولا يستثنى من هذه إلا الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها، إذ لو كان للذة، ، لقيس عليها كلُّ ما يلتذ به الإنسان، ولكن حرمت الخمور، واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها، حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان، فحرَّم معها ما هو شعار أهل الشرب، وهي الأوتار والمزامير فقط، وكان تحريمها من قِبَل الاتباع... فهي محرمة تبعاً لتحريم الخمر لثلاث علل «إحداها» أنها تدعو إلى شرب الخمر...«والثانية» أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب، فهي سبب الذكر، والذكر سبب انبعاث الشوق، وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام.. «والثالثة» الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق، فيمنع من التشبه بهم، لأن من تشبه بقوم فهو منهم...

فبهذه المعاني حرَّم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب وغيرها، وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين، وكالطبل والقضيب كل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب، لأن كل ذلك يتعلق بالخمرة ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها، فلم يكن في معناها، فبقي على أصل الإباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها. بل أقول: سماع الأوتار ممن يضرب بها على غير وزن متناسب مُسْتَلَذ حرامٌ أيضاً.

وبهذا يتبين أنه ليس العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد، قال تعالى ﴿قل مَنْ حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾، فهذه الأصوات لا تُحرَّم من حيث إنها أصوات موزونة، وإنما تُحرَّم بعارض مُحرِّم». (إحياء علوم الدين ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠ باختصار).

ورأي الإمام الغزالي لا يختلف في جوهره ومضمونه عما أفتى به النابلسي، بل فيه نوع من التأصيل الشرعي له، وكلاهما متفقان مع ما ذهب إليه ابن القيسراني في السماع.

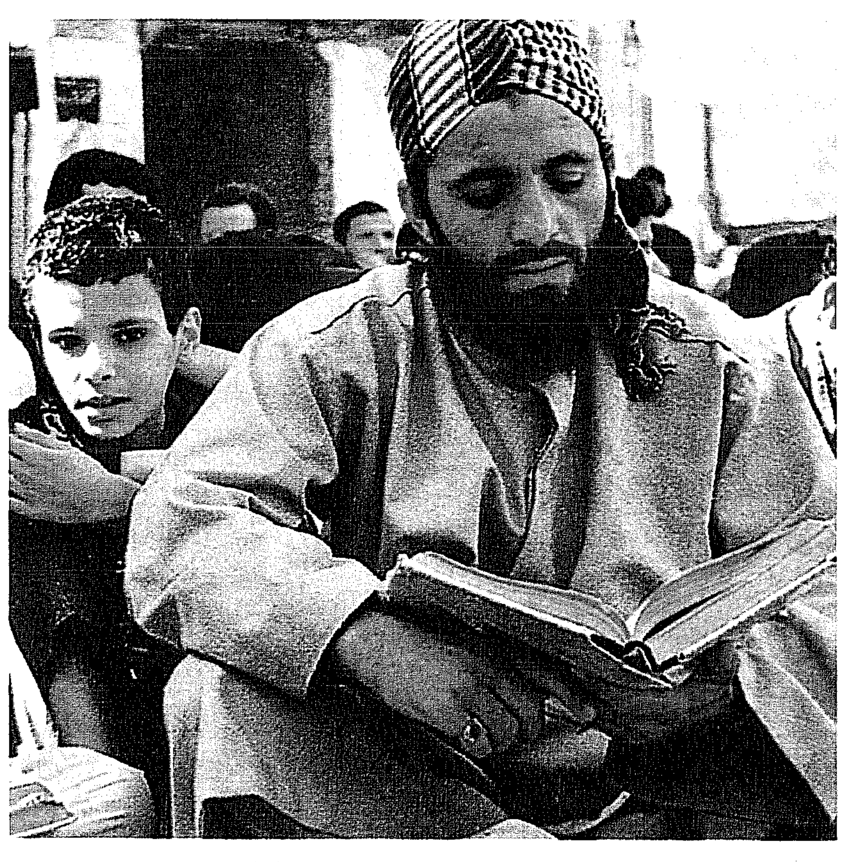
المذهب المختار

والذي يطمئن إليه القلب من هذه الأقاويل للفتوى في هذا الزمان: أن المسألة خلافية تدور بين العزيمة والرخصة. فمن شاء الاحتياط لدينه والأخذ بالعزيمة، عوّل على مذهب الجمهور المانعين. وخاصة إذا علمنا أن سماع الموسيقى والغناء هو جزء من ثقافة وحياة غير المسلم، يلجأ إليه كمؤنس لوحشته المنبعثة عن البعد عن الله، والانقطاع عن الدين الحق، وكعامل تسلية وترفيه له، وهو غافل عن ربه وعما خُلِقَ لأجله.

أما المسلم الصادق: الذاكر لربه في كل آن، المتعلّق بجلاله في كل حال، تفويضاً واستعانة وتسليماً وتوكلاً وطاعة ودعاء.. فأُنْسُهُ بالله وذكرِهِ وتلاوةِ كتابه، ومَرَحُهُ بطاعتِهِ وإتيان محابّه، وسعادتُهُ بمراقبته وشكره والرضا بما قسم له، بحيث لا يكون للموسيقى والأغاني موطن في قلبه ونفسه ومشاعره أو ثقافته وحياته.

ومَنْ شاء الأخذ بالرخصة ترويحاً عن نفسه وتخفيفاً عن كاهله في بعض الأحوال فَحَسْبُهُ ما ذهب إليه الغزالي والنابلسي وابن القيسراني ومن وافقهم من أهل العلم بالشروط التي ذكروها إنْ كان مالكاً لزمام نفسه من أن تتجاوز المباح إلى المحظور، أو أن يجعله ديدنه.

أما ما ذهب إليه ابن حزم، ففيه شيء من المجازفة، وينقصه التحرير والتنقيح. والله تعالى أعلم■



■ المسلم الصادق لا يكون للموسيقى موطن في قلبه

الوقف الجماعي.. انعقاده وحكم الرجوع فيه

بقلم د. أحمد الحجي الكردي

الوقف هو حبس العين الموقوفة على ملك الله تعالى، وصرف منفعتها على من أحبه الواقف.

وعلى ذلك، فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوقف يصح على الأغنياء وعلى الفقراء، وعليهما جميعاً، كما يصح على الأقرباء، وعلى الغرباء، وعليهما جميعاً أيضاً، إلا أنهم اشترطوا أن يكون الوقف في النهاية على جهة بر وخير لا تنقطع، فلو قال الواقف: وقفته على الأغنياء وحدهم لم يصح الوقف، إلا أن يقول وعلى الفقراء بعدهم، لأن الوقف نوع قربة، وهي لا تحصل إلا إذا كان فيها جهة بر وخير كالفقراء، وقال بعضهم: يصح الوقف ويكون للموقوف عليهم ثم للفقراء بعدهم حكماً.

ومنه يتضح أن الوقف على ثلاثة أنواع:

النوع الأول ـ الوقف الأهلي أو الذُّرّي: وهو الموقوف ابتداء على أشخاص أو جهات معينة، من غير اشتراط الفقر والحاجة، كأن يوقف ماله على أبنائه، فيشمل الأغنياء والفقراء منهم، وسمي أهلياً أو ذرياً لأنه في الغالب يكون للأهل والذرية، إلا أنه ليس مخصوصاً بهم، فلو وقفه على جيرانه المعنيين كان أهلياً أيضاً.

النوع الثاني ـ الوقف الخيري: وهو الموقوف ابتداء على جهات بر وخير، كالفقراء، والمساجد، والرباطات، والمصحات، وما إلى ذلك من جهات البر العامة، وسمي خيرياً لأن المراد فيه البر والخير والقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

النوع الثالث ـ الوقف المشترك: وهو الموقوف ابتداء على نوعين من الجهات، جهات أهلية، وجهات خيرية، سواء أكان الوقف بينهما مناصفة، أو أثلاثاً، أم غير ذلك، مثل أن يقول الواقف: وقفت مالي هذا نصفه على أولادي ونصفه الثاني على الفقراء والمساكين، أو ثلثه على أولادي وثلثيه على المسجد الفلاني.... هذا مع ملاحظة ما تقدم من أن كل وقف أهلياً كان أم خيرياً لابد أن يكون في نهايته إلى جهة بر وخير، لئلا ينقطع، إلا أنه إن شُرطت جهة البر هذه لزم ما شرط، وإن لم تشرط صرف إلى الفقراء والمساكين من غير شرط، لأنهم جهة البر العامة على الإطلاق.

الوقف أنواع متعددة منها الوقف الأهلي أو الفردي والوقف الخيري والوقف المشترك

تعريف الوقف الجماعي وحكمه

الوقف الجماعي هو الذي يشترك فيه عدد من الأشخاص أو الجهات، في حبس مال أو أموال يملكونها، على جهة واحدة أو جهات متعددة، بشروط معينة، وإدارة معينة، في عقد واحد أو عقود متعددة متلاحقة.

والوقف الجماعي بهذا المعنى جائز وصحيح عند عامة الفقهاء، ولا يفترق عن الوقف الفردي في ذلك، وربما كان الوقف الجماعي في بعض البيئات والظروف، وبخاصة في عصرنا الحاضر، الذي تقاربت فيه المسافات، وتكتلت فيه الجماعات والأفراد، هو المفضل، لمعان عدة، سيأتي تفصيلها.

أوجه ومعايير التمييز بين الوقف الجماعي والفردي:

الوقف الجماعي وقف واحد مهما تعدد فيه الواقفون، ومناط التفرقة بين الوقف الواحد والأوقاف المتعددة ليس بوحدة الجهة الموقوف عليها، أو وحدة الشروط، أو وحدة الإدارة، وحدها، ولكنه منوط باشتراك جميع الواقفين في الجهة، والشروط، والإدارة، اتحدت هذه كلها أو تعددت، أو اتحد بعضها وتعدد باقيها، فإن اشتركوا فيها كلها كان وقفهم وقفاً واحداً جماعياً، وإن استقل كل منهم عن الآخرين فيما تقدم، أو في بعضه، كان أوقافاً متعددة بتعددهم.

وعلى ذلك، فلو أن جماعة وقفوا أموالاً مشتركة بينهم على وجه الشيوع، أو خاصة بكل منهم، وقالوا مثلاً: وقفنا أموالنا هذه على فلان بن فلان، وفلان بن فلان.. وعلى أولادهما من بعدهما، ثم على الفقراء والمساكين، بشروط هي كذا وكذا.. على أن يدير هذا الوقف فلان وفلان، فإننا نكون أمام وقف واحد جماعي، ولو تعددت الجهات الموقوف عليها، وتعددت الشروط والإدارة، ما دامت كلها مشتركة بين الواقفين، ولا ينفرد واحد منهم عن الآخرين في واحد منها.

ولو أن الواقفين أنفسهم قالوا وقفنا أموالنا هذه، الأول منها على فلان، والثاني على فلان وهو غير الأول، والثالث على فلان وهو غير الأولين، فإننا نكون أمام أوقاف فردية متعددة، نظراً

لاختلاف الجهة الموقوف عليها، سواء اتحدت الشروط والإدارة أم تعددت.

الوقف الجماعي في التاريخ الإسلامي

الوقف قديم قدم التاريخ الإسلامي، وأول وقف في الإسلام هو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حيث أصاب أرضاً في خيبر، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم - مستشيراً إياه فيما يفعله في هذه الأرض: يا رسول الله، لقد أصبت أرضاً لم أصب مالا أحب إليّ ولا أنفس عندي، فكيف تأمر به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق بها على أن لاتباع، ولا توهب، ولا تورث، في الفقراء والقربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم صديقاً غير متمول فيه»، رواه النسائي (٣٥٤٢).

ثم تتابع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسان، على وقف بعض أموالهم على الذراري والأقارب وفي وجوه البر والخير المختلفة، من المساجد، والرباطات، والمصحات، والفقراء والمساكين، وغير ذلك.

وقد كان الوقف فردياً في أول عهده، واستمر على ذلك عقوداً من الزمان، الذري منه والخيري، ثم استمر الوقف الذري على ذلك إلى يومنا هذا، ولم تنتشر فيه فكرة الوقف الجماعي إلا في حدود ضيقة جداً، وذلك مرده إلى أنه خاص بالذرية والأقارب غالباً، وهو مما يختلف فيه في أكثر الأحوال من واقف إلى واقف، لاعتماده على أمور ورغبات شخصية.

أما الوقف الخيري، فإنه ما لبث بعد العقود الأولى من العصور الإسلامية، أن انتشرت فيه إلى جانب الوقف الفردي فكرة الوقف الجماعي، وذلك بالنظر إلى تعقد الحياة، وزيادة كلفة المشاريع الوقفية الخيرية، وبخاصة الكبيرة منها، كالمساجد، والمصحات، وتقلصت فكرة الوقف الخيري الفردي، وأصبحت مقصورة تقريباً على المشاريع الوقفية الصغيرة، كالدار توقف على جامع، أو السبيل يوقف على شرب المارة، وخصوصاً في العصر الحديث، حيث أصبحت فكرة الوقف الجماعي هي الغالبة في الأوقاف الخيرية، وذلك لارتفاع تكاليف المشاريع الوقفية ارتفاعاً كبيراً، مما قد يضعف عن تمويله والقيام به واحد على وجه الانفراد غالباً، مهما بلغ من الثروة والغنى، وساعد على ذلك ضعف فكرة الرغبة في الخيرات لدى كثير من الناس، فبدؤوا يكتفون بالمساهمة في وقف قائم أو مزمع إقامته، دون الانفراد به مستقلاً، حتى أصبحت أكثر المساجد الجديدة في أكثر أقطار عالمنا الإسلامي، وكذلك دور العلم، والمراكز الثقافية، ودور رعاية المسنين، والمستشفيات، وكثير من المشاريع الوقفية الكبيرة، أوقافاً جماعية، يتجمع لإقامتها العديد من الواقفين، ويقومون بها مجتمعين، بنسب متساوية أو متفاوتة - وهو الأعمال أكثر - بحسب ثروة كل منهم ورغبته في الخيرات.

الوقف قديم قدم التاريخ الإسلامي وأول الواقفين في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأرض خيبر

أهمية الوقف الجماعي

تتجلى أهمية الوقف الجماعي، ويظهر تميزه عن الأوقاف الفردية ولا سيما في الوقت الحالي من خلال أمور كثيرة، أهمها ما يلي:

١ - أن من المسلم به أن الوقف الكبير أكثر جدوى، وأكثر فائدة من الناحية الاستثمارية للموقوف عليهم من الوقف الصغير أو المال القليل، وهذا المال الكثير قد لا يتهيأ لواحد من الناس، فيكون اشتراك جماعة منهم فيه هو الطريق المعبِّدة للوصول إليه.

٢ - قد يكون المال الموقوف عقاراً، وقد يكون في أصله مشتركاً في ملكيته بين عدد من المالكين على وجه الشيوع، وفي وقف واحد منهم أو بعضهم لحصته فيه مضايقة للآخرين من الشركاء، ومضايقة للموقوف عليهم من جهة أخرى، والحل المفضل لإزالة هذه المضايقات هو أن يقفوه جميعاً، فيكون وقفاً جماعياً لهم.

٣ - في الوقف الجماعي توسيع أكثر لفكرة الخير والبر بين الناس، وتعميم لها، وتشجيع عليها، وذلك مقصد معتبر من مقاصد الشارع، كما أن فيه توسيعاً لدائرة المنشآت الوقفية التي هي معلم لامع من معالم هذه الشريعة الغراء، وذلك لما في المنشآت الوقفية بعامة، والكبيرة منها بخاصة، من معاني النفع العام، والقدرة على رفد جهات عامة يغفل الكثيرون عن الانتباه إليها، أو الاهتمام بها، كالمساجد، والمكتبات، والمصحات، والرباطات، ودور العلم، مروراً بالفقراء والمساكين بسائر أصنافهم.

٤ - في الوقف الجماعي تتيسر أمور الإدارة أكثر، لما يتوافر فيها غالباً من الخبرة الخاصة التي لا تتوافر في الأوقاف الصغيرة، مما يزيد في مردود وإنتاجية المال الموقوف.

٥ - قد يتشوف المسلم إلى وقف ماله أو بعضه، ويكون هذا المال قليلاً، فيستقله ويضعف عن الإقدام على الوقف، وتيسير له للانضمام إلى فئة الواقفين المشاركين في هذه العبادة المباركة.

٦ - ان بعض المؤسسات الوقفية لاتكون إلا كبيرة كثيرة الكلفة، كالمساجد والمصحات، وقد يضعف عن القيام بها الأفراد، مهما بلغت ثروتهم ورغبتهم في الخير، وفي هذه الحال لا يغني عن الوقف الجماعي شيء في إقامتها، وهذا الأسلوب هو الأمثل في بناء الجوامع ومؤسسات رعاية العجزة والمعوقين الآن، وهو المعول عليه في العصر الحاضر بعامة.

صور الوقف الجماعي

الوقف الجماعي له حالات وصور متعددة:

فهو إما أن يحصل من المشتركين فيه جميعاً في عقد واحد، أو في عقود متعددة، ثم هو إما أن يحصل منهم جميعاً في وقت واحد، أو في أوقات متلاحقة، وإما أن يكون في مال مشترك مشاع بين الواقفين، أو من كل منهم في مال خاص له لا يشاركه فيه الآخرون.

والوقف في كل هذه الصور صحيح إذا ما توافرت فيه الشروط والأركان المشروطة في الوقف مطلقاً، سواء منها ما يتعلق بالواقف، أو الموقوف عليه، أو الموقوف، أو صيغة الوقف.

وبيان مجمل هذه الحالات والصور كما يلي:

أولاً: الوقف الجماعي في عقد واحد:

قد يجتمع اثنان أو ثلاثة أو مئة من الناس، أو أكثر من ذلك أو أقل، على وقف عقار أو أكثر أو أي مال آخر يصلح للوقف، ثم ينشؤون هذا الوقف بعقد واحد يشتركون فيه جميعاً، ويتفقون فيه على الشروط والصيغة والجهة الموقوف عليها، كأن يقولوا: نحن فلان وفلان... وقفنا العقار الفلاني أوالعقارات الفلانية أو الأموال الفلانية، على الجهة أوالجهات الفلانية، على أن تديره الجهة أو الجهات الفلانية، بالشروط الفلانية وهذا الوقف له صور وأشكال، كما يلي:

أ ـ أن يكون المال الموقوف مشتركاً بين الواقفين على وجه الشيوع، كأن يكون عقاراً أو عقارات مملوكة بينهم على وجه الشيوع، بالتساوي أو بالتفاضل، فيوقفوها جميعاً في عقد واحد.

ولهذا الوقف أحوال، هي:

١ ـ أن يوقفوه جميعاً على جهة واحدة، بشروط واحدة، وبإدارة واحدة.

٢ ـ أن يوقفوه جميعاً على جهات متعددة، بشروط واحدة، وبإدارة جهة واحدة، وفي هذه الحال لابد أن يتفقوا جميعاً على الجهات الموقوف عليها، وأن يشتركوا فيها، فإذا انفرد كل منهم بجهة يستقل بها دون الآخرين، كانت أوقافاً فردية متعددة، لا وقفاً جماعياً واحداً.

٣ ـ أن يوقفوه جميعاً على جهة واحدة، أو جهات متعددة، ولكن بشروط متعددة وبإدارة واحدة، وفي هذه الحال لابد أن يتفقوا جميعاً على الشروط المتعددة، فتكون مشتركة بينهم، فإذا استقل كل واحد منهم ببعضها دون الآخرين، كان أوقافاً فردية متعددة، وليس وقفاً جماعياً واحداً.

٤ ـ أن يوقفوه جميعاً على جهة واحدة، أو جهات مختلفة، بشروط يتفقون عليها، ولا يستقل أي واحد منهم ببعضها دون الآخرين، وبإدارة واحدة أو إدارات متعددة، وهذه الإدارات لابد أن يجتمعوا عليها، ولا يستقل أي منهم بإدارة خاصة دون الآخرين، وإلا كان أوقافاً متعددة لا وقفاً واحداً.

ب ـ أن يكون المال الموقوف غير مشترك بين الواقفين، بل إن لكل منهم ماله الذي يستقل به دون الآخرين، وفي هذه الحال يكون لهذا الوقف كافة حالات وقف المال المشترك المتقدمة نفسها، بكافة تقسيماتها، دون فارق مؤثر.

ثانياً الوقف الجماعي في عقود متعددة:

قد يتعاقب الواقفون على الوقف، فيوقفون أموالاً مشتركة بينهم على الشيوع، كل منهم حصته فيها على جهة واحدة، أو جهات متعددة، بشرط واحد، أو بشروط متعددة، يتفقون عليها جميعاً، وربما كانت هذه الأموال غير مشتركة بينهم، بل لكل منهم فيها مال خاص مستقل به عن الآخرين، ويقوم كل منهم بوقف ماله، وفي كل هذه الأحوال السابقة يكون الوقف صحيحاً، إذا استوفى أركانه وشروطه العامة، فإذا انتقص أحد شروطه، أو فقد ركنه، كان مشوباً بالفساد أو البطلان، على حسب الشرط المنتقص.

الأحكام الشرعية للوقف الجماعي

الأحكام الشرعية للوقف الجماعي من حيث هي:

أ ـ انعقاده وصحته ونفاذه: لن نبحث هنا في كيفية وشروط انعقاد وصحة الوقف العامة، ولا شروط نفاذه، سواء ما يتعلق منها بالواقف، مثل كمال الأهلية، أو بالموقوف كالمالية والتقوُّم، أو بالموقوف عليه، بأن يكون جهة صالحة للخير والبر، أو بصيغة الوقف، بأن تكون مؤبدة.... أو غير ذلك، ولا في كون هذه الشروط متفقاً عليها أو مختلفاً فيها بين الفقهاء، وذلك لأن الوقف الجماعي لا يختلف في ذلك عن الوقف الفردي، وتلك الشروط مفصلة في كتب الفقه، والرجوع إليها لا يصعب على أحد.

ولكننا سنبحث في أسس انعقاد الوقف الجماعي، وبيان شروطه وأحواله الخاصة به، سوى وقف المريض والمدين، فإننا سنشير إليه هنا الى اهميته، وإن كان حاله لا يختلف في الوقف الجماعي عنه في الوقف الفردي.

ب ـ الأحكام الخاصة بوقف المريض مرض الموت، ووقف المدين: اتفق الفقهاء على أن المريض مرض الموت ممنوع من التبرع والإيصاء بأكثر من ثلث ماله، إلا أن يوافق على ذلك ورثته بعد موته، فإن وافقوا نفذ، لأنه موقوف لحقهم، فينفذ بتنازلهم عن هذا الحق، وإن لم يوافقوا نفذ في حدود الثلث وبطل في الباقي، هذا ما لم يكن مديناً، فإن كان مديناً منع من التبرع إلا من ثلث ما يفضل من ماله عن الدين، ما لم يجزه الدائنون، فإن أجازوه نفذ، لأنه توقف لحقهم، فينفذ بإجازتهم كالورثة، فإن استغرق الدين كل المال، منع من التبرع مطلقاً، ما لم يجزه الدائنون، والوقف نوع من التبرع، فيمضي عليه ما يمضي على التبرعات الأخرى، وهذا كله إذا كان الوقف على

الوقف في كل الصور صحيح إذا ما توافرت فيه الشروط والأركان وكل ما يتعلق بالواقف والموقوف وصيغة الوقف.

غير الوارث، فإن كان من مريض على وارث، فإن إجازة باقي الورثة نفذ ما لم يكن الواقف مديناً، فإن كان مديناً فيحسب ما تقدم، وإن لم يجزه الورثة، فقد ذهب البعض من الفقهاء إلى نفاذه من ثلث التركة، وإبطال ما زاد عن ذلك، وذهب البعض إلى إبطاله كله، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لا وصية لوارث»، والوقف في مرض الموت له حكم الوصية. هذا في وقف المريض مرض الموت، مديناً كان أم غير مدين، أما المدين غير المريض إذا وقف ماله أو بعضاً منه، فإذا كان ذلك بعد الحجر عليه، فإنه يكون موقوفاً على إجازة الدائنين والقاضي، إن أجازوه نفذ، وإلا فلا، وإن كان قبل الحجر عليه، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى صحته ونفاذه، وذهب آخرون إلى أنه موقوف على إجازة الدائنين في حدود دينهم، وينفذ فيما وراء ذلك.

ج ـ صيغته: صيغة الوقف الجماعي لا تختلف عن صيغة الوقف الفردي، إلا من حيث إن الواقف في الوقف الفردي واحد وفي الوقف الجماعي متعدد، وهو فارق غير مؤثر، ولا يستدعي أفراد صيغة الوقف الجماعي بدراسة مستقلة خاصة بها.

وصيغة الوقف عامة هي كصيغة أي عقد من العقود الشرعية التبرعية الأخرى، كالهبة، والصدقة، والإعارة، تكون باللفظ المعبر عن المعنى المراد لغة وعرفاً، دون اختصاص الوقف بلفظ معين دون آخر، للقاعدة الفقهية الكلية: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني»، هذا إلى جانب شروط أخرى مفصلة في أبواب العقود عامة، كالعقل، والبلوغ والاختيار.

د ـ شروط الاستحقاق في الوقف الجماعي: الاستحقاق في الوقف الجماعي مثله مثل الاستحقاق في الوقف الفردي، يكون بحسب نص الواقف وشروطه، ولا يجوز الخروج عن ذلك ما دامت هذه الشروط صحيحة والمستحقون المذكورون فيه موجودين، فإذا انعدم الموقوف عليهم، نقل الوقف عنهم إلى أقرب مستحقين مشابهين لهم بالنسبة لغرض الواقف، كما إذا وقف مالاً على مسجد معين فهدم المسجد، فإنه ينتقل عنه إلى أقرب مسجد إليه، ولو وقف مالاً على فقراء بلد معين، فلم يبق في البلد فقير، فإنه ينتقل إلى فقراء أقرب بلد إليه، وهكذا....

هـ ـ قسمته: وكذلك قسمة الوقف الجماعي، فإنها تكون بين المستحقين له كما هي بين المستحقين في الوقف الفردي، هذا مادام المال الموقوف مستقلاً بنفسه مفرزاً عن غيره، فإذا وقف جماعة من الشركاء حصتهم في عقار دون باقي الشركاء، صح الوقف في حصة الواقفين وحدهم، وقسم العقار الموقوف بين الموقوف عليهم وبين باقي الشركاء المالكين له كما يقسم أي عقار مشاع بين مالكيه، لإزالة شيوعه.

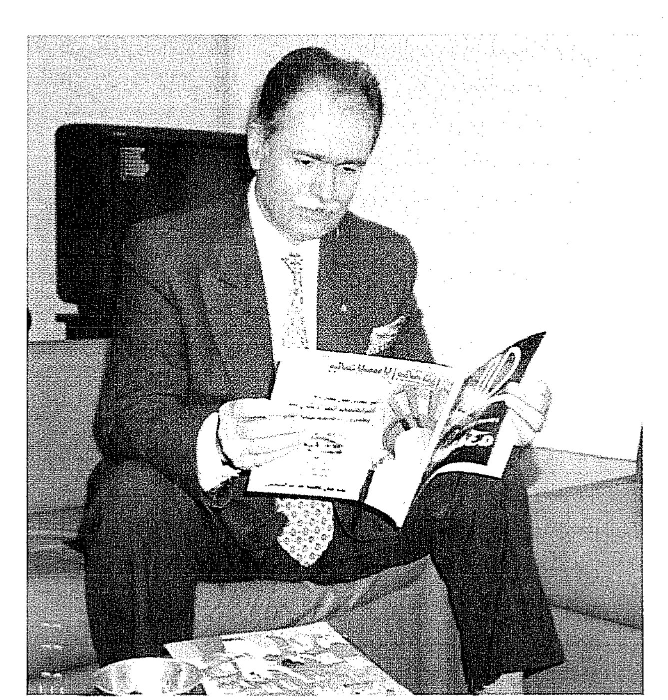
و ـ النظارة عليه: إن تعيين الناظر على الوقف يكون للواقف في الأصل، فإذا عيّن الواقف أو الواقفون ناظراً أو جهة معينة لإدارة الوقف، تعين ما عينه الواقف، مادام الناظر هذا مستوفياً لشروطه الشرعية، ويستوي في ذلك الوقف الفردي والوقف الجماعي، وفي كل هذه الأحوال يمكن أن يكون الناظر واحداً، كما يمكن أن يكون متعدداً، وهنا، إما أن يشترك الجميع في إدارة الوقف بالتعاون فيما بينهم على ذلك، وإما أن يختص كل منهم بإدارة نوع من المال الموقوف، وذلك كله مدار على شرط الواقف ونصه. فإذا كان ناظر الوقف المعين من قبل الواقف أو الواقفين غير مستوف لشروطه، أو لم يكن هناك ناظر معين من قبلهم، كان الأمر إلى القاضي الشرعي، فيعزل الناظر غير الصالح، ويعين له ناظراً أو نظاراً مستوفين للشروط، ليديروه تحت إشرافه ومراقبته، فإذا أخلوا أو خانوا عزلهم وحاسبهم، وعيّن غيرهم بدلاً منهم، وذلك للقاعدة الفقهية الكلية: «القاضي وليّ من لا وليّ له»، وليس للقاضي عزل الناظر المعين من قِبَل الواقفين مادام مستوفياً لشروطه ويُحسن التصرف في إدارة أموال الوقف، وذلك للقاعدة الفقهية الكلية: «الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة».

ز ـ انتهاؤه والرجوع فيه: الرجوع في الوقف الجماعي حكمه حكم الرجوع في الوقف الفردي، والرجوع في الوقف بعد تمامه جائز عند أبي حنيفة وحده، بشروط واستثناءات مبينة في مواطنها من كتب المذهب الحنفي، وذلك خلافاً لجمهور الفقهاء الذين يرون الوقف من العقود اللازمة، فإذا تم بشروطه لم يجز الرجوع فيه، وهو القول الراجح لدى عامة الفقهاء المعاصرين. وعلى وفق مذهب الإمام أبي حنيفة إذا رجع الواقف عن وقفه في الأحوال التي يجوز له الرجوع فيها عنده، فإنه يلغو الوقف، ويعود الموقوف إلى ملك الواقف كما كان، مثله مثل الواهب يهب مالاً ثم يعود فيه ـ على مذهب من يجيز الرجوع في الهبة ـ وفي هذه الحال ينتهي الوقف، وتزول كل آثاره التي كانت قد ترتبت عليه، ويستوي في ذلك الوقف الجماعي مع الوقف الفردي بغير فارق مؤثر.

أما على وفق مذهب الجمهور، فإن الوقف يلزم بمجرد استكماله لشروطه، وعلى ذلك، فإنه يستمر مادامت الجهات الموقوف عليها مستمرة، وهي لابد أن تكون كذلك كما تقدمت الإشارة إليه، من أن شرط صحة الوقف أن يكون على جهة لا تنقطع، إلا أنه لو طرأ ما يقطعها، كأن يوقف مالاً على فقراء ببلد معين، ثم يخرب البلد، أو لا يبقى فيها فقير، أو يموت أهل البلد كلهم بكارثة مثلاً، فإنه في هذه الأحوال ينتقل إلى أقرب جهة تتفق مع الجهة الأولى، فينتقل إلى فقراء بلد آخر أقرب ما يكون إليه، ولا يصرف إلى جهة أخرى كالجامع مثلاً، مادامت الجهة الأقرب متوافرة، فإن لم تتوافر جهة أقرب، صرف إلى جهة بعدها، وهكذا الأقرب فالأقرب. ■

إذا رجع الواقف عن وقفه في الأحوال التي يجوز الرجوع فيها عاد الموقوف إلى واقفه ويلغى الوقف على مذهب أبي حنيفة النعمان

الاسلام اليوم سلك طريق عودة أمجاده السابقة بفضل علمائه الدارسين والعارفين بعلومه الذين يتصدون لمناهضيه بالدليل القاطع والحجة الرصينة، الدكتور ابراهيم آتش استاذ اللغة العربية في مركز«وقف المساعدة والمحتاجين كان في حوار مع «الوعي الإسلامي» حول دور الوقف في البلاد الاسلامية وخصوصاً الكويت وتركيا وخدماته المتنوعة والمتعددة واهمها ربط الدول الاسلامية بعضها بعضاً من خلال مشروعات الوقف الخيرية فكان معه هذا الحوار.



■ الدكتور / ابراهيم آتش رئيس وقف المساعدات

د. إبراهيم آتش «للوعي» الإسلامي

الكويت سبقت العالم الإسلامي وقفياً ومستقبل لغة القرآن في تركيا يبشر بالخير

أجرى الحوار:
الأستاذ / بدر القصار
والدكتور / عماد الدين عثمان

مستقبل الوقف وتاريخه

● **مادور الوقف في تركيا ومامستقبله وتاريخه فيما يتعلق ببعض القضايا الاسلامية؟**

-لقد تابعت مجلة«الوعي الاسلامي» واتابعها واقرؤها وانشر بعض المقالات الجيدة منها الى اللغة التركية والحمد لله لقد تشرفت اليوم بلقاء إدارة وقيادة هذه المجلة وهذا شرف عظيم لي ان التقي اسرة المجلة والعاملين فيها اما زيارتي للكويت فكانت بدعوة من الامانة العامة للاوقاف لحضور الملتقى السنوي الثالث وقد قدمت فيه ورقة حول الاوقاف التركية وخدماتها حول التجارب التركية القديمة والحديثة في المجال الوقفي. والعمل الوقفي في تركيا بدأ بعد دخول الاتراك الاناضول فقد كانوا يفتحون البلاد ويريحون العباد ويوقفون كل مالديهم من ممتلكات خصوصاً بعد الانتصار الاسلامي العظيم في موقعة «ملاكت» العام ١٠٧١م حيث بعدها دخل الاتراك الاناضول واسسوا الاوقاف الاسلامية والبيوت والمباني والاراضي والمزارع وكل مايملكونه، كما كانوا يوقفون كل مايملكون من المباني الاسلامية الخيرية من مساجد ومدارس ومستشفيات وكتاتيب الصبيان وما الى غير ذلك من المباني الاسلامية، واخذت الاوقاف التركية تتقدم يوماً عن يوم حتى ان الاناضول صارت «جنة الاوقاف» كما ان الخدمات الوقفية شملت تركيا وشملت البلاد الاسلامية التابعة للدولة العثمانية في تلك الفترة وكانت ادارة الاوقاف ايام العثمانيين تابعة لوزارة

تجربة الكويت الوقفية بصناديقها العديدة وأنشطتها الكثيرة لاتشابهها تجربة

الاوقاف وكان اسمها «نزارة الاوقاف» اي وزارة الاوقاف ثم جاء العهد الجمهوري فالغى الوزارة «وزارة الاوقاف» واسست وزارة الاوقاف والشؤون الشرعية التي استمرت بضع سنوات ثم بعد ذلك الغيت واسست المديرية العامة للاوقاف وكذلك اسس الشؤون الدينية وكل واحدة منهما تابعة لوزير من وزراء الدولة يشرف عليها باسم رئيس مجلس الوزراء.

● **عفواً قلت جزءا فهل وزير التعليم كان يشرف على جزء- سابقاً؟وهل الوقف تجزأ عن الشؤون الدينية بعد ان الغيت المؤسسات؟**

-لا كانت وزارة الاوقاف كلها تابعة لـ«نزارة الاوقاف» وكانت وزارة الاوقاف آنذاك من اوائل الوزارات أي ان وزير الاوقاف كانت له الاولوية اكثر من باقي الوزراء الآخرين كما ان الاوقاف كلها بقيت في يد المديرية العامة والمديرية العامة حسب قانون الاوقاف التركي رقم٢٧٦٢ تقوم بإدارة الاوقاف وتمثيل الاوقاف الخيرية.

الوقف وقوته

● **المديرية العامة لمن تتبع؟ وهل الاوقاف لاتزال على قوتها بعد ان بدأت نشاطاً جديداً؟**

-المديرية العامة تابعة لوزارة الدولة وهناك وزارات عدة في الدولة يكلف رئيس مجلس الوزراء وزيراً من وزراء الدولة للاشراف علي الوزارة باسمه او باسم رئيس مجلس الوزراء كما ان الاوقاف في العهد العثماني كانت تقوم بمعظم الخدمات التي تقوم بها الاجهزة الحكومية حالياً من خدمات تعليمية، ثقافية، صحية، بلدية وغير ذلك من الخدمات الكثيرة والمتعددة حتى اننا نستطيع ان نقول: كان الواقفون للوقف يفكرون في حاجيات الناس وكانوا يوقفون اوقافاً لسد حاجياتهم وقد ذكرت من قبل في لقاءات سابقة ان الشخص هناك كان يولد في بيت من وقف ويترعرع في مهد موقوف ويقرأ في



■في حوار مع رئيس التحرير الاستاذ /بدر القصار

مدرسة وقفية ويقرأ ويكتب ويتعلم من الكتب الموقوفة في المكتبات ثم يكبر ويتوظف في مؤسسة وقفية ويأكل ويشرب من مؤسسة وقفية ويأخذ راتبه من مؤسسة وقفية وينتقل الى رحمة الله وتوكل وتنقل جنازته في تابوت وقفي واخيراً يدفن في مقابر وقفية، بمعنى ان حياة الانسان من البداية حتى النهاية لها صلة بالوقف.

تجربة ناجحة

● **تجربة الكويت الوقفية بصناديقها العديدة وانشطتها الكثيرة هل في تركيا مايشابهها ام لكل بلد وضع خاص؟**

- هناك نشاطات للوقف في تركيا، لكنها لاتشبه نماذج الصناديق لديكم لان لكل بلد وضعاً خاصاً ففي تركيا المديرية العامة للاوقاف تقوم بإدارة وتمثيل الاوقاف الخيرية اولا، وثانياً انها تعين وتنصب النظار المتولين على الاوقاف الاهلية «الذرية» وتشرف عليها،كذلك تقوم بتعمير وترميم المعالم الاثرية، فتوجد لدينا معالم اثرية بكثرة تبلغ نحو٨٤٦٩ معلماً اثرياً منها الجوامع والمساجد التي تبلغ نحو٤٨٨٥ وكذلك المدارس ودور الشفاء التي تبلغ نحو٣٣٤ والخانات والخانكات٤١٠ اما الحمامات والتكايا والزوايا فتبلغ نحو٦ ٤٧ والضرائح ١٢٢٩وكتاتيب الصبيان والسبل وغيرها من المؤسسات الخيرية التي يبلغ عددها ٦٥٧ معلماً اثرياً كما تقوم المديرية العامة للاوقاف بترميم وتعمير وصيانة هذه المباني الاسلامية القديمة التي آلت الينا من آبائنا واجدادنا، وتشجع المواطنين على القيام بتأسيس وقف جديد لخدمة المسلمين في هذا البلد.

اما ثالثاً فتقوم المديرية العامة بتسجيل واشراف ومراقبة الوقف الجديد وهناك وقف قديم تقوم المديرية العامة للاوقاف بإدارته وتمثيله، اما جديد الوقف، وهو من الناس الذين يوقفون من جديد فتقوم المديرية بتسجيله ايضا

العمل الوقفي في تركيا بدأ بعد دخول الأتراك الأناضول وخصوصاً بعد الانتصار الإسلامي

والاشراف عليه وعدد الاوقاف الجديدة تبلغ نحو٣٩٨٦ وقفاً فهناك وقف جديد حجمه كبير وواسع يتجاوز المديرية العامة للاوقاف.

● **الاوقاف التركية - هل هي مخصصة لترميم الآثار الاسلامية فقط دون غيرها؟**

-توجد وزارة الثقافة التي من اختصاصاتها ترميم الاثار السياحية الاخرى اما الاثار الاسلامية الوقفية فهي من اختصاص المديرية العامة للاوقاف التي تقوم بترميمها وتعميرها بالاضافة الى وزارة السياحة.

اللغة العربية في تركيا

● **ما الدور الذي يقوم به وقف المساعدة والمحتاجين في تركيا في تعليم اللغة العربية على وجه الخصوص؟**

- لقد قلت من قبل انه تم تأسيس هذا الوقف في شهر ديسمبر من العام١٩٨٨م ومن اسس هذا الوقف القيام على تعليم اللغة العربية والعلوم الاسلامية وتلاوة القرآن الكريم للناشئة كما ان هذا الوقف يقوم بمساعدة الفقراء والمحتاجين من الناحية المادية ويقدم مساعدات اخرى اغذية ،كساء ،وقود وكذلك يعطي منحاً دراسية للطلاب الفقراء والايتام بالاضافة الى المساعدات السابقة كما يقوم على اعداد ندوات اسلامية لنشر الوعي والروح الاسلامية بين الشباب وكذلك ايضا بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم التركية يقوم بترتيب دورات دراسية في اللغة العربية وكذلك العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير وما الى غير ذلك كما ان هناك اقبالا شديداً على تعليم اللغة من اول حروف الهجاء الى ان يتعلموا اللغة العربية ويكتبوها ويفهموا جل الكتب المكتوبة باللغة العربية وتوجد دورات خاصة للنساء نهارية ودورات ليلية للرجال، ويترد على هذه الدورات الخاصة بالوقف ما يقرب من الف طالب وطالبة لتعلم اللغة العربية والقرآن الكريم على اللحن العربي وتوجد مدارس قرآنية كثيرة تابعة لرئاسة الشؤون الدينية ولكنهم يقرأون دون ان يستطيعوا اخراج الحروف من مخارجها الأصلية والصحيحة، اي ان اللحن العربي هو الاساس في تلاوة القرآن الكريم ونحن نحاول بذل اقصى ما في وسعنا ان ندرب الطلاب والطالبات على اخراج الحروف من مخارجها باللحن العربي فهناك رغبة شديدة على دوراتنا الدراسية واقبال شديد لتعلم اللغة العربية.



■د. ابراهيم آتش في حوار مع الدكتور/ عماد الدين عثمان المستشار الصحفي

مستقبل اللغة العربية في تركيا

● **هل ترى ان مستقبل تدريس اللغة العربية في تركيا في ازدياد، وهل هناك توجه من قبل الدولة وليس فقط من قبل الاوقاف الى تدريس اللغة العربية كلغة ثانية بعد اللغة التركية؟**

-الدولة بعد اللغة التركية تعتمد اللغة الانجليزية والفرنسية، اما في المعاهد الاسلامية وبعض الجامعات الاسلامية ايضا تدرس اللغة العربية ففي تركيا اثنان وعشرون كلية — إلهيات مثل كلية اصول الدين ـ تابعات لجامعات عدة في تركيا وهناك ايضا ثانويات تعرف باسم ثانويات الأئمة، والخطباء تابعة لوزارة التربية والتعليم كما يبلغ عدد هذه الثانويات ٤٤٥ ثانوية لتخريج الأئمة والخطباء . وهذه الثانويات تعتمد اللغة العربية كمادة اساسية، وهناك خمسة آلاف مدرسة قرآنية لتعليم القرآن وتحفيظه يتخرج منها كل سنة خمسة آلاف حافظ حفظا جيداً متقناً غير الباقين الذين يحفظون حفظاً عادياً.

المسلمون الاتراك كانوا يفتحون البلاد ويريحون العباد ويوقفون كل ماديهم من ممتلكات

التنسيق والتكامل

● **برأيك -كيف ترى اسلوب التنسيق والتكامل في مجال الوقف بين الدول العربية وتركيا؟**

-لكل بلد نشاطات وقفية تختلف من بلد

لآخر ولابد ان تكون هناك صلات بين مسؤولي الاوقاف فيما بينهم سواء أكانت وزارة ام مديرية عامة ام مؤسسة وقفية. في السنوات الـ٢٢ كبة بدأت الصلات المباشرة بين مسؤولي الاوقاف في العالم الاسلامي فمثلاً في تركيا نقيم الاسبوع الوقفي منذ اربعة عشر عاماً وفي شهر سبتمبر المقبل من العام ١٩٩٧ سنقيم الاسبوع الوقفي الرابع عشر وقد تم دعوة بعض المسؤولين من الدول الاسلامية لحضور هذا الاسبوع الوقفي وعلى رأس المدعوين معالي وزير العدل وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في دولة الكويت ونتمنى حضوره ان شاء الله، وللعلم فقد كنت في دولة البحرين قبل حضوري الى الكويت حيث اقيمت هناك ندوة وقفية عن الوقف والدور التنموي وكانت هذه الندوة تحت اشراف البنك الاسلامي للتنمية بالاشتراك مع الامانة العامة في البحرين ايضا.. وهناك لقاءات تتم بين المسؤولين على مستوى الوزارات او على مستوى غيرهم لتبادل الاراء والتجارب فيما بينهم وهذا مايجعلنا نسر ونسعد عندما نتعاون ونتكاتف ونتبادل الاراء ونستفيد من تجارب بعضنا بعضاً كي نتمكن من تطوير الاعمال الوقفية حسب مقتضيات ومتطلبات العصر الذي نعيشه.

● نعود مرة أخرى الى موضوع اللغة العربية -التوجه الآن كما قلت هو تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم هل هناك رغبة حقيقية للعودة للحرف العربي في الاوساط التركية؟

-توجد رغبة شديدة لتعلم اللغة العربية في الاوساط التركية الشعبية كما توجد ايضا رغبة شديدة لدى معظم مثقفي وموظفي الدولة في العودة الى اللغة العربية وكذلك رغبة المسلمين والمسلمات لتعلم اللغة العربية من أية جهة فهي لغة القرآن الكريم ولغة اشقائنا العرب والمسلمين، لذلك نراهم مسنين ومسنات واناس اعمارهم تتراوح بين الستين والسبعين وهم يترددون على دور ات تعلم اللغة العربية فالذي وصل عمره الى هذا السن ماالذي يستفيده من تعلم اللغة الاجنبية فهو لن يخرج خارج البلد في عمل يحتاج هذه اللغة، اما اللغة العربية فهو محتاج اليها فهي لغة القرآن الكريم التي يحتاج اليها لفهم معانيه والتبحر فيه ليعرف المطلوب منه والمنهي عنه.

● مادورك كمتخصص ودارس للغة العربية في نشر هذه اللغة في تركيا؟

-كما قلت من قبل هناك كليات وثانويات تدرس فيها اللغة العربية، وغير ذلك هناك دورات دراسية لتعلم اللغة العربية انني احاول بذل اقصى جهد لدي كي اسهم في هذا المجال، فقد ألفت كتاباً مكوناً من ثلاثة اجزاء واسميته.. «الاسلوب الحديث» في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها كل هذه الاجزاء عربية لاتجد فيها كلمة واحدة تركية بل هي عربية بقواعدها وجملها وكلماتها، كما ألفت معجماً لهذه الكتب الثلاثة وسميته «المعجم المفيد» للدارسين في دورات تعليم اللغة العربية من خلال ذلك تمكن الآلاف من اخواننا الاتراك من تعلم اللغة العربية في الدورات الدراسية التي نقيمها نحن في وقف المساعدات لتعليم المحتاجين ومركزه انقره.

الشعور الإسلامي

●الشعور الاسلامي موجود في كل مكان سواء أكان في البلاد العربية ام في غيرها- مامدى قوة هذا الشعور في الوسط التركي وخصوصاً في حال وجود بعض الحوادث في البلاد الاسلامية العربية منها ام في غيرها؟

-الشعور الاسلامي قوي جداً في تركيا وقد أخذ يقوى في السنوات الاخيرة بين الشباب الذين نحتاج اليهم بكثرة فإنك تجد المصلين معظمهم من الشباب الذين يترددون على المحاضرات والندوات الاسلامية، واغلبهم شباب واع مثقف ثقافة دينية وعصرية واملنا في الله كبير ان يكون لهم دافع للتقدم با لمسلمين الى الامام كما انهم على صلة باخوانهم المسلمين في تركيا وخارجها عن طريق وسائل الاعلام المرئية منها والمسموعة والمقروءة فهي تكون قريبة منهم جداً خصوصاً في ظل وجود التقنية المتقدمة التي تقوم بتوصيل المعلومة في التو واللحظة وقد جاء في الاثر :«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فمن هنا او هناك المسلم يجب عليه كما يهتم بأمره الشخصي يهتم بأمر جميع المسلمين لان المسلمين كالجسد الواحد.

● هل توجد في تركيا مشاريع اسلامية اعلامية تقوي من هذا الشعور وتعينكم في انشطتكم الوقفية؟

-توجد هناك مشاريع اسلامية ضخمة منها كثيرمن الاذاعات والتلفزيونات فمثلاً هناك محطتا تلفزيون معظم برامجهما اسلامية مثل محطة TGRTA وهي بالمعنى العربي «جريدة راديو وتلفزيون تركيا» وهذه الحروف الانجليزية اختصار لهذا الاسم وكذلك هناك تلفزيون الرسالة «مساج» و«وسماليوجي» وهو خاص بالنوريين وغير ذلك من التلفزيونات المحلية الموجودة في كثير من المحافظات الى جانب الكثير من البرامج الاذاعية التي تقوم بتوعية اسلامية.

كما ان هناك العديد من المجلات والمطبوعات الاسلامية ولدينا ايضا مجلة شهرية تصدر باللغة التركية عن «وقف المساعدة» بالاضافة الى بعض الاوقاف او الموقوفات الاسلامية الاخرى التي لها طابع خاص بها وايضا

الأوقاف في تركيا لاتزال على قوتها لأن رئيس الوزراء يشرف عليها باسمه شخصياً

وقف الشؤون الاسلامية التي لها مطابع ضخمة ويصدر عنه الموسوعة الاسلامية وقد وصل الى المجلد الثاني عشر فالنشاطات الاسلامية كثيرة ومتوافرة والحمد الله.

صورة العربي في الاعلام الرسمي

● برأيك -كيف تكون صورة العربي في الاعلام الرسمي او الاسلامي التركي وكيف ترى هذه الصورة وما حال المسلمين اليوم؟

البلد حر والصحافة حرة وكثير من الصحافيين يقفون الى جانب الاخوة العرب والمسلمين في كتاباتهم.

وعن حال المسلمين نأمل ان يتحسن ان شاء الله ويجب ان نكون جنباً الى جنب في التعامل مع القضايا التي تهم الاسلام والمفروض ان نكون يداً واحدة وقلباً واحداً لاننا نعبد رباً واحداً ونتجه الى قبلة واحدة فلماذا نكون مختلفين، نتمنى ان يحدث اتحاد وترابط وتعاون في كثير من المجالات التي تهم قضيانا خدمة لديننا الحنيف.

تغريب تركيا

● د. ابراهيم هناك من يرى تركيا بلداً غربياً اكثر منه اسلامياً وهناك من يرى تركيا تعود الى الصف الاسلامي -ايهما اقوى في رايك هل هو الاسلام ام غيره؟

ـ الصف الاقوى هو الصف الاسلامي ومؤشرات ذلك كثيرة وظاهرة الى جانب الاتجاه الاساسي نحو الدول العربية والاسلامية.

● ما المجالات التي من الممكن ان تقوم بها تركيا لتقوية العالم الاسلامي كي يحدث الاكتفاء الذاتي له؟

ـ ان تركيا بلد صناعي حقاً وكذلك بعض الدول العربية والاسلامية وهذا ماجعل تركيا تبدأ في تشجيع الدول الاسلامية الى التعامل معها صناعياً واقتصادياً، ومالى غير ذلك من المساهمات الاخرى التي تساعد العالم الاسلامي على الاكتفاء الذاتي ان شاء الله.

● ماأقدم وثيقة في المديرية العامة للاوقاف التركية؟

ـ اقدم وثيقة في المديرية العامة هي الوثيقة التي تخص السيد شريف خليل ديواني الذي اسس في ٤٤٠هـ وقفاً وبنى زاوية في مدينة باسلمر واشترى ٢٩قرية بمائة الف درهم وقفهم الى جانب هذه الزاوية حتى يتم لها اللازم اومـاتحتاج اليه ومن هنا كانت له وثيقتان تعتبران اقدم الوثائق التركية وهما شراء ٢٩قرية وايقاف هذا الى الزاوية.

الجمل الست الذهبية

ـهناك ست جمل ذهبية توجت بها الوقفية هذه الجمل تشير الى الاغراض التي من اجلها وقف المسلمون الاتراك اموالهم فإننا نجدهم يوقفون اموالهم طلباً لمرضاة الله وابتغاء وجهه الكريم لاسعيا الى الحصول على منصب اولشخص معين او اي شيء دنيوي آخر وتعتبر هذه الجمل الست جامعة لاغراض وغايات الاوقاف الاسلامية التركية التي تأسست فيما بعد.

بحق فردانية الله تعالى وقفت هذا .

وبحق رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم -وقفت هذا.

وبحق صدق ابي بكر -رضي الله عنه -وقفت هذا.

وبحق عدالة- حضرة -عمر وقفت هذا.

وبحق حيـاء- حضرة -عثمان وقفت هذا.

وبحق سخاء -حضرة- علي وقفت هذا. ■

الدكتور إبراهيم آتش في سطور

مؤهلاته العلمية

تخرج الدكتور ابراهيم آتش من كلية اللغة العربية والدراسات الاسلامية بالجامعة الليبية عام١٩٦٩م.

-حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة الغازي بانقرة في ١٧/٤/١٩٩٠م.

الخبرات

عمل في رئاسة الشؤون الدينية بمنصب مساعد مفتي محافظة عينتاب سنة ١٩٧١م، كما انه درّس اللغة العربية في كلية التربية لجامعة الغازي بانقرة، ودرّس اللغة العربية والعلوم الاسلامية في المركز الثقافي العربي الليبي وبعض المراكز الثقافية العربية الأخرى في انقرة، ويقوم حالياً بتدريس ذلك في وقف «المساعدة للمحتاجين والتعليم».

مؤلفاته

-المعجم المفيد للدارسين في دورات تعليم اللغة العربية

-الاسلوب الحديث في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها« ٤أجزاء»

-قواعد علم التجويد.

-الجامع الكبير ودار الشفاء في «ديوربكي»

-الاوقاف والخدمات التي تقوم بها.

-النساء الواقفات عن زوجات السلاطين.

التعامل مع قدر الله بالسكينة

بقلم: الشيخ: د.جاسم مهلهل الياسين

﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾[يونس/١٠٧] فمَردّ الأمر كله لله هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي المميت الباعث لايملك العباد ولا المخلوقون لانفسهم شيئاً من دونه، كل شيء عنده بمقدار ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[القمر/٤٩] والانسان يسعى في الارض ويمشي في مناكبها، لأن الله امره بذلك وجعل حركته في الكون سبباً في حدوث قدر الله، الذي كتبه قبل ان يخلق الخلائق، واذا مابدت لنا احداث كانت من قبل عنا خافية فلاشيء يخفى على الله.

وتلك حقيقة وعقيدة راسخة في قلب المؤمن، المستسلم لربه، يأتيه الخير فلايبطره ويأتيه الشر فلا يستخفه لانه موقن بقدر الله، آخذ بسنن الله في كونه من بحث وسعي وعمل وجهد، وبعد ذلك يفعل الله مايشاء ﴿ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾[الحديد/٢٢] ﴿ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾[التغابن/١١] ولذا تجد المؤمن تَحفُّه دائماً السكينة، لا يتألم لما يتألم له غيره مادام قد ادى واجبه، واخذ بالأسباب ولم يتكاسل او يمهل، او يتوان في العمل او يهمل. وهذا عروة بن الزبير يذهب مع والده الى الشام فتطأ والده دابة فيموت فلايزيد ان يقول الحمد الله الذي اخذ واحداً وابقى ستة، فنظر الى نعمة الله عليه حين نزلت به المصيبة ووازن بين النعمة والمصيبة فوجد النعمة اعظم والكارثة اخف فاستراح وحمد الله لذلك وهو -عينه- الذي قطعت رجله حين اصيبت بمرض لاتبرأ منه إلا بالبتر، فبترت وحمد الله قائلا: ان كان قد اخذ عضوا فقد ابقى ثلاثة فكانت السكينة مصاحبة له فنال بذلك الرضا والثواب، لان قدر الله نافذ رضي الناس ام سخطوا فإن رضوا اثيبوا ورزقهم الله الصبر وقد يخلف عليهم في الدنيا ويخفف عنهم عذاباً كان سيصيبهم وان لم يرضوا حرموا الصبر والأجر والثواب ونالهم الضيق والحنق والغضب دون ان يغيروا شيئاً من قدر الله ، بل ان كثيرا من المؤمنين يعتقدون ان ماأصابهم مما لايرضى به غيرهم هو نعمة من الله لهم ليمنع عنهم شرا اكبر وضررا اعظم لان الله يقول:﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرلكم والله يعلم وانتم لاتعلمون﴾[البقرة/٢١٦] لقد تعلم المسلمون من مأثور الدعاء عندما تنزل بأحدهم مصيبة ان يقول: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها، وهو واثق ان الأجر يأتيه من الله وان الله سبحانه وتعالى يعوضه خيراً منها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم.

«مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول ماأمر الله تبارك وتعالى:«إنا لله وإنا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيراً منها» رواه مسلم.

وهذا ماحدث لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها بعد موت زوجها ابي سلمة حين انتقض عليه جرحه الذي اصابه يوم أحد فمات، وكانت أم سلمة قد سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:فلما مات ابو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا كله يؤكد ان الرضا بقدر الله والتسليم له عند المصائب والشدائد خير للمؤمن لما له من أجر الصبر وحسن العوض من الله سبحانه، وإدراك ان هذا البلاء قد دفع عنه بلاء اكبر وشرا اعظم، وهذا الرضا يزيل آلام النفوس ويضعها في موضعها الصحيح، ويبين لها مايمكنها ان تفعله فلاتتأخر ومالايمكنها ان تفعله فلا تقتحم مجالا عنها بغيد،بل ترد الأمر كله لله وتخضع في عبودية راضية وان أتاها ماظاهره شرّ صبرت، وان أتاها ماظاهره نعم شكرت ورضيت ،وتلك هي النفس المتصلة بالله عن طريق الدين القويم.

الإسلام والتربية الجمالية

تربية

استأنس الاسلام في ترويضه للنفس البشرية بألوان عدة من ألوان التربية، والجمال من اكثر انماط التربية تأثيرا على النفس واطرابا لها.. تهش له بفطرتها وتلتقي روحها بروحه في ألفة ومحبة واشتياق. لذا فإن القرآن الكريم والحديث الشريف يحثان على التمتع بجماليات الوجود، بل يشجعان على الانشاء الجميل، مالم يتعارض مع مبدأ رئيسي هو «التوحيد الخالص» والذي تأتي كل الاحكام الاسلامية متناغمة معه، غير متعارضة. ومن ثم لفت الاسلام نظر المسلم الى متاع الدنيا ليأخذ منه بما لايتعارض مع حكم يقع في دائرة المعاملات والاخلاق مذكرا ان الدين المعاملة، مع مراعاة عدم تعارض الدائرتين، دائرة المتعة الفردية ودائرة الاخلاق الاجتماعية مع دائرة التوحيد الخالص.

بقلم: د. محمد السيد المليجي

والمسلم الحقيقي هو الذي يحرص على تناغم الدوائر الثلاث والا يصدر منه فعل أو قول يتعارض مع الدائرة الأم(١).

قال تعالى:﴿قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾[الاعراف:٣٢].

فإذا تدبر الحصيف دلالات هذه الآية، علم ان الله آثر الطيبات من رزقه للمؤمنين من عباده وخصهم بها في الحياة الدنيا واخلصها لهم يوم القيامة.

والجمال- في نظرنا- ينقسم الى نوعين: جمال الخالق سبحانه، وجمال المخلوق اما جمال الخالق سبحانه فهو تجليه تعالى بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال هو قاهريته للكل عند تجليه بوجهه. فلم يبق أحد حتى الكل كما قال محمد بن اسرائيل الشيباني:

جمالك في كل الحقائق سافر
وليس له إلا جلالك ساتر

ولهذا الجمال جلال هو احتجابه بتعينات الأكوان.

فلكل جمال جلال ووراء كل جلال جمال. ولما كان في الجلال ونعوته معنى الاحتجاب والعزة، لزمه العلو والقهر من الحضرة الإلهية والخضوع والهيبة منا.

ولما كان في الجمال ونعوته معنى الدنو والستور لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الإلهية والأنس منا(٢).

فالجمال الإلهي يراه الصادقون المخلصون الذين جاهدوا في الله حق جهاده. ولكن من خلف ستائر الجلال والقهر، فتلمس بصيرتهم الخضوع والهيبة وكذلك اللطف والرحمة من آثار هذا الجمال.

أما جمال الخلق فقد ضمنه أبو حامد الغزالي معنى اسم الله«المصور» حيث يقول :«حظ العبد من هذا الاسم ان يحصل في نفسه صورة الوجود كله على هيئاته وترتيبه حتى يحيط بهيئة العالم كله. كأنه ينظر اليها ثم ينزل من الكل الى التفصيل فيشرف على صورة الانسان من حيث بدنه واعضائه الجسمانية فيتعلم انواعها وعددها وتركيبها والحكمة من خلقها وترتيبها، ثم يشرف على صفاته المعنوية ومعانيه الشريفة التي بها ادراكاته، وكذلك يعرف صورة الحيوانات وصورة النبات ظاهرا وباطنا بقدر مافي وسعه حتى يحصل نفس الجميع وصورته في قلبه. وكل ذلك يرجع الى معرفة صورة الجسمانيات وهي مختصرة بالاضافة الى معرفة ترتيب الروحانيات، وفيه يدخل معرفة الملائكة ومعرفة مراتبهم وما اوكل الى كل واحد منهم من التصرف في السماوات والكواكب ثم التصرف في القلوب البشرية بالهداية والارشاد ثم التصرف في الحيوانات بالإلهامات الهادية لها إلى فطنة الحاجات(٣) فإذا نهل المسلم من آيات الخلق المتنوعة، حظي بثمرة الجمال، وهي كما قال جيو(٤) «شعور خصب ملء بالحياة»(٥).

وامتلاء الانسان المسلم بهذا

المسلم الحقيقي هو الذي يحرص على تناغم الدوائر الثلاث لأن الإسلام استأنس في ترويضه للنفس البشرية

الشعور ضروري للغاية، لانه يساعد على تحقيق غايته في هذه الحياة التي تتمثل في تحقيق خلافة الله في الارض ونشر العدالة والأمن بين الناس جميعا- الأمن الداخلي في النفس والأمن الخارجي- فحين يؤثر الجمال في المسلم داخليا، يجعل سلوكه قائما على اساس من رقة الإحساس والذوق الجمالي، وبدعوة هذا إلى ان يكون هدفه في الحياة متجها الى مصلحة كل مافي الكون من مخلوقات الله(٦).

ومن ثم كانت دعوة الإسلام الى تنمية الذوق الجمالي من خلال منهج علمي تربوي يغذي الروح والعقل وكذلك الحواس بكل مايعلي الذوق ويرقق الحس وتتناغم به المشاعر والوجدان وذلك من خلال اسس التربية الجمالية التي جسدها دستوره الخالد المتمثل في الكتاب والسنة.

المقصود بالتربية الجمالية في الاسلام

قبل الحديث عن اسس التربية الجمالية في الاسلام تجدر الاشارة بنا الى توضيح معنى التربية الجمالية حتى يتسنى لنا التعرف على الهدف الذي ينشده الاسلام من وراء هذا النوع من انواع التربية.

فالتربية الجمالية تعبير يقصد به الجانب التربوي الذي يرافق وجدان الفرد وشعوره ويجعله مرهف الحس، مدركا للذوق والجمال، فيبعث ذلك في نفسه السرور والارتياح ويرتقي وجدانه وتتهذب انفعالاته وكل هذا يساعد على قوة الإرادة وصحة العزيمة(٧). ولعل الثمرة التي تنتجها شجرة الجمال في الاسلام، يحتاجها المسلم في شؤون حياته العامة والخاصة، لانها تكسبه القدرة على الابداع في العمل والاتقان في الصنعة.

ويمكن القول انه لكي يستطيع الافراد الابداع في ميدان الصناعة والبناء. لابد من التربية الجمالية او تكوين احسان جمالي عندهم، لانه كلما زاد الاحساس الجمالي عندهم، زادت قدرتهم في الابداع الجمالي.

وفي ضوء ماتقدم نخلص الى ان التربية الجمالية الاسلامية تقيم علاقة وثيقة بين الانسان والكون تقوم على التعاطف والحب والرحمة وكذلك التكافل الحميم الذي يؤكد روح الود والانسجام بين كل منهما.

أسس التربية الجمالية

حظي الاسلام بأسس التربية الجمالية منذ الوهلة الاولى التي خاطب فيها الكيان البشري بلسان عربي مبين تحلت كلماته بشحنات وجدانية خاصة وقدرة على استثارة الصور الخيالية والمعاني القيمية.

وعندما نزل الوحي الاسلامي عربيا يبث في الكلمة العربية اعجازا إلهيا، تحولت الكلمات إلى نوافذ تكشف المفاهيم الكامنة صورة ومعنى وخيالا.

فكلمة«الله جل جلاله» او «لا إله إلا الله» أو «ليس كمثله شيء» ليست كلمات تبعث معنى فحسب. بل هي تكشف طريقا لانهائيا للسير خلاله بوساطة الحدس مترقيا من اللفظ الى المعنى، ومن التجريد الى القيمة، بحيث يكون شكل الكلمة الجمالي في خدمة مضمونها الروحي(٨) وهذا الاسلوب الفني المنزل من قبل الله تعالى يؤكد ان الاسلام منهج تربوي جاء ليهدي النفس كمالاتها عن طريق إحد انواع التربية التي جاء بها. وهي التربية الجمالية التي جاءت في الاسلام على طريقين هما:

١-طريق التأمل في المخلوقات تمثيليا:

وتقصد بذلك دعوة القرآن الكريم للنظر والتدبير في آيات الكون ومفردات الطبيعة والانفعال بها، لأن ذلك يربي عند الانسان شعورا جماليا يتمثل في الانسجام الدافىء بينه وبين الطبيعة، يقوده- من خلال جمالها- إلى معرفة جلال الله تعالى، ومن خلال تنوعها إلى ادراك وحدانيته سبحانه.

التربية الجمالية تعبير يقصد به الجانب التربوي الذي يرافق وجدان الفرد وشعوره

يقول تعالى:﴿ ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا. ثم يجعله حطاما. ان في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ [الزمر:٢١].

وقول تعالى:﴿أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمن﴾[الملك:١٩]. وقوله:﴿ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا. ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا﴾[الفرقان٤٥-٤٦] هذه الايات وغيرها كثيرا ماتسعى الى توضيح ان كل الاشياء تصب في نظام واحد يفضي بالجمال إلى الجلال أو يأمن الانتقال من الجميل الى الجليل بغض النظر عن الحجم والضخامة.

فقد يكشف جمال قوقعة صغيرة او طير رقيق من جلال الله وعظمة خلقه وهذا مايجب ان يعيه المصور المسلم حتى يمكنه ان يتدبر الجمال في فلك الجلال، وان يجعل من الاول جسر عبور الى الثاني حتى تصبح الجماليات- بحسب المنهج الاسلامي الحقيقي- موضوعا لمستوى آخر من الإدراك ادق واعلى اي تحويلها من الجمال الى الجلال بالانتقال من الحسي الى الوجداني (٩) وهذا توجيه يخاطب النزعة الجمالية في الانسان ويزكي روحها ويقوي اعضاءها، فهو بمثابة التربة الخصبة التي تمدُّ بذورها بما يؤهلها للإنبات والنمو حتى تصبح اشجارا ذات ثمار يانعة.

٢- طريقة تأمل الموجودات تجريدياً

ويقصد بذلك قراءة آيات الكون من

منظور عقلي معنوي للمعاني والقيم المجردة التي تستتر خلف المحسوسات وغير المحسوسات.

وهي قراءة جادة ونافذة يسمو فيها الاسلام بملكات العقل، ويرقق بها مشاعر ووجدان الكائن البشري ليتحسس صور الجمال المختلفة والمتنوعة فيما حوله من الآيات.

ومن هذه الآيات التي يصطحب فيها القرآن العقل البشري إلى مقامات جماله التجريدية قوله تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[آل عمران:١٠٣].

وقوله تعالى:﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأي ارض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان:٣٤].

وقوله جل شأنه:﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب. يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج. إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير﴾[ق:٤١-٤٣].

تلك الآيات وغيرها تخاطب الملكة التجريدية، وتقرر فيها قيماً ومعايير اخلاقية ومعاني لوحدانية الله وقدرته وعلمه.

كما تأخذ فيها العقل الى رحلة روحية تشعره فيها بقدرته المحدودة امام قدرة الخالق جل شأنه قال تعالى:﴿وما أتيتم من العلم إلا قليلا﴾[الاسراء/٨٥].

ومن ثم يأخذ الانسان في استكمال قيمه الاخلاقية وتوسعة قدراته العقلية خصوصاً بعد ان علم ان نصيبه من العلم لم يزل قليلا.

ويمكن القول- في ضوء ماسبق- ان الرؤية الاسلامية للقيمة الجمالية رؤية خصبة وحيوية، الأمر الذي يؤدي- بالضرورة -الى ثراء وتنوع الخبرة الجمالية فهناك طرق متعددة للإدراك الحسي والمعنوي، التعبيري والحدسي تجسد نوعا الخبرة الجمالية التي تحرص على ان تخاطب الناس على قدرعقولهم. وعلى اختلاف مشاربهم وميولهم اواحساسهم او ثقافتهم، فتضمن الخبرة بدورها ضربا تربويا للارتقاء بالنفس المتلقية من مستوى الى آخر وكذلك بعداً جدليا للحقيقة يمارستها المتلقي بين وجهيها التمثيلي والتجريدي، الكمي والكيفي، الحسي والمعنوي، الانفعالي والحدسي(١٠).

وهذا يجعلنا نقرر ان الجمال في الرؤية الاسلامية هو «تدريب» للذات على الترقي من المحسوس الى المجرد ومن المتناهي الى اللامتناهي، من الجميل الفيزيقي الى الجليل الميتافيزيقي(١١).

وهذا التنوع في النظرة التأملية التي دعا اليها الاسلام من خلال احدى صور منهجه التربوي تستجيب له الفطرة الانسانية وتهش له، وتسعد به النفس وتسكن اليه. لانه- التنوع- يقضي على الالف والعادة اللذين يفسدان التطلع الى التذوق بالجمال والتمتع به، وهذا يؤدي الى تبلد المشاعر والاحاسيس، ومن ثم جاء الاسلام بهذا المنهج المتميز من التربية الجمالية.

موقف الاسلام من الفن

يستوجب حديثنا عن التربية الجمالية في الاسلام، الحديث عن علاقة الاسلام بالفن وإلقاء الضوء على موقف الاسلام من ألوان الفن المختلفة مثل- النحت- التصوير- التمثيل- السماع- الموسيقى..

الإسلام حظي بأسس التربية الجمالية منذ الوهلة الأولى التي خاطب فيها الكيان البشري بلسان عربي مبين

فقد جاء في كتب الحديث الصحيحة ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حرم هذه الالوان على المسلم والمسلمة لسببين.

اولهما: الاشراك بالله تعالى. واتخاذ هذه التماثيل آلهة تُعبد من دون الله

ثانيهما:انها لهو عن ذكر الله وعن عبادته.

ومما جاء عن تحريم فن النحت او عمل التماثيل قول رسول- الله صلى الله عليه وسلم- «ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة. يقال لهم احيوا ماخلقتم﴾[١٢].

وقال -صلى الله عليه وسلم -في حق المصورين«إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون»(١٣).

واشار الى العلة الثانية من تحريم الفنون وهي اللهو عن ذكر الله تعالى «فيماأورده البخاري عن انس -رضي الله عنه -قال: كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها. فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم -«اميطي عني فانه لاتزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»(١٤).

وروى عن سالم عن ابيه قال وعد النبي -صلى الله عليه وسلم -جبريل فراث عليه (أي تأخر) حتى اشتد على النبي -صلى الله عليه وسلم -فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم -فلقيه فشكا اليه ماوجد. فقال له: إنا لاندخل بيتا فيه صورة ولاكلب(١٥).

وتشير هذه الاحاديث- صراحة- إلى تحريم هذه الالوان من الفنون لانها قد تدعو الى الاشراك بالله- كما دعت الناس قبل ذلك- كما انها تلهو عن ذكر الله وعن دخول الملائكة.

ومما يجب التفريق فيه والاختلاف حوله الحكم على الفن بصفة عامة فالذي يجب ان يفهمه المسلم ان دينه لم يحرم الفن الجميل الذي يزكي الروح ويرقق الاحساس ويسمو بالذوق.

وقد اثبتنا آنفاً ان الاسلام يتمتع بأسس تربوية تزكي النزعة الجمالية عند الانسان هذا بالاضافة الى ماتذخر به آيات القرآن الكريم من تصويرات

فنية ترسم من خلالها لوحات فنية يصعب على الانسان إدراكها او معرفة كنهها.

فالتصوير القرآني حين ينتهي من تناسق الالوان والاجزاء في الصور او المشهد وحين يطلق حولها الموسيقى المكملة للجو، لاينتهي عن هذه الآفاق في تناسق الاخراج، ان هناك خطوة وراء هذا كله ضرورية للتناسق. وضرورية لتأثير المشهد والكمال الفني فيه، تلك هي المدة المقررة ليقام المشهد معروضا على الانظار في الخيال. والتناسق القرآني يلحظ هذا ويؤديه أرفع أداء(١٦).

ونسوق مثالا نؤكد به تمتع القرآن الكريم بأدوات التصوير الفني الوفيرة يقول تعالى:﴿افلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. والى السماء كيف رفعت. والى الجبال كيف نصبت. والى الارض كيف سطحت﴾[الغاشية:١٧-١٩].

وحول تفسير هذه الآيات يقول سيد قطب فهذه ريشة تجمع بين السماء والارض والجبال والجمال، في مشهد واحد، حدوده تلك الآفاق الوسيعة. من الحياة والطبيعة.

والملحوظ هنا هو الاتجاة الأفقي في السماء المرفوعة والارض المبسوطة والاتجاة الرأسي بين الجبال المنصوبة، والابل الصاعدة السنام.

وهذه دقة تأخذها عين المصور المبدع يبرز فيها من الجماد ولايبرز فيها من الاحياء الا الجمال او ماهو في حجم الجمال. والجمل هو الحيوان المناسب لانه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال(١٧).

ومما يجب ان يعيه المسلم ان اسلامه لم يحرم الزينة بل يأمر بها ويزجر من يحرمها.

ففي خلق الارض زينة وفي خلق السماء زينة ﴿إنا جلعنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا﴾[الكهف:٧].

﴿ولقد جلعنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾[الحجر:١٦]

والزينة والعبادة تتفقان ولاتفترقان، بل تجب الزينة في محراب العبادة كأنها قربان الى الله حيث لاقربان في الاسلام(١٨).

﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[الاعراف:٣٢].

كما حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسلم على النظافة وأرشده الى انها من الايمان وان ربه جميل يحب الجمال.

ولما سأله احد الصحابة -رضوان الله عليهم -قائلا: هل من الكبر ان يكون ثوب الانسان حسنا ونعله حسنا؟فقال الرسول: ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس(١٩).

وفي ضوء ماسبق نرى ان الاسلام يحرص على الجمال في الخلقة والابداع في الشكل، ولكن إذا تعدى ذلك الى أشكال ورسومات تشبه مافيها الروح، فإن ذلك يحرمه وينهي عنه، ثم يترك المجال للألوان الاخرى من النقوش والزخرفة التي يستعين بها الفنانون في رسم لوحاتهم الفنية التي تصور اشكالا ومشاهد من الطبيعة.

ويجب الا يغيب عن كل مسلم ما أضافه الاسلام الى الفنون من جدة وحداثة تمثلت في فن «الارابيسك» الذي يقول عنه «GRABAR» أنه الفن الوحيد الذي يعبر عن فلسفة الإسلام الجمالية»(٢٠).

وجماع القول ان الاسلام لا يحرم الفنون الجميلة التي تلتقط من الطبيعة مايجسد ابعادها الحسية والمعنوية والتي يعلوها الذوق والجمال إنما يحرم الفنون التي تشخص وتجسد الكائنات التي لاتخلو من روح الله تعالى، حتى لايعود الإنسان إلى عبادتها كما فعل ذلك أباؤه وأجداده من قبل. ■

الإسلام يحرص على الجمال في الخلقة والابداع في الشكل شرط ألا يتعدى ذلك إلى رسومات تشابه الروح

الهوامش:

١-د. عبد الرازق حجاج: الجمال في القرآن الكريم: ص٧٧بتصرف- مكتبة الآداب -القاهرة- الطبعة الاولى-١٩٩٢م.

٢- عبد الرازق الكاشاني: اصطلاحات الصوفية: ص٦٠ تحقيق د/ عبد الخالق محمود دار المعارف- القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣-أبو حامد الغزالي: المقصد الأسني شرح اسماء الله الحسنى: ص٦٨،٦٧ خرّج أحاديثه الشيخ محمد مصطفى ابو العلا- مكتبة الجندي - القاهرة.

٤-عالم فرنسي ولد في القرن الثامن عشر الميلادي، له نظريات في الفن وفي علم الاجتماع.

٥-د. زكريا ابراهيم: مشكلة الفن : ص١٢٦ ضمن سلسلة مشكلات فلسفية رقم -٣-دار مصر للطباعة- القاهرة.

٦-علي القاضي: اضواء على التربية في الاسلام، ص٦٠ دار الانصار- القاهرة- الطبعة الاولى-١٤٠٠هـ-١٩٧٩م.

٧-السابق:ص٩٠

٨-د.وفاء ابراهيم: فلسفة فن التصوير الاسلامي: ص٢٥الهيئة العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٩٣م.

٩-السابق: ص٣٥و٣٦

١٠-السابق:ص٣٦

١١-السابق:ص٣٧

١٢-صحيح البخاري-مج:٢١٥/٧،٣-باب عذاب المصورين يوم القيامة- طبعة دار الشعب- القاهرة- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

١٣-السابق: مج٢١٥،٧،٣ نفس الباب.

١٤-السابق،مج٢١٦،٧،٣-باب كراهية الصلاة في التصاوير.

١٥-السابق:مج٢١٧،٧،٣- باب لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة.

١٦-سيد قطب: التصوير الفني في القرآن : ص١٠٧-دار المعارف- القاهرة.

١٧- السابق: ص١٠٣

١٨-عباس محمود العقاد: التكفير فريضة اسلامية:ص٦٩،٦٨ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.

١٩-انظر: التاج: ٥/ ٣٢ كتاب الاخلاق.

٢٠-فلسفة فن التصوير الاسلامي: ص٩مرجع سابق.

تربية

قيمة العلم في التزام المعلم وأدب المتعلم

بقلم أ.د: السيد رزق الطويل:

العلم قيمة من أسمى القيم التي عرفها المجتمع البشري، فهو أساس تقدمه، ودعامة تحضره، وهو الذي يمنحه القدرة على القيام بمهمة الاستخلاف التي خلقه الله على الأرض من أجلها وقد أبرز القرآن الكريم مكانة العلم وأشاد بفضل العلماء، قال سبحانه: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب) [الزمر - ٩]، كما يقول جل شأنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [المجادلة - ١١]، إذ وضع الله تبارك وتعالى العلماء في درجة المؤمنين وسوى بين قيمتي العلم والإيمان، ولا شك أن العلم يرتقي إلى هذا المستوى إذا وظف لخدمة الإيمان الصحيح.

ونلحظ أن القرآن الكريم يضع في مواقف التصور الصحيح والفهم الواعي للأشياء فيقول سبحانه: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) [سبأ - ٦]، كما يقول جل شأنه في موقف أهل العلم من قارون، وممن أعجبوا بقارون وثروته الطائلة (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) [القصص - ٨٠].

ومن هنا وصف القرآن الكريم أهل العلم بأنهم أهل الخشية إذ هم أهل المعرفة فقال سبحانه: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر - ٢٨].

وجاءت السنة الصحيحة ترغب في العلم، وتحث على طلبه، فيقول عليه الصلاة والسلام «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» رواه الترمذي، ويقول أيضاً: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل: وما رياض الجنة؟ قال: حلَقُ الذكر» رواه أحمد.

وثمة أحاديث كثيرة وصحيحة في هذا المجال تبرز مكانة العلم وفضل طلبه وطلابه في المنظور الإسلامي، الأمر الذي يؤكد عظمة الإسلام في بناء الدين والدنيا على قاعدة المعرفة الواعية، والعقلية السامية.

قال الماوردي - وهو من رجال العلم والسياسة في عصره - في كتابه: أدب الدنيا والدين.

العلم أشرف ما طلب، وجدَّ فيه الطالب، وأفضلُ ما كَسَبَ واقتناه الكاسب. ثم يواصل حديثه فيقول: قال عبدالملك بن مروان لبنيه: «اطلبوا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطاً سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم» ثم ينقل عن بعض البلغاء من العرب قولهم من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثَّله، أو علم حصَّله فقد عقَّ يومه وظلم.

وهذه القيمة العظيمة الشأن للعلم والعلماء لا تعطى ثمرتها في بناء الحضارة والأخلاق ودعم المسيرة الإنسانية الراشدة في الحياة الدنيا إلا إذا تحقق أمران:

أولهما: التزام المعلم، وتبوئه مكان القدوة.

والآخر: أدب المتعلم وعرفانه بقدر معلمه، وما يفرضه عليه العلم من سلوكيات فاضلة أما التزام المعلم فذاك أمر يفرضه عليه شرف مهمته، والمكانة التاريخية التي احتلها المعلمون على امتداد التاريخ. أليسوا في ركب شريف يقوده الأنبياء والمرسلون؟ إنهم في طليعة المعلمين منذ فجر التاريخ أعنى من رسالة نوح عليه السلام حتى الرسالة الخاتمة، اقرأ في كتاب الله ما جاء على لسان نوح تجده معلماً أميناً، ومرشداً حكيماً يلح عليهم لمعرفة واعية صحيحة تصلح بها دنياهم، ويسعدون بها في أخراهم.

وعن الرسالة الخاتمة يقول رب العالمين: (لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [آل عمران - ١٦٤].

من هنا لابد للمعلم أن يتحرى الحق والحقيقة فيما يقول، وأن يجتنب الزيف والتلبيس والتدليس، وأن يمتلك الإخلاص لله الذي يدفعه إلى الدأب والجد في توصيل المعرفة وأن ينأى عن التهافت، وإضاعة وقت طلابه، إنه مسؤول عن عقولهم، وعن وقتهم بل إنه مسؤول عن أخلاقهم لأنه قدوتهم، وبسلوكه تتعلق أعينهم، قال هارون الرشيد لمعلم أبنائه: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فعيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت.

وأما أمير الشعراء فيضع المعلم أمام مسؤوليته الشريفة وهو يدعو المتعلمين إلى تبجيل المعلمين فيقول:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجلّ من الـــــــــذي
يبني وينشىء أنفســـــاً وعقـــــولا
سبحـــــــــانك اللهـم خير معلم
علّمت بـــــالقلم القـــــرون الأولى
ويشيد بفيلسوف اليونان ومعلمهم سقراط الذي بذل حياته حفاظاً على الحقيقة ورفضاً للزيف الذي فرض عليه وأبى أن ينصاع له، وأقبل على كأس السم يتحساه، فيقول:
سقــــراط أعطى الكأس وهـي منيـــة
شفتـي محب يشتهـي التقبيـــــــلا
عـــرضـــوا الحياة عليـه وهـي غبـاوة
فـأبى وآثـــر أن يمـــوت نبيـــلا
إن أسوأ ما يـزري بقيمة المعلم جنوحه إلى الغـواية والضلال، والعبث بعقـول المتعلمين، ويلفت نظري في هـذا الصدد قـول شوقي في شوقيته التي لم تنشر في شوقياته:
إذا رشـــد المعلم كـــان مـــوسـى
وإن هـــو ضل كـــان الســامـريـــا
كما تحدث عن انحراف المعلم، وما يستتبع هذا الانحراف من آثـار سلبيـة على الحقيقـة العلميـة وعلى طـلابها الـراغبين في تحصيلهـا، وكـذا الفسـاد الأخـلاقي النـاشىء من ذلك كلـه فيقول:
وإذا المعلـم ســـــــاء لحظ بصيرة
جـــاءت على يـــده البصـــائر حُــوّلا
وإذا أتـى الإرشــــاد مـن سبب الهوى
ومـن الغـــرور فسَمِّـــه التضليـــلا
وإذا أصيـب القـــوم في أخـــلاقهـم
فـأقم عليهـم مـأتماً وعـــويـــلاً
إن منزلـة المعلم تتضاءل بل وتتدنى إذا افتقد مكـان القدوة، وسقط فيـه المثل الأعلى لطلابـه فليست مهمته مقصـورة على حشو الأذهان بمعارف وقضـايا، وإنما رسالته العظمى في أن يقدم العلم في إطار من الفضيلة وسيـاج من الأخلاق الكريمة، هـذه الصورة الشـائهة رسمهـا شاعـر النيل حافظ إبـراهيم ببراعته فقال:
كم عـــالم مـــدَّ العلـــوم حبـــائلا
لـــوقيعـــة وقطيعـــة وفـــراق
يـدعـــونـه عنـد الشقـــاق ومـــا دروا
أن الـــذي يـــدعـــون خـــدنُ شقـــاق
عـــربتْ عن الخلق المطهَّـــر نفســـه
فحيـــاتــــه ثقـل على الأعنـــــاق
لـــو كـــان ذا خلق لأسعـــد قـــومـــه
ببيـــانـــه وبـــراعـــة السبـــاق
وبقدر مـا ندعـو المعلم إلى الالتزام الـديني والأخلاقي نـدعو المتعلم إلى الأدب في تعاملـه مع المعلم ولقد قدم القـرآن الكريم أنماطـاً من الأدب الرفيع تسمـو بها وتشرف في ظلهـا علاقـة المتعلم بالمعلم، أتـذكر في هذا الصدد نبأ الرجـل الصالح الذي كان مـوسـى عليه السلام على مـوعد للقـائه ليحصل على ما عنده من علم غير متـاح له، والتقى مـوسى عليه السـلام به (فارتـدا على آثارهما قصصا. فوجـدا عبداً من عبادنـا آتيناه رحمة من عنـدنا وعلمناه مـن لدنا علما. قـال له مـوسى هل أتبعك على أن تعلمن ممـا علمت رشداً. قـال إنك لن تستطيع معي صبرا. وكيف تصبر على مـــا لم تحط بــه خبراً. قـــال ستجـدني إن شاء اللـه صابـراً ولا أعصي لك أمرا. قـال فإن اتبعتني فـلا تسألني عـن شيء حتى أحـدث لك منـه ذكـراً) [الكهف ـ ٦٥ ـ ٧٠].
هذا الحوار الذي تسجلـه الآيات في سورة الكهف يكشف عن صـدق المعلم الذي ذكـر تميز المعلـومـة التي يقدمهـا وأنها تحتـاج إلى صبر وأنـاة، وأن المعلـم لا ينبغي لـه أن يعجل في سؤاله إذا بهرته المعلـومة، وهنا يبدو أدب المتعلم في رده على معلمه، إذ يقول في حكمة وأناة (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا) [الكهف ـ ٦٩].
إن أدب المتعلم مطلب إسلامي، ألم يـوص رب العالمين عباده المؤمنين بألا يرفعوا أصـواتهم فوق صوت نبيهم ومعلمهم، وألا يكون حـديثهم مع نبيهم كحديثهم مـع بعضهم بعضاً، وألا ينادوه نداء يشبه نداء بعضهم بعضاً يقول سبحانه: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كـدعاء بعضكم بعضاً) [النور ـ ٦٣]، إن أدب المتعلم، والسلـوك الـراشـد لطـالب العلم مع معلمـه يدفعـه إلى مزيـد من العطـاء ويكون سنـداً جديـداً لـلالتزام، وولاء المتعلم يغـري المعلم بالحفـاظ على طلابـه، والإخلاص لهم وألا يتوانى في تقديم جديد مفيد ينفعهم، وقد قال أحد الشعراء:
إن المعلـــــم والطبيـــــب كليهما
لا ينصحـــــان إذا هما لم يُكـــرمـــا

وتبقى كلمة أخيرة

إذا كانت قيمة العلم تتسامى بالتزام المعلم وأدب المتعلم على النحو الـذي ذكرتـه فإنه من اليسير علينـا أن نفسر أسباب الخلل الـذي أصاب العمليـة التعليميـة، وأن الأمر يـرجع إلى معلم لم يلتزم وطالب افتقد الأدب ورشد السلوك.
لقد فقـد المعلمون مكان القـدوة عندما انصرفـوا إلى الدروس الخاصـة، ولم يقـدمـوا لطـلابهم في المدارس مـــا ينفعهم، وأصبحوا طـلاب مادة، لا خـدام معرفـة وأصحاب حقيقـة، والطلاب ضلوا السبيل وضاع من أيديهم الطريق السوي.
وأصبحت الصحـافة تسوق لنا أحداثاً أليمة، أبطالها معلمون لم يعـرفـوا شرف مهمتهم فـزلت أقدامهـم في هذه الـرذيلـة ومتعلمـون لم يعـرفـوا أدب الطلب، وافتقـدوا المثل الأعلى فأصبحوا معاول هدم وفساد في بنيان الأسرة والمجتمع.
ولن تصح العملية التعليمية، وتؤتي ثمارها المرجوة إلا في ظل التـوجيـه الإسلامي للمعلم والمتعلم والاسترشـاد بتجـارب السابقين ممن هـداهم الله إلى سـواء السبيل. والله من وراء القصد وهو حسبنا نعم الوكيل. ■

قضايا تربوية

الثنائية اللغوية اهدافها... ومخاطرها

بقلم: د. احمد عبد العزيز المزيني

هنـاك – بل هنا وفي الكـويت – ظاهـرتان: المدارس الخاصـة ذات الثنائيـة اللغوية، وتعليم اللغـة الانجليزية في المرحلة الابتـدائية، وهما في الواقع وان اختلفتا في الشكل ظـاهرة واحدة تلفت الانتباه وتثير الجدل حـول الاهداف المرجوة منها والنهـاية التي سينتهي اليها ابناؤنا من خلال هـذه التوجهات المريبة.

تعليم اللغة الانجليزية من الدين... ولكن!

ونود ان نـؤكد ابتداء ان تعلم لغة اجنبيـة – مهما تكن – من الامور التي حث عليها ديننـا الاسلامي، فقد جـاء في الأثر« من تعلم لغة قـوم أمن مكرهم» ولكن تعلم لغة اجنبيـة ينبغي الا يترك على عواهنه وعلى عـلاته وكل من هب ودب، وبالصـورة التي تؤول اليها المخـرجات التربـوية من خلال ثنـائية اللغة، وتفشي هـذه الظاهـرة على حساب اللغـة الأم التي هي «في مقدمـة كل المظاهر التي تحفظ اصالة الثقافة العربية فضلا عن كونها لغة جميع الناس في العالم العربي على المستوى الديني والثقافي والتعامل اليومي»(١).

فالاسـلام حين حث على تعلم اللغة الاجنبية حـدد الهدف من ذلك وهو أمن مكر الخصوم، وهـذا شأن يترك لتقدير خاص بحيث يتـولى ذلك نفر محدد من المترجمين والعارفين باللغات.

الاخرى.. فان لم يوجد هذا النفر يصبـح تعيينه فرضا، وهذه قضية شرعية لانريد الخوض في تفاصيلها.

الهدف من تدريس اللغة الاجنبية

منذ بدايـة التعليم الرسمي في كثير من البلاد العربية وفي الكـويت بخاصـة، اصبحت اللغة الانجليـزية تدرس الى جـانب اللغة العربيـة، ولكن في المرحلة المتـوسطة، وينظـر اليها على انها لغـة اجنبية، وعنـدما أدخل تعليم اللغـة الفرنسية أدرجت تحت لقب« اللغـة الاجنبيـة الثانيـة» بـاعتبار ان اللغـة الانجليزية الاجنبية هي الاولى، وظلت الاهـداف التربوية واضحـة في نظرتها الى كل لغة اجنبيـة تُدرّس الى جانب اللغـة العربية فهي لغة«اجنبيـة» وهذا يعني شيئـا كثيرا ومحددا في الوقت نفسـه، حيث تظل هذه اللغـة او تلك في اطار كونها لغـة غريبة او اجنبية، يـأخذ الدارس منها مـايعينه على القراءة والفهم، ونحن لاننكر ان هنـاك لغات عـالميـة تتفاوت في مستويـاتها العلمية والعملية فـالانجليزيـة – كما يقولـون – لغة العلم والفرنسيـة لغة الادب.. وهكـذا ..ولكن مـاذا يقال عن بقيـة اللغـات وهل فـرض علينا ان نتعلمهـا جمعياً؟ سـؤال جانبي لاننتظر الاجابـة عنه. وواقعنا وواقع الامة العـربية الحالي يدعو الى تعلم اللغات الاجنبية لعلنـا نصل الى ماوصل اليه الآخرون من تقـدم علمي وتقني، ولكن الحالـة التي نلمسهـا ان عقـودا كثيرة مـرت واجيالنا تتعلم اللغات الاجنبية، ولم نصل الى مـاوصل اليه الآخرون، وهذا من شأنـه ان يؤكـد ان التقدم العلمي غير مـرتبط ارتباطـا عضويـا بتعلم اللغـات. فالجهل بلغـة الآخريـن لا يكون سببـا رئيسا في التقـدم العلمي. فاليابان دولة صناعية ومتقدمة علميا، فهل تهتم باللغات الاجنبية اهتمامنا نحن؟ وهـذا ينطبق على غير اليابـان، وهل الـدول الصناعيـة الكبرى تهتم باللغـات الاجنبية عنها اهتمامنـا نحن؟! اذن فقضية العلم وبلوغ مـابلغته الدول المتقدمة لايكون بمعرفة اللغـات الاجنبية بقدر مايكون بأمور اخرى قد يكـون في مقدمتها تـوطين التكنولـوجيا لا استيرادها لـلاستهلاك فقط وهذه قضية اخرى لاتغيب عن ذوي الالباب.

تفشي المدارس الثنائية

واينما نذهب نجد لافتات اخاذة لمدارس خاصـة ذات ثنائية لغوية، وكأنها آخر صيحة في عالم التربية ، واحـدث المستوردات من دور الازياء، هذا الى جـانب ادخـال تعليم اللغة الانجليـزيـة في المرحلـة الابتدائيـة في المدارس الحكومية، وهنا تلتقي هاتان الظـاهرتان في صعيد واحد وتصبان في هدف محدد وهو تكوين انسـان ثنائي اللغة ومن ثم مجتمع ثنائي وامـة ثنائية، وكأن مشكـلات التربية انتهت ولم يبق منهـا الا اتقان اللغـة الاجنبية على حساب اللغة الأم.

وكان الاولى من ذلك التركيز على الارتقاء بالمستوى العلمي واللغوي وبناء شخصية المتعلم ودفع آلية التعليم وتكوين الميول القرائية نحو تراث الامة والافادة في توظيف التقنيات التربوية الحديثة في العملية التربوية ولا نبالغ اذا قلنا ان الثنـائية اللغوية نـاقوس خطر يـدق ومرض عصر يستشري في جسـد هذه الأمـة(٢) واقرب مثل على ذلك الاحتفـال الذي اقـامته احـدى المدارس الثنـائيـة في احـد فنـادق الكويت وحضره لفيـف من الطـلاب المتخرجين مع اوليـائهم، وقد تطوع نفـر من الطلاب بجمع مبلغ من المال لشراء تذكـرة سفر ذهـابا وايابا لاستـاذهم الذي كـان قد درّسهم الأدب الانجليزي ثم غـادر الى بلد بعيد، واحبوا ان يشاركهم فـرحتهم واحتفالهم لانـه كبيرهم الذي علمهم الأدب.. لاغضـاضة في ذلك، ولا اعتراض عليـه، ولكن ألا تشعر معي ان ظاهـرة الولاء لغير ماينبغي ان يكون الـولاء بادية على ابنائنا، وهـذا نذير خطر، وان هـؤلاء الخريجين يعرفون الكثير الكثير عن الأدب الانجليزي واللغة الانجليـزية اضعاف اضعاف مايعـرفونه عن الادب العربي واللغـة العربية، هذا اذا احسنـا الظن بهم، وكانوا يعـرفون شيئا له قيمته وأثره من الأدب العربي واللغة العربية.

لقد بلغ الامـر في الدعايـة للمدارس الثنـائية ان امتدت الى دور الحضـانة، فهناك حضانات ثنائية اللغة الانجليزية والفرنسية في آن واحد، فأين محل اللغة العـربية، فان كان لها وجـود عندك ياصاحب الحضـانة، فينبغي ان تكـون ثلاثيـة اللغة.. وهل نستمـر في العد حتى نصل الى ربـاعية اللغـة وخماسيتها؟!

وهنـا تبرز قضيـة الانتماء والـولاء الى احـدى اللغتين اللتين تتنـازعـان شخصية الفرد، او شخصية الأمة بأسرها، وهل هم يظلون مشدودين الى لغتهم الأم ويفضلونها على اللغـة الثنائية ولو بـدرجة أم انهم سيفضلون اللغة الثنائيـة«الدخيلة» على لغتهم الأم، بحيث تصبح اللغة الـرسمية بدلا من لغتهم الاصليـة. الـذي يبـدو ان قضيـة التنازع ستنتهي يـومـا مـا وستحسم لصالح احدى اللغتين، وغـالبا ما تكون اللغـة الفائزة هي اللغة التي اختارهـا الفرد والجماعة ابتداء لتكـون في معادل موضـوعية للغتهم

الاصلية بحيث تصبح هذه اللغة التي كانت يوما مالغة اجنبية لغة ثانية ومن ثم تصبح هي اللغة الأم، وتصبح اللغة الأم هي اللغة الثانية، وهذا اذا لم يهجرها اهلها وتصبح لغة اجنبية غريبة عنهم، وليس هذا بمستغرب في تاريخ البشرية وشعوب الارض فقد حدث فعلا مثل هذا التراجع اللغوي عن اللغة الأم، واصبحت اللغة الدخيلة هي اللغة الأم.

مفهوم الثنائية

يمكن تعريف الثنائية بانها- اولا- «قدرة الفرد على استعمال لغتين» و-ثانيا- «القدرة على الحديث بلغتين مختلفتين»(٣) وبغض النظر عما بين التعريفين من بعض الفوارق، الا اننا من خلالها ندرك ولكي تتحقق الثنائية عند الفرد هناك ضرورة امتلاكه« القدرة» اما على «استعمال لغتين» او «الحديث بلغتين» مختلفتين.ويمكن ان تنطبق هذه الظاهرة بصورة واسعة على الشعب الهندي حيث اصبحت اللغة الانجليزية بالقوة وبالفعل كما يقول المناطقة لغة ثانية الى جانب اللغة الأم- مع ملاحظة وجود اكثر من لغة هندية كما هي الحال بالنسبة الى اللهجات العربية.. وقد يكون تعدد اللغات الهندية من الامور التي سهلت التخاطب والتفاهم باللغة الانجليزية، بحيث اصبحت لغة ثانية، ولم تعد لغة اجنبية، وهنا يتضح الفرق في الأهداف التربوية عندما تكون هذه اللغة «اجنبية» وهذه اللغة «ثانية» فاللغة الثانية تفترض درجة عالية من الاتقان تصل الى صياغة الأدب والشعر وكتابة الرواية والمسرح بها. لقد سألت مثقفا هنديا بعد كم سنة ستكون لديكم لغة واحدة مشتركة يكون التفاهم بين جميع افراد الشعب الهندي من خلالها؟ فأجاب: كان ينبغي ان تقول بعد كم قرن، وليس بعد كم سنة. فقلت:وماالبديل؟ قال: الانجليزية قلت: وكيف ستقرأ الأدب الهندي وتراثك والمها بهاراتا؟قال: بالانجليزية.

هذا أنموذج لمن اتخذ اللغة الاجنبية لغة ثانية، وربما بلغ تفوق بعض الهنود في اللغة الانجليزية درجات تفوق معرفتهم للغتهم الأم، وليس هذا الامر بمستغرب عند ثنائيي اللغة. وهنا تبرز قضية خطيرة للغاية وهي قضية الانتماء والولاء الى احدى اللغتين او احدى الثقافتين..

وتنطبق الحالة الثانية الى حد كبير على بعض الشعوب التي دخلت الاسلام« وربما كانت الشعوبية في التاريخ العربي الاسلامي اصدق مثل على وجود هذه الثنائية، بسبب انتماء الشعوبيين وولائهم لثقافتهم ولغاتهم اكثر من انتمائهم الى المجتمع العربي الاسلامي»(٤).

فقد كانت قوة الولاء والانتماء الى اللغة الأم «الفهلوية» سببا في رفض عملية التعريب الشاملة التي بدأت مع الفتوحات الاسلامية وشملت فيما شملت بلاد فارس التي قبلت الاسلام ديناً ورفضت العربية لساناً. في حين كان ضعف الولاء . الى اللغات الأمات عند أخرين، الى جانب عوامل اخرى- سببا في قبول العربية لغة لهم، وهذا ينطبق على بقية الشعوب التي دخلها الاسلام تقريبا، حيث لم تعد للغاتهم الاصلية وجود في حياتهم الا في القليل النادر، وهنا يبرز الخطر الداهم من الثنائية، اذ لابد من انتصار لغة ولو بعد حين فهي ثنائية مرحلية وفي الظاهر، ولكنها في الواقع المستقبل- ولو كان بعيداً- احادية.

الثنائية سهم تبشيري مسموم

لقد تعرضت اللغة العربية في تاريخها الطويل الى العديد من الحملات المغرضة التي استهدفت تقويضها واضعافها والنيل منها، وقد كانت اشرس تلك الحملات في العصر الحديث، فمن محاولات - رفض الحروف العربية والدعوة الى الاستعاضة عنها بالحرف اللاتيني الذي روج له كثيرون من المستشرقين «مرجوليوث»(٥) ومن المستغربين«سلامة موسي»- الى محاولات احياء اللهجات المحلية والترويج لها والكتابة بها الى محاولات احلال لغة المستعمر«فرنسة الجزائر وغيرها».. الى محاولات التشكيك في التراث العربي وقيمه وجدواه وتفريغه من محتواه الانساني والحضاري الى محاولة الطعن في رموز التراث ورجالات الفكر والحضارة، ومما يلاحظ ان هذه الحملات وغيرها قد باء اكثرها بالفشل، وقد كانت حركات التبشير منذ ان بدأ في المناطق العربية وراء الكثير من تلك المحاولات، ولما ادرك المبشرون انهم لا يستطيعون ان يغيروا من عقيدة المسلمين عمدوا الى اسلوب جديد- وان كان يحتاج الى وقت طويل- وهو الالتفاف على اللغة من خلال الانظمة التربوية، وطرح اساليب لها بريقها ومن بينها الثنائية اللغوية، تمهيدا لقطع الصلة بين الانسان الثنائي اللغة وبين تراثه وماضيه، وفي اعتقادنا ان الثنائية ستؤول بعد وقت إلى أحادية اذ لابد ان تنتصر لغة على اخرى وهنا يكمن الخطر والداء العضال.

مخرجات المدارس الثنائية

ولعل اخطر ماتحمله الثنائية، التعارض بين الثقافات والمفاهيم التي تحملها كل لغة، فليست اللغة- كما يقول ابن جني- مجرد كلمات واصوات يعبر بها كل قوم عن حاجاتهم فقط (٦) وانما هي في الحقيقة- الى جانب ذلك- متسودع هائل للفكر والثقافة والمعرفة التي تراكمت عند هذه الأمة او تلك عبر الاجيال المتعاقبة، وتكمن الخطورة في الثنائية في عملية الطرد والإقصاء والتنحية للثقافة الأم، وهذا ماحدث فعلا للعديد من الامم والشعوب التي احتفت باللغة الثنائية وما تنطوي عليه من ثقافة على حساب لغتها الاصلية، وقصة الشاب «الثنائي اللغة وأحد خريجي المدارس الاجنبية» شاهد حي على عملية تنحية اللغة الأم، وقد نشرتها جريدة الانباء بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٧ تحت مقال بعنوان «لا نريد ان يعيش بيننا غرباء من لحم ودم» فهذا الشاب الذي اكتسب القدرة على الحديث بلغة اجنبية وحصل على منافع شتى كما يزعم- عندما وجه اليه سؤال« ارى انك من خلال دراستك بهذه اللغة قد تكون اغفلت دراستك للغة العربية التي هي اللغة الأم، ثم اني اراك مدخنا».. ابتسم «الشاب» ثم قال بصراحة: لا اجيد القراءة باللغة العربية اجادة تامة، وكذلك لااقتني كتابا واحدا باللغة العربية، واما عن التدخين فقد تعلمته من المدرسة الاجنبية حيث يسمح لنا بذلك(٧).

فهذا أنموذج لمخرجات العملية التربوية من خلال المدارس الاجنبية، ثم ماذا عن الثقافة التي يحملونها، والافكار التي تعشش في ادمغتهم وعقولهم من علمانية اعجاب بحضارات الأخرين ومن ثم تقليدهم في كل شيء حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه. ■

المراجع

١-احسان عباس الاصالة في الثقافة القومية المعاصرة ص ٤٤٦«مركز دراسات الوحدة العربية ط الثانية ١٩٨٢-بيروت.

٢-احمد عبد العزيز المزيني، قراءة نقدية في اعمال النخبة والتربية والديمقراطية وادب الحداثة ص ١٨٦ «ط الاولى١٩٩٦م-دار الوراقين-الكويت».

٣-سمير شريف ستيتية،الازدواجية في اللغة العربية ص١٢٤«مجمع اللغة العربية الاردني- ندوة الازدواجية في اللغة العربية ١٩٨٨-عمان»

٤-نفسه ص١٢٤.

٥-سعيد الافغاني، من حاضر اللغة العربية ص١٨٢«دار الفكر ط الثانية ١٩٧١-بيروت».

٦-ابن جني«ابو الفتح عثمان بن جني» الخصائص جـ١ ص٣٤،ط الثانية،دار الهدى -بيروت».

٧-قراءة نقدية«مرجع سابق» ص١٨٣وما بعدها.

تربية

من خصائص التربية الإسلامية

يعتبر الفكر التربوي الاسلامي فكراً تربويا متميزا انبجس إلى الحياة مكتملا وناضجا ولم يكن قيامه ثمرة تقاليد واعراف حفل بها الماضي كما هو الشأن في كثير من الحضارات، بل انه توافر على خصائصه التامة والشاملة منذ نزول القرآن الكريم الذي رافقته سنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- الطاهرة والتي كانت نبراسا ودستورا وافيا لأسس الفكر التربوي الاسلامي الذي سار المسلمون على اقتفائه والاهتداء بمعالمه عبر القرون.

بقلم: حسن عزوزي

وتعتبر المسألة التربوية المشكل الأساسي الذي تعاني منه كثير من الحضارات كما تعتبر المسؤول الاول عن كل خلل يصيب كيان امة من الامم، ولعل هذا هو السبب الذي جعل كثيرا من الدول تعدل عن تسمية وزارات التعليم الى تسميتها وزارات التربية، إذ لايخفى على أحد ان التعليم في جميع اشكاله ومستوياته ليس إلا احدى وسائل التربية المستمرة ونقصد بالتربية المستمرة عدم اقتصارها على مرحلة الطفولة والشباب ولكنها عملية مستمرة ومتجددة مع الانسان مدى حياته، وقد سبق الاسلام علماء الغرب المحدثين في تنمية هذا المفهوم فقول الله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه/ ١١٤] كما جاء في الأثر «لايزال الرجل عالما ماطلب العلم فإذا ظن انه علم فقد جهل» كل هذه النصوص دالة على التوجيه نحو تربية مستمرة لاتقف عند مرحلة معينة او جانب محدود.

واذا كان الفكر التربوي الاسلامي قد بُني على أسس متينة من التوجيه الرباني والارشاد النبوي فانه قد تميز بخصائص ومقومات جعلته ينفرد بالسمو والكمال عن باقي المناهج التربوية التي عرفتها الانسانية عبر العصور والتي كانت في معظمها من وضع فلاسفة التربية والاخلاق الذين مافتيء الواحد منهم ينقض نظرية سلفه ويبرهن على تهافتها معلنا نظرية جديدة - هي بدورها - سرعان مايتم نسخها من جديد، اما التربية الاسلامية الصحيحة القائمة على توجيه الفرد المسلم في جميع اطوار حياته دونما اغفال او اهمال لجانب من جوانبها فهي غير مقيدة بزمان معين او بقوم من الأقوام، بل هي موضوعة لكل زمان ومكان مرتبطة بالوجود الانساني دوما وأبدا، فهي تربية خالدة مستمرة لانها مقتبسة من نور الوحي الالهي عكس ماعرفته البشرية من نظريات تربوية وضعية سرعان ماباءت بالفشل الواحدة تلو الأخرى.

ولعل في صفة الخلود والدوام التي طبعت منهاج التربية الاسلامية مايجعلنا نتساءل عن الخصائص التي تميزها والمضامين الاصلية التي تحتوي عليها ولن تبرز اهمية بيان تلك الخصائص دون الإشارة الى ماعرفه الفكر التربوي الغربي من نقائص وعيوب جعل المنهاج الذي يستهدي به متهافتا فأتقن الوسيلة واضاع الهدف. اذ انه حريص على تثبيت دعائم السلوك الشخصي والآداب العامة وأغفل الاهتمام بالفضيلة والاخلاق السامية.

ان من ابرز خصائص التربية الاسلامية اصطباغها بالصبغة الدينية والأخلاقية وتكاملها وشموليتها لكافة جوانب الحياة والتنمية الاجتماعية والفاعلية والايجابية في كيفية صرف الطاقات الانسانية اضافة الى التوازن في اهدافها وواقعيتها وقابليتها للتطبيق والتغيير والتطور في ضوء القواعد الكلية والمبادىء العامة للدين الاسلامي ولعل احسن تعريف يحدد المفهوم الاسلامي للتربية هو رعاية نمو الانسان في جوانبه الجسمية والعقلية واللغوية والانفعالية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها الى الكمال(١).

الفكر التربوي الإسلامي بني على أسس متينة من التوجيه الرباني والإرشاد النبوي

وفيما يلي محاولة للإلمام ببعض تلك الخصائص وابراز اهمية التمسك بها ومراعاتها في سياق ماتعرفه مجتمعاتنا المعاصرة من انفلات صارخ في مضامين التربية الاسلامية الأصيلة وتخلٍّ شبه تام من شبابنا عن اصول واسس الفكر التربوي الاسلامي وانسياقه ولهثه وراء الحضارة الغربية الفارغة من كل مقومات التربية الخلقية السليمة.

الأصالة

تتميزالتربية الاسلامية بأصالتها الواقعية المستمدة من الكتاب والسنة فالفكر التربوي الاسلامي يستمد اصالته من نظرته الخاصة الى الانسان وعلاقتها بالحياة المجتمعية عكس مااختصت به النظرات والمواقف الفلسفية الاخرى التي سادت ربوع العالم وبخاصة في العصر الحديث وتتجلى خاصية الاصالة هذه في ربانية معطيات الاسلام التي تهدف بالأساس الى بناء الانسان المسلم القويم وليس من التجاوز في شيء التأكيد على ان تلك المعطيات تعتبر تربوية بالدرجة الأولى لانها تنظم حياة المسلم وعليها ينشأ وينشيء، وهدفها الاساسي بناء الشخصية المسلمة والانسان الصالح.

فإذا كان الانسان على هدي الداروينية حيوانا لارفعة فيه ولا روحانية وصار يلهث وراء الحياة منسلخا من كل قواعد الفطرة السليمة وقواعد التقاليد والاعراف المجتمعية واذا كان التفسير الماركسي للتاريخ يصر على ان الاخلاق والعقائد لاتحرك الانسان او ترسم له سلوكه العملي في واقع الحياة وانما يجيء كل ذلك لاحقا لكل وضع اجتماعي اواقتصادي اذ كان كل ذلك هو واقع الانسان الذي لاحظ له من السلوك او الاخلاق(٢) فإن المنهج الاسلامي في التربية ينحو منحى آخر يرتكز أساسا على توجيه الفطرة السليمة الى احكام تربية قدرات الانسان الصالح وايجاد مكونات العمل الصالح، فالعمل الصالح هو مقياس الانسان الصالح قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك/٢).

فالعمل الصالح هو الترجمة العملية والتطبيق الأكمل للعلاقات التي حددتها فلسفة التربية الاسلامية بين الانسان والخالق والكون والحياة والانسان والآخرة.

ولابد من التمييز في هذا السياق بين المصادر الاصيلة التي تستمد منها التربية الاسلامية مقوماتها واهدافها وبين تجليات الفكر والآراء المعتبرة والاجتهادات التطبيقية لكبار علماء التربية المسلمين الذين تعاملوا مع المصادر الأصلية واستنبطوا منها جوانب كثيرة تتصل بواقع الحياة انها تفرقة تضع الحد الفاصل بين الثابت والمتغير وبين المطلق والنسبي(٣).

الشمولية والتكامل

لقد كان من أكبر الأخطاء التي ارتكبها الفكر التربوي غير الاسلامي ايمانه بالجانب المادي من الانسان والحياة دون ادنى تشوف إلى الجانب الروحي، واذا كان المنهج التربوي الغربي لايقيم للعقيدة وزنا ولا للمثل والاخلاق اعتبارا، وهدفه الوحيد بناء الفرد والمجتمع على اساس من المحسوسات والماديات حيث نتج عن ذلك سيطرة الغرائز وفقدان الوازع الديني الموجه الاساسي لكل سلوك بشري واضطراب مفهوم القيم والمثل العليا، فان المنهج الاسلامي في التربية عكس ذلك انه ينظر الى الدين والانسان والمجتمع نظرة كلية وشاملة. اذ ان الاسلام الذي تقوم على اساسه التربية الاسلامية شمولي في اهتماماته وفلسفة تفسيره للوجود والكون والحياة مؤكدا التصور الجامع

التربية الإسلامية تتميز بأصالتها الواقعية المستمدة من الكتاب والسنة

بين الروح والمادة وبين النفس والجسم وبين الفرد والجماعة، وبالتالي بين الدنيا والآخرة.

واذا كانت التربية الحديثة بفضل تجاربها المتواصلة والمتعاقبة قد توصلت في بعض البلدان الغربية الى ضرورة تأكيد نزعة الشمول التي تتعلق بتكوين شخصية الفرد في شتى الجوانب الانسانية وهو منزع جاء به الاسلام كما هو معلوم منذ اربعة عشر قرنا فإن نتائج تجربتها هذه لم تثمر الغاية المنشودة لان نسق الفكر الغربي مهما حاول الالتفات -بصعوبة وعلى مضض- الى الجانب الروحي في مجال التربية فإن عدم ايمانه بأن اساس كل ذلك ترسيخ عقيدة الايمان بوجود الله ووحدانيته والعبودية له جعل كل محاولة في هذا الاتجاه تبوء بالفشل الذريع.

ان خاصية الشمول والتكامل التي تعتبر من ابرز خصائص التربية الاسلامية تهدف الى تنمية وتهذيب كافة جوانب شخصية الانسان واستعداداته وقدراته، والى المساهمة في تنمية كافة جوانب الحياة في المجتمع وحل مشاكله فالشمولية التي تطبع التربية الاسلامية تجمع بين البعد التربوي الذي تأكد انه روحي من حيث انه يسعى الى تكوين ملكات الفكر والذوق وحياة القلب المبنية على الايمان الصحيح وبين البعد المادي المبني على كيفية تنمية القدرات العقلية والخبرات الاجتماعية والمهارات المادية فهي اي التربية الاسلامية تقدر الطبيعة الانسانية المكونة من جسم وروح وتأخذ في الاعتبار مطالب الجسم والروح ومطالب الدنيا والآخرة فالاسلام بتعاليمه وقيمه واخلاقه يعالج الانسان معالجة كلية تكاملية متوازنة ويجسم كل هذا شمولية التربية الاسلامية وتوجهها الاسلامي انسانيا وعالميا بعيدا عن أية نظرة ضيقة الأفق.

الاخلاقية

لعل من ابرز سمات هذه الخاصية جعل كل اعمال المسلم طريقا للوصول الى الله وليست غاية في ذاتها فمن اخلاقيات التربية في الاسلام عملية الربط

الدائم بين ماهو دنيوي بما هو ديني، وهي ركيزة حضارية اساسية ينبثق منها الفكر الاسلامي القادر على التفتح عن غيره من الحضارات والعلوم والثقافات دونما خوف او توجس من خطورة تطور العلوم التكنولوجية مادامت لن تستخدم إلا في صالح البشرية وتعمير الارض على هدي من المنهج الرباني.

ان الاخلاقية التي يدعو اليها الاسلام في السلوك التربوي تقوم على اساس ان المسلم يربي روحه ونفسه على الخلق الاسلامي الجميل موجها عقله الى التدبر في سنن الله الكونية والتأمل في حقائق الوجود اما المناهج التربوية غير الاسلامية فهي تقوم على تربية الفرد وفق سنن وقوانين الطبيعة كما يسمونها بمعزل تام عن الايمان بالوحي والغيب والفضيلة، فما كان ان صارت المؤسسات التربوية الحديثة تفرز انسانا لايتصف بأية ضوابط اخلاقية ولامقاييس اجتماعية وهو–في احسن احواله– يكون محايدا اخلاقيا اي لاهو إلى جانب الاخلاق ولاهو ضدها وانما يتصرف طبقا لما تمليه رغباته ومصالحه المتلونة الموقوتة(٤).

ان من وسائل التربية الاسلامية في تنمية قدرات النشء الاخلاقية والاجتماعية توفير القدوة الصالحة والمثل الاعلى لانه بذلك يتم توفير المناخ المناسب لتقوية الوازع الديني والخلقي في جميع الاوساط التي يتفاعل معها النشء والمثل الأعلى في منهاج التربية الاسلامية والذي يقابله في مناهج التربية الحديثة ما يعرف بنظام القيم أي انموذج الحياة التي يراد للفرد المسلم ان يحياها وقد قرر القرآن الكريم ان الله وحده هو الخالق المصمم لصورة الانسان الصالح المصلح وانه لايمكن ان يشاركه احد في تحديد المثل الاعلى قال تعالى:﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾(الروم–٢٧).

ويتمثل الدور الذي تقوم به التربية الاسلامية في تنشئة الفرد المسلم على تعشق المثل الأعلى وتجسيده في حياته من خلال تثبيت اسس ودعائم فقه السير (أي سير الانبياء وابطال الاسلام والعلماء ورجالات الفكر) وعلى رأس ذلك كله سيرة الرسول –صلوات الله وسلامه عليه– لما في ذلك من بعث وإحياء للروح الخيرة في الناشئة والتي تجسد فيهم معاني الاخلاق الفاضلة والمثل العليا والمبادىء السامية مما يساعد على تطبيق السلوك الاخلاقي والاجتماعي والتربوي.

ولعل في افتقاد القدوة المثالية والاسوة الحسنة في البيت والمجتمع ماجعل كثيرا من شبابنا يلتجئون إلي التماس القدوة في رموز غربية وافدة زينها الغرب في نفوس المسلمين ففرضت فيها تأثيرا أقوى من تأثير الأقلام والخطب واذا كنا نطمح الى ايجاد المثل الأعلى في الساحة التربوية الاسلامية فيجب على المربين والمعلمين ان يتصفوا بالقيم الفاضلة والمثل الرفيعة والعمل الجاد مما يهيىء المجال لانتشار القدوة الحسنة والمثل الاعلى وبخاصة في واقع الحياة وبذلك نستطيع ضمان طرح البديل الاسلامي لما يعاني منه الشباب المسلم من ضياع واستلاب فكري تربوي وافتقاد للقدوة الحسنة المتميزة.

ان ربانية الفكر التربوي الاسلامي مصدر وتوجه تجعل الاخلاقية من اهم خصائصه وركيزة اساسية في بناء شخصية الفرد المسلم الملتزم القادر على مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية.

الواقعية وقابلية التطبيق

لما كانت مبادىء التربية الاسلامية مستوحاة من الكتاب والسنة كان من المحتوم وبعدها عن الخيال والتخبط وسلوكها منهجا عمليا واقعيا يناسب الفطرة الانسانية ويلائم الظروف والامكانات المتاحة لكل من الفرد والمجتمع، فالله سبحانه وتعالى لما شرع للانسان المسلم أسسا ودعائم المنهج التربوي في الاسلام أرساه على شكل قواعد متينة تحقق اهدافا واقعية ممكنة التطبيق في عمومياتها في كل زمان ومكان.

وتعتبر مبادىء التربية الاسلامية الواقعية ابعد ماتكون عن مجرد شعارات ترفع وتردد كما هو الحال في كثير من الفلسفات التربوية الوضعية كما انها ابعد ما تكون عن المثالية التي لاإمكانية لتطبيقها في واقع الحياة.

فالتربية الاسلامية منهجا ومبادىء هي اقرب ماتكون قابلة للتطبيق في ظل ظروف المجتمع الفاضل الصالح المتماسك والقائم على اساس من الدين والأخلاق والذي يتحقق في اجوائه العدل والتعاون بين مختلف فئات المجتمع وافراده.

ولعل في خاصية الواقعية التي تميز الفكر التربوي الاسلامي مايجعل الاخلاق الاسلامية متمشية مع امكانات الانسان البشرية ومسايرة ومطابقة تماما لفطرته السليمة ومن مظاهر هذه الواقعية التوفيق بين مطالب الروح والجسد معا وعدم تكليف الانسان مالايطيق او يفوق قدراته وامكاناته.

الثبات والخلود

مما لاشك فيه ان الله تعالى حينما رسم للإنسان طريق الفلاح والسعادة وشرع له سبل واسس التربية الناجحة قدر لها التوافر على عنصر الثبات حتى لاتكون خاضعة للتغيير والتبديل مع تقلبات الهوى كما كتب لها الخلود وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان وارتضى لها مسايرة التطور بمرونة ويسر.

فإذا كانت حضارات قديمة وحديثة عدة قد تعارفت على آداب للسلوك ومفاهيم للتربية والاخلاق فإن اهم مايؤخذ عليها انها خضعت لمنطق البيئة

الفكر التربوي غير الإسلامي يهتم بالجانب المادي من الإنسان والحياة دون الاهتمام بالجانب الروحي

وتطورت مع تطور الحضارات حتى وصلت في الأخير وفي عصر المدنية الحديثة الى ما وصلت اليه من تنكر صارخ لكل القيم والمثل العليا والتحلل من كل قيود الفضيلة والعفة والفطرة السليمة فأباحت الكذب والفسق والغدر وجعلت غاية الحياة مبنية على المتعة واللذة، بمايعتبر دعوة الى الانحلال الخلقي والانفلات من آداب الفطرة والتربية الخلقية السليمة، ولقد كان في مقاطعة دول اسلامية ومعارضة اخرى بشدة لكل تلك البنود التي تمس الاخلاق النبيلة والفضائل السامية مايعزز خاصية الثبات والخلود في الفكر التربوي الاسلامي إذ انه على الرغم من موجات التحرر والانحلال الخلقي واهدار القيم الاخلاقية مما تعاني منه المجتمعات غير الاسلامية فإن الموقف الاسلامي في شأن الاخلاق والتربية يبقى موحداً وثابتاً، فقوانين الفطرة السليمة تلزم تربية الانسان على حياة الطهارة والعفة والشرف والفضيلة(٥).

ولايمكن ان يفهم من خاصية الثبات جمود التربية الاسلامية في اهدافها ومناهجها وطرقها فذلك مالايقول به من له ادنى احاطة بفلسفة الفكر التربوي الاسلامي فالتجدد والتطور باستمرار وقابلية التغيير هي من خصائص التربية الاسلامية ايضا لكن في اطار الثوابت من اصول الايمان والقواعد الكلية للدين.

فاحتياجات الزمان والمكان لمقتضيات التطور والتغير الاجتماعيين ولمصالح الفرد والجماعة التي تقوم على مراعاتها الشريعة الاسلامية تفرض التجدد والتطور ومسايرة العصر دون افتقاد لأي من المقومات والدعائم الثابتة في اطار الشريعة الاسلامية.

هذه اذن بعض خصائص ومقومات التربية الاسلامية التي تبدو سامية ومتميزة تعرضنا لها بإيجاز واقتضاب لإجلاء مكامن القوة والايجابية والفاعلية في فكرنا التربوي الاسلامي، لكن يبقى السؤال المطروح حول مدى استفادتنا من كل ذلك وترجمته الى الواقع الملموس، ان مما لاشك فيه انه اذا كان المجتمع الاسلامي قد اصابه ماأصابه فما ذلك إلا من تخلف مناهج التربية وانحسار مستوى تطبيقها في الواقع وضعف صلتها بالمعطيات الاسلامية في نقائها وصفائها وعطائها المتجدد.

ولايخفى على احد مايلاحظ من تراجع نسبة فعالية تدريس مواد التربية بمختلف فروعها بمدارسنا ومعاهدنا، كما لايغيب عن الاذهان مدى استثقال التلاميذ لمادة التربية الاسلامية في بعض الاقطار العربية والاسلامية كما انه ليس بخافٍ على احد ايضا تلك المحاولات «المبيتة» من أجل اقصاء تدريس هذه المادة بالنسبة لمستويات التخصص العلمي بالتعليم الثانوي فهل وعينا مايحدق بالتربية الاسلامية من مخاطر وتحديات تشكل عقبات حاجزة امام كل استعادة لأسس ودعائم التربية الاسلامية الصحيحة كما عرفها اسلافنا حيث تم ايجاد ازدواجية في النظام التعليمي وتفاقمت حدة الصراع بين عناصر ودعاة العصرنة والعلمنة ودعاة الاصالة.

اما افكار الغرب فما فتئت تردَّد في اعجاب بل هي مصدر الفكر التربوي عندنا حتى انه في السنوات الاخيرة قد اضحى خريج التربية من معلم ومفتش اختصاصي في التربية الاسلامية يجهل من ثقافته الاسلامية بقدر مايعرف عن ثقافة الغرب وفكره، ولعل من ابرز ماتم تكريسه في هذا السياق وساهم بقوة في اقصاء وتهميش دور التربية الاسلامية في التغيير هو الفصل القاطع بين الاعداد الديني الاسلامي من جهة واعداد الطاقات والخبرات العلمية من جهة اخرى وكأن المتخصص في العلوم الدقيقة والبحتة ليس في حاجة الى تربية اسلامية يسترشد بها في توجهه العلمي وهكذا يتم وبسهولة افراغ الفكر التربوي الاسلامي من مضامينه الاصيلة واهدافه المثلى استجابة لعملية الاحتواء التي مارستها الفلسفات التربوية المستوردة على مناهج وبرامج الدراسة والتعليم في بلادنا.

من أبرز خصائص التربية الإسلامية خاصية الشمول والتكامل التي تهدف الى تهذيب جوانب الإنسان كافة

ان تدريس التربية الاسلامية في جميع المستويات والتخصصات امر مطلوب ومنشود، وان عملية تثبيت ركائز ومبادىء التربية الاسلامية في نفوس الطلبة والتلاميذ وجعلها ذات اثر واضح وملموس في سلوكاتهم وتوجهاتهم العلمية تشكل اهمية قصوى تتجاوز حدود ذلكم الكتاب المدرسي المعنون بكتاب « التربية الاسلامية» وتتجاوز بكثير تلك الحصة الزمنية الضئيلة المخصصة لها والتي تم احتجازها بعد طول أخذ ورد.

فالتربية الاسلامية ليست ذلك الكتاب المدرسي وليست مجموعة بحوث علمية في فروع الشريعة وانما هي فلسفة كاملة تسهم في بنائها وتحقيقها وتجسيدها وتحويلها الى واقع عملي متحرك كلُّ المواد الدراسية ادبية كانت او علمية، وكل المعارف والممارسات التي تبدأ مع الفرد ابتداء من طفولته واثناء تلقيه التعليم الأولى ومرورا بكل موارده الثقافية والعلمية وانتهاء بمجموعة الخبرات المكتسبة التي تم تحصيلها. ■

الهوامش:

١-من توصيات المؤتمر الأول للتعليم الاسلامي المنعقد بمكة المكرمة العام١٩٧٧.

٢-مجلة «الامة القطرية» ع٢١/١٤٠٥ ص٤٤

٣- د. ماجد عرسان الكيلاني مقومات الشخصية المسلمة، كتاب الأمة رقم ٢٩ ص ٤٢.

٤-المرجع السابق ص١٤١

٥-د. عباس محجوب مشكلات الشباب الدوحة ١٤٠٦ ص ٩٢.

تــراث

العد... والترقيم قديما ١/٥

للدكتور عبد الستار محمد فيض

تعبر الأرقام عن مفاهيم عالمية لاتختلف باختلاف اللغات واللهجات، وان كان الرقم يختلف نطقا باختلاف هذه اللغات واللهجات، ولم تصل أي لغة من لغات العالم الى ماوصلت اليه لغة الارقام من انتشار وازدهار، وتكاد هذه اللغة ان تكون الوحيدة التي تسود العالم المتحضر الآن، وتتغلغل في حياته الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والأدبية، فبعد ان كانت الأرقام مقصورة على الاستعمال الشخصي الضيق تحولت الى الاستعمال الجماعي والنفع العالمي في عالم احتل فيه العلم زمام القيادة ومكان الصدارة.

وقد أخطأ الذين يعتقدون ان لغة الأرقام لغة جافة ليس بينها وبين الحياة صلة، فقد تبين لهؤلاء ان هذه اللغة ماهي الا وسيلة اخترعها الإنسان لكي يتمكن من بناء العالم الذي يعيش فيه، وانها نشأت متصلة أوثق الصلة بالحياة اليومية، ولابد ان تظل كذلك لانها لغة عالمية لاغنى عنها في أي مجال من المجالات العلمية في الحياة.

ولذلك اصبح الكثير من الباحثين في العلوم والمعارف يشعرون بالمتعة واللذة عندما يطالعون بحثا اقتصاديا مدعما بالأعداد اللغوية وكأنهم أمام عمل فني جميل، ولو تخيرنا مثلا صحيفة يومية ووضعنا خطوطا تحت مااحتوت عليه هذه الصحيفة من أرقام او تعبيرات عددية لوجدناها تحتل الكثير من ثنايا أي موضوع، ولشعرنا شعورا قويا بأن هذه الاعداد والتعبيرات لها قيمة كبرى في مدى استيعاب الموضوع وفهمه(١).

وتجتاح الأعداد حياة الانسان المعاصر فهو يشاهدها ويسمعها في كل مكان، ويعتمد عليها باستمرار لتوضيح أفكاره، فلو سئل عن عمره أو وزنه او طوله لأجاب بالعدد، وثمن اي شيء هو العدد وحجم اي شيء هو العدد ايضا، والسرعة والزمن والارتفاع والحرارة والقوة كل هذا يعبر عنه بالاعداد كذلك، فالاعداد ضرورية لمعرفة قيمة اي شيء في هذه الحياة بدقة، وليس من السهل تخيل عالم بلا أعداد، فلو حاولنا الا نستعمل الاعداد ولو لفترة بسيطة في حياتنا لوجدنا انفسنا نفكر فيها بعقولنا الباطنة، وفي الفترة الاخيرة ازداد استعمال الاعداد مع تطور حاجة الانسان وظروفه الاجتماعية زيادة كبيرة(٢).

معنى العدد

العدد يعني الكمية، وقد عرفت اللغات السامية كغيرها من اللغات جميع التعبيرات الدالة على الكمية، ومادةالعدد «العين والدال المشددة» تدل على العد وهو الاحصاء والعدد مقدار مايعد ومبلغه(٣) والجمع اعداد.

قال تعالى:﴿وأحصى كل شيء عددا﴾(٤) وقال جل شأنه:﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾(٥) وقال تعالى﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾(٦). وقال تعالى﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾(٧).

ومثل العدد ايضا كلمة العدة، فهي من العد بمعنى الإحصاء قال تعالى:﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر﴾(٨) وقال سبحانه ﴿فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر﴾(٩).

فالعدد في معناه العام يتضمن الإفراد والتثنية والجمع، ومايضاف نحو بعض وكل، ومايأتي من نحو كثير وقليل، وهذا يتمشى مع النشأة الوصفية الأولى للعدد في اللغات القديمة عندما كان الانسان يفتح ذراعيه بقدر معلوم للدلالة على ان هذا الشيء قليل او كثير او قليل جدا او كثير جدا.

ومن الضروري ان نفرق بين كلمتي العدد واسم العدد، فالعدد هو الكمية واسم العدد هو الألفاظ الدالة على تلك الكمية.

معنى الرقم

الرقم هو كل رمز وضع بشكل معين ليمثل الاعداد كالرمز(٣) في اللغة العربية والرمز(3) في اللغات الأوروبية والرمز(١١١) في لغات أخرى.

فاذا اريد الدلالة على العدد ثلاثة مثلا يكتب اللفظ «ثلاثة» وهذا هو اسم العدد، وقد يكتب بدلا من اسم العدد رمزا من الرموز التي ذكرت سابقا وهي «٣أو 3 أو١١١» او غير ذلك مما يراه القارىء فيفهم من هذا الرمز أن المقصود منه هو كلمة «ثلاثة» فكل رمز من هذه الرموز يطلق عليه اسم «رقم» فالترقيم هو الدلالة على الاعداد بالرموز.

والمرجع ان الانسان الأول بدأ يجد الحاجة الى الترقيم والحساب قبل ان تدعوه الحاجة الى الكتابة، فقد عثر في الكهوف على اشارات ترقيم تبدوا انها اقدم عهدا من اشارات التعبير عن الافكار اي «الكتابة» وقد كان كل مجتمع عندما يصل حدا ما من الحضارة يتخذ لنفسه مجموعة اشارات للكتابة يعبر بها عن افكاره، ومجموعة اشارات للترقيم يدل بها على الاعداد ويجرى عليها حساباته،، وقد كان الاقتباس يجري بين المجتمعات مجرى سبل التجارة ومجرى سبل الغزو والفتوحات، ومع ذلك فقد بقيت هناك اختلافات بين اشكال ارقام المجتمعات، تماما مثل وقوع الاختلافات بين كتاباتها(١٠).

الأعداد ضرورية لمعرفة قيمة أي شيء في الحياة

الدلالات العددية في العصور الاولى

كان الإنسان في العصور الأولى لايعرف الأعداد الحسابية وكل ماكان يستطيعه هو تقدير الكمية بقليل او كثير، فقد كان لايعرف الفرق بين الثلاثين والثلاثة والأربعين والأربعة والخمسين والخمسة، وغاية الاعداد التي كان يعرفها هي:واحد، اثنين، ثم كثير(١١).

فالدلالة على الاعداد قديما كانت إما مبهمة مثل، هذا الشيء قليل او كثير او كثير جدا، وإما وصفية مثل هذه الاغنام واحدة بيضاء، وواحدة صفراء، وواحدة سوداء، واما تطابقية مثل هذه ورقة شجر للدلالة على العدد ثلاثة، وهذه يد للدلالة على العدد خمسة.

وهكذا كانت بداية الاعداد لدى الانسان ولعل العد كان اول صور الكلام عند الانسان لحاجته الشديدة اليه(١٢).

فالإنسان في طوره البدائي كان يعيش ضمن مجموعة صغيرة مؤلفة من الشخص وافراد عائلته يحكى لغة بسيطة مؤلفة من مجموعة من الاصوات او الكلمات الضرورية لحياته. فمثلا لو ان انسانا عائدا من الصيد ومعه صيده، فقابل انسانا آخر معه مجموعة من ادوات الصيد، وأراد الانسان الاول مبادلة صيده بثلاثة رماح من الانسان الآخر، فكان لابد له من استعمال لغة الاشارة، لانه لايحسن استعمال كلمات تعبر عما يريد، فيقوم بالاشارة الى صيده الذي يحمله ثم يدل بثلاثة من اصابعه الى ثلاثة من الرماح التي يحملها الانسان الآخر.

فالاشارة الى الصيد، ثم الاشارة الى الرماح الثلاثة، ثم التعبير عن ذلك بالاصابع يعتبر شكلا بدائيا من العد والحساب واعتمده الانسان الاول قبل ان يتوصل الى اكتشاف الرموز العددية. واعتماد الانسان القديم على أصابعه بدلا من اللغة لايزال قائما حتى اليوم.

وتدل الاكتشافات الأثرية على ان فكرة الاعداد سبقت استعمال اللغة بآلاف السنين، وان الانسان القديم استعمل الرموز للأعداد قبل استعماله للكلمات، لأن حفر الرموز اسهل من كتابة اللفظ الذي يعبر عن العدد.

وقد أدرك الانسان منذ القدم أهمية الأعداد والحاجة الملحة للتعبير عنها، فكان لابد له من ابتكار طريقة لحفظ هذه الاعداد.

وقد لاحظ الانسان القديم تكرار تغير شكل القمر من هلال الى بدر ثم الى هلال مرة اخرى، ويرجح العلماء ان هذا الانسان اعتمد على القمر لعد الايام وللتمييز بينها، فكان يقوم بحفر علامة واحدة لكل يوم على جذع شجرة او على حجر او على عظمة من عظام الحيوان، حتى توصل الى ملاحظة ان ثلاثين علامة تفصل بين بدر وآخر. وقد عثر على عظمة ذئب في منطقة من أوروبا الوسطى يعود تاريخها الى ستة آلاف وخمسمئة سنة قبل الميلاد محفور عليها تسعة وخمسين علامة على شكل خطوط رأسية غير منتظمة لأطوال وشبه متوازية ومنقسمة الى مجموعتين، واحدة تحتوي على تسعة وعشرين علامة، والثانية على ثلاثين علامة مما يستنتج منه استخدام الانسان القديم لرموز الأعداد.

تطور العد

مرت آلاف السنين والانسان لايزال يعيش في الطور البدائي، ولكنه عرف تحسنا بسيطا في اساليب معيشته، مثل تحسن ادوات الصيد التي يستعملها او الملابس التي يرتديها، وبمضي آلاف اخرى من السنين حدثت ثورة كبرى في تاريخ الانسان باكتشافه الزراعة، وبدأ محاولاته لتدجين بعض انواع الحيوانات، فأخذ يتحول تدريجيا من حياة الصيد الى حياة الزراعة الاكثر استقرارا، وقد تم له ذلك منذ حوالي تسعة آلاف سنة قبل الميلاد.

ولما كانت الحياة الزراعية تحتاج الى ادوات للحفر والحصاد وحفظ المؤن والى الحيوانات للحراثة ونقل المياه والى وسائل تمكنه من معرفة فصول السنة بدقة، فإن ذلك يتطلب معرفة ادق بالعد والحساب، فبعد حفر ثلاثين إشارة على العصا لمعرفة وقت ظهور البدر، توصل الانسان بملاحظته إلى ان كل اثنتى عشرة إشارة كبيرة «أي «بدر» على العصا تحدد السنة فأصبح يضع اشارة اكبر لتحديد الفصول لأن ذلك يعني ان السنة مؤلفة من ثلاثمئة وستين يوما فقط فكان يخطىء في اول سنة بخمسة ايام، وفي السنة الثانية بعشرة ايام، وفي الرابعة بواحد وعشرين يوما، وفي السادسة بأكثر من شهر كامل مما أوقعه في حيرة لعدم ضبطه لفصول السنة الزراعية، فبرزت حاجته الى وسائل ادق لحساب فصول السنة، والى اسلوب آخر افضل من مراقبة القمر لحساب الايام والاشهر فاتجه لمراقبه الشمس والقيام ببعض الحسابات الناتجة عن دورانها وتحركاتها، حتى توصل الى نوع من العد والحساب اكثر ضبطا من حساب القمر وبلغت دقة حضارة الفراعنة في ان يحددوا السنة الشمسية بـ٣٦٥يوما (١٣) ولن تتجلى عظمة هذا الكشف إلا عندما ندرك ان الانسانية بعد ذلك لم تستطع ان تغير من هذا الحساب إلا بقدر خمس ساعات وكسور(١٤).

وحدث ان توصل المزارع في تلك الحضارات الى انتاج كمية من الغلال تفوق حاجته الغذائية، فكان لابد له من مقايضة جزء من المحصول الفائض بسلع اخرى يحتاجها، فنشأت بذلك التجارة، ومع ازدياد انتاج الارض، وتوسع عمليات التجارة، بدأت القرى تنتشر وتتوسع وتكبر حتى اصبح بعضها مدنا يتجمع فيها عدد كبير من البشر، وادى ذلك الى نشوء الحرف والصناعات وتبادل السلع والمنتجات، ولتسهيل قيمة هذه الاشياء إزداد الاهتمام بعلم الحساب، فوضعت للأعداد الرموز والاشكال، وضبطت قوانينه واصوله واصبح له علماء متخصصون.

الأعداد سبقت استعمال اللغة بآلاف السنين

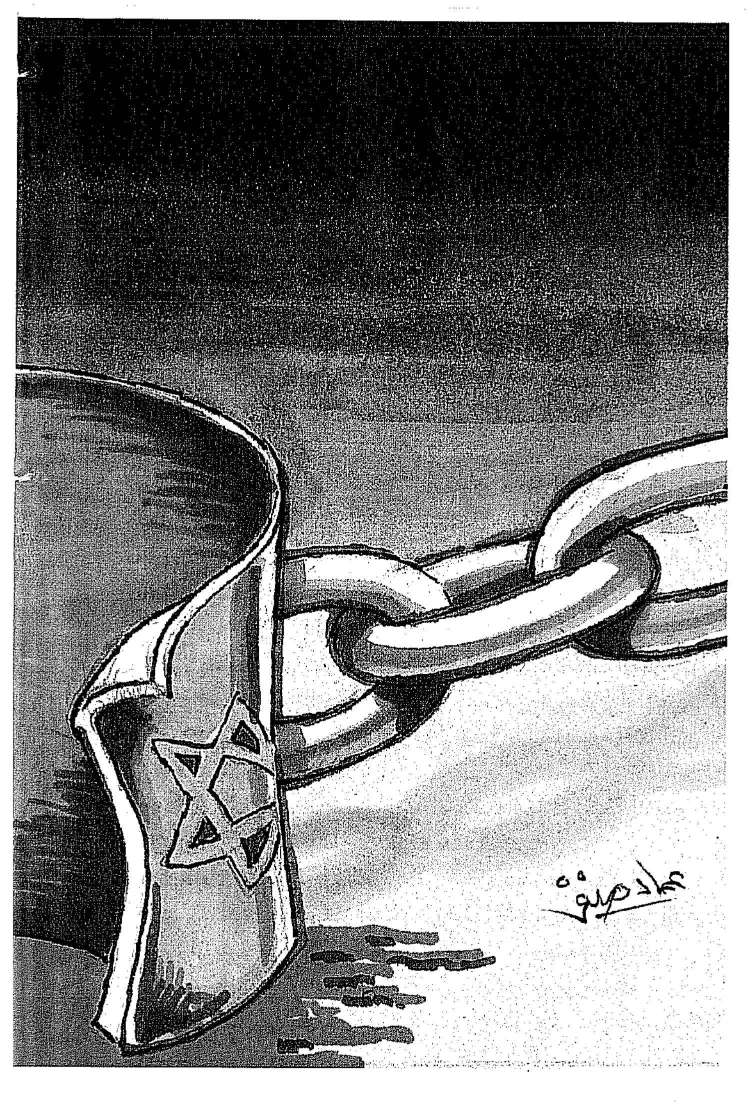
الهوامش

١- مصطفى النحاس/ العدد في اللغة/ص٨٩.
٢- محمد مكداشي/ حكاية الاعداد/ ص٣,٤.
٣- ابن منظور/ لسان العرب/ مادة«عدد».
٤-سورة الجن/آية ٢٨.
٥-سورة الإسراء/آية١٢
٦-سورة الكهف/آية١١.
٧- سورة المؤمنون/آية١١٢
٨-سورة الطلاق/آية٤
٩-سورة البقرة/آية ١٨٤
١٠-احمد سليم سعيدان/قصة الأرقام/ص٣٤,٣٢
١١-علي عبد الله الدفاع/تاريخ الرياضيات/ص١٤
١٢-نور الدين حاطوم/موجز تاريخ الحضارة /ج١ص٥
١٣-انطون ذكرى/اللغة المصرية القديمة/ص ٤٥
١٤-احمدحسين/الأمة الانسانية/ص١٦٠.

قصة قصيرة

وعاد منصور!

بقلم: محمد طه محمود بصل



فقدتـه وانطوت على أحزانها تعصب مشـاعرهـا وتكبح حزنها أن تنفلت أماراته أمـام أبنائها، تمر الأيام ببطء يمـزق نفسها، ثلاث أنفس تريد الحياة وتنتظر الحماية والرعاية الأسرية، ونفس تتلفع أساسها تطالع الطريق الذي سيأتي منه كل يوم وقت الزوال كما تعودت منذ انتقلت مـن بيت العائلة عروساً إلى هـذا البيت، لكنها الآن تسائل عنه حصاهـا وجدرانها التي تواري خلفها أسراً تنعم بعودة عـائلها لتتنـاول معه طعام الغـذاء، وتسائلهـا مساء حين يتحلق الأطفال حول آبـائهم يدللونهم ويلاعبـونهم ويشاركونهم الإجـابة عن كثير مـن الأسئلة الـدراسيـة وغيرها، وآه من غيرهـا هـذه... شـاردة تراقب الطـريق من خلف الستـار، تعلق أصغـر أبنائها بثيابها قائلاً: أنا عاتب عليك يا أمي.

قـالت بعطف أمّ تكلم ابنهـا الصغير غائب الأب وهي تنثني إليـه، وابتسـامتها المصطنعـة تحاول أن تـواري أحـزانها، وأصابعهـا تتابع إزالة أثر دمعات خانتها فسالت على وجنتيها.

ـ لماذا؟

ـ لأنك لم تقولي لأبي يأتي كي يأخذني إلى المدرسـة في بداية العام الدراسي، أليست هذه أول مرة أذهب فيها إلى المدرسة؟

ـ بلى... بلى.

ـ فلماذا لم يأتِ أبي فيصحبني كما فعل جارنا أبو خالد؟

ـ قـالت وهي تمسح على جبهته ورأسه وتحدق في وجهـه وعينيه بحنان: ألم آتِ معك أنا، وأقابل مدرستك وأطمئن عليك؟

ـ نعم، ولكن لماذا لم يأتِ أبي معنا؟

ـ قلت لك إنه مشغول، وهو مقيم بعيد عنا فلا يستطيع المجيء.

ـ أين يقيم؟

ـ أين يقيم؟..

سؤال لا تعرف كيف ترد عليـه، يحرك فيها حيرة ويجعلها تتلعثم وهي تحـاول الإجابة عنه تماماً كلعثمة صغيرها أو دونها.

ـ أنا... لا... أعرف أين يقيم؟ ولا كيف يعيش؟ قلت لك إنه خرج إلى العمل ولم يعد حتى الآن.

ـ فلماذا يقيم بعيداً عنا؟

ـ لماذا؟... ثم وكأنها وجدت جـواباً مقنعـاً... ليعمل.. نعم ليعمل ويأتي بالأموال التي تنفعنا.

ـ ولماذا لا يعمل هنا قريباً منا؟

ـ صحيح... لماذا لا يعمل هنا؟!.. لأنـه... لأنه في حـاجة إلى مـال كثير... كثير.

ـ ألم تقولي لي من قبل إن في بلادنا العمل والمال والحمد لله؟

ـ نعم... نعم، ولكن أباك في حاجة إلى مال أكثر.

قال وقد ضـاق بهذه الإجابات المراوغة وكـأنه يشعر أنها لا تعبر عن الحقيقة: أنا لا أريد مالاً أكثر.

جذبته من يـده برفق وقالت له وهي تتجه نـاحية «المطبخ»: هيا بنا نتناول طعام الغداء، ناد إخوتك.

جلسـوا حول المائدة وبـدأوا في تناول طعـامهم، لمح الابن الكبير الحزن كـالعادة في عينـي والدتـه وهـو من بين إخـوته الـذي لا تستطيع الابتسامات المتكلفة على وجهها خديعته، وكان قد سمع

لأخته دروسها، ويقوم على رعاية الأسرة والسعي في كل شؤونها، وإلى جانب ذلك مواساة والدته التي كانت تحتاج في كثير من الأحيان إلى من يواسيها ويؤازرها، ويبدو له ذلك واضحاً رغم محاولاتها المميتة أن تواري مشاعرها عن أبنائها.

مُرة هي طعوم المصائب، يكاد لا يحفظ العقل والنفس تحت وطأتها إلا ثقة في عون الله وفرجه وآية تقرأ من كتابه أو ركعة في جوف الليل، وظلت تستعيد شريط حياتها التي تغيرت إلى حد كبير خلال السنوات الماضية والمواقف التي تعرضت لها منذ غياب زوجها منذ سبتمبر ٩٠، وكيف وفقت في اجتياز كل أزمة، وتوصلت إلى قناعة هي أن معية الله لا تنصرف إلا لمضطر، لقد لاقت من المساندة والتأييد ما خفف عن كاهلها ثقل الخطب وما هيأ نفسها أن تتقبل راضية ما ابتلاها الله به، وتعمل جاهدة على تيسير دفة الأسرة، كما لو كان زوجها موجوداً يسير معها في درب الحياة.

لقد تابعتْ الابن الأكبر وأخذت تهيىء له سبل الراحة للمذاكرة والتحصيل واستغنت عن كثير من زينتها لتنشىء بمالها عملاً يدر دخلاً ثابتاً على أبنائها، واستطاعت بالتعاون مع ابنها أن ينجز خطوات موفقة إلى حد بعيد في مجال التجارة، وكانت كلما ظفرت بفرج من الله ورزق تيقنت من معنى الآية (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) النمل ـ ٦٢، واستطاعت فوق هذا أن تبني جسور اتصال بينها وبين خالقها، أمة مضطرة تدعوه سبحانه، ورب حليم يحنو على عباده، فكانت تلح بالدعاء إلى الله أن يتم نعمته عليها فيتخرج ابنها من الكلية التي كان يرغب الالتحاق بها، فلا تحول مشاغله دون تفوقه الدائم وأن يعود زوجها إليها سالماً كما كانت تراه من قبل وتتلمس ملابسه وتشم أريج طيبه، وتسعد بسماع صوته يملأ عليها البيت.

وها قد مرت الأيام وتتابعت، واليوم هو يوم فرحة خففت من وطأة الحزن المخيم على الأسرة الضارب بأطنابه في أركان البيت، لقد تخرج الابن الكبير، وها هي الأسرة الصغيرة سعيدة بهذه المناسبة يشاركها لفيف من القرابات وذوي الرحم، وبينما هم على هذه الحال إذ طرق الباب طارق شغلهم ـ عن معرفة شخصه ـ اندماجهم في فرحهم، فخف الصغير إلى الباب ووجدها فرصة يقوم بعمل يعتاد الكبار القيام به فيقابلون هم الضيوف بأنفسهم ويفتحون لهم الباب، فسأل الرجل الواقف أمامه يدقق النظر داخل البيت، من أنت؟

فقال الرجل: ناصر موجود؟

ـ نعم، موجود، هل تريد أن تبارك له؟

ـ أبارك له! على أي شيء؟!

ـ أما علمت؟ لقد نجح وتخرج في كلية الطب بامتياز.

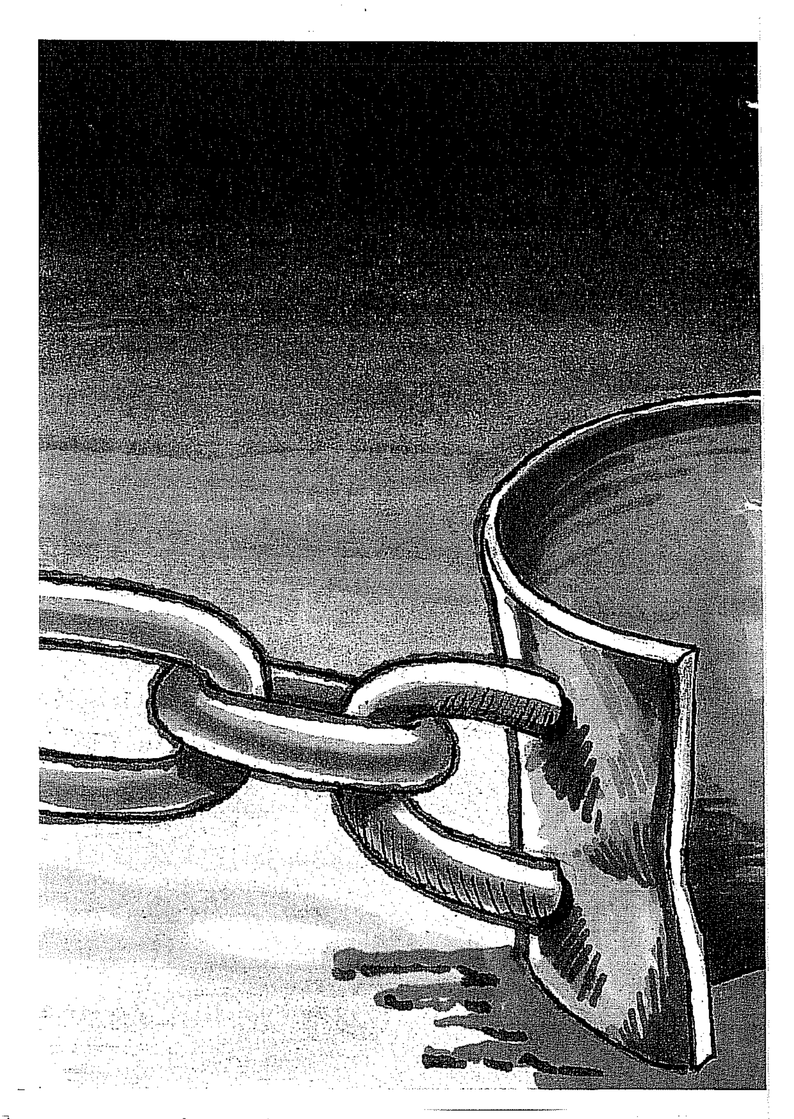
فسأله الرجل بدهشة: وأنت... من؟

أجاب الصغير: أنا منصور، وأنت:

ـ أنا منصور أيضاً..

ثم سأله وقد عقدت الدهشة حاجبيه: منصور!... منصور مَنْ؟

أجاب الصغير ببساطة وتقريرية كأنه يلومه على عدم تعريفه به: منصور منصور!! أنا منصور. منصور. ■



طرفاً من حوار الصغير معها، فقال مخففاً من حدة ما تسرب في نفسها، وليوقفه عن متابعة أسئلته مرة أخرى: افتح التلفاز، الآن موعد برنامج أطفال جميل.

قال الصغير وهو يظهر التبرم: ليس هناك برامج أطفال الآن...

ـ افتح «التلفاز» وسترى.

فتح التلفاز فإذا به يرى مشهداً إخبارياً، مجموعة من الجنود المدججين بالسلاح تظهر فوق خوذاتهم النجمة السداسية يطلقون النيران على شباب وأطفال عزل ولمح ثلاثة منهم يقتادون أمامهم رجلاً بقوة وعنف... صرخ متسائلاً: هل يأخذونه إلى العمل أيضاً خارج البلاد؟!

ولم يجد الأخ الكبير إلا أن يغلق التلفاز ليكف الصغير عن أسئلته، بينما كانت الأم شاردة تفكر... في مثل هذه الأيام منذ سنوات ست لم يكن قد ولد بعد وأسر أبوه قبل أن يولد، فلم يره... اللهم صبرك على الشدائد، كان أخوه الكبير في المرحلة الثانوية وقتها وكان عليه منذ غاب والده، أن يذاكر دروسه ويرعى أخاه ويلاعبه، ويذاكر



السيد الصديق حافظ

«رمضانُ» ولى! جَلَّ وجْهُ الباقي!
عُمْرٌ نودّعه لغير تلاقي!
هل يقسمُ المولى لنا أمْثَالهُ
في طاعة مُثْلى وعيشٍ راقي؟!

يا زائراً ما كاد يقدمُ ركْبُه
حتى تهيَّأ مُؤْذناً بِفِراق!
لو كانتِ الأيَّامُ تنزلُ بيننا
كالضيفِ أنزلناكَ في الأحْدَاقِ!
فَلأنت في الأزمان أيْمَنُ قادم
يُرْجى وأكرمُها على الإطلاق!
زادٌ من الأخْلاق راق ذوي النهى
ولذي التهامة رائق الأطباقِ

«رمضانُ» يا شهر المسرةِ والرضا
ومحاسن الأعمال والأخلاقِ!
الناسُ يختلفون فيما بينهم
إلا عليك فهم مثالُ وفاق!
كلٌّ يحبك راغباً أو راهباً!
والحبُّ من ولهٍ ومن إشْفاقِ!(١)
قد جئت هذا العام غِبَّ معاركٍ
ودم جرى في الخافِقَيْن مُراقِ!
أقبلتَ والأسْرى على جَمْر الغضا
وقيودهم في السُّوقِ والأعْناقِ!
أسْرى «الكويت»! أما سمعت نحيبهم
والسوطَ يلهثُ في يديْ أفَّاقِ؟!

«رمضانُ» كيف وجدت أمة «أحمدٍ»
طاوي النجوم على جناح بُراقِ؟!
أيَّام كانت هذه الدُّنيا لنا
ولنا من الأخرى أعزُّ خلاقِ؟!(٢)
إني لأسألُ والأسى يدعو الأسى
والهم يطغى ممسكاً بخناقي!
مالي أرى عينيك غارقتين في
بحر من الإرهاق والإخفاقِ؟!
لن نُبْتَلى أبداً بمثل ثلاثة:
الجهلِ، والأمراضِ، والإمْلاقِ!
في ظلهن ترى الذئابَ تقلدتْ
عمل الرعاة! وقد عرفت الباقي!

هامش:

(١) الولـه: شدة الوجد والإشفـاق هنا بمعنى الحذر والمعنى: إن الحب فيـه شيء من الرغبـة وشيء من الرهبة.

(٢) خلاق: نصيب.

ندوة ثقافية تنظمها كلية الشريعة - جامعة الكويت (١-٢)

منزلة نبينا محمد ﷺ وواجبنا نحوه

نظمت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت ندوة ثقافية هي الرابعة ضمن موسمها الثقافي لهذا العام بعنوان «منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وواجبنا نحوه»، حاضر فيها كل من الشيخ/ عبدالرحمن عبدالخالق، والدكتور الشيخ/ جاسم مهلهل الياسين، وتحت إشراف ورعاية الدكتور/ محمد عبدالغفار الشريف عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، تولى الدكتور عبدالرزاق بن خليفة الشايجي رئيس اللجنة بالثقافية في الكلية إدارة الندوة.

تابع الندوة
د. عماد الدين عثمان

وقد بيّن الدكتور الشايجي في بداية الندوة أن الغرض من هذه الندوات هو طرح القضايا التي تهم عامة المسلمين لمساعدتهم في معرفة أمور دينهم والوقوف عليها، وللتعريف بأحكام الشريعة والمقاصد السامية التي جاءت من أجلها.

وقامت الندوة على محورين: تناول الأول منهما الشيخ الدكتور/ جاسم مهلهل الياسين، حيث تحدث حول: منزلة النبي صلوات الله وسلامه عليه عند الأمة، بينما غطى المحور الثاني حديث الشيخ/ عبدالرحمن عبدالخالق والذي كان حول الواجب تجاه النبي صلى الله عليه وسلم؟

والوعي الإسلامي إذ تستقبل هذه المناسبة فتنشر في هذا العدد الجزء الأول من هذه الندوة، والذي يتعلق بحديث الدكتور/ جاسم مهلهل الياسين حول «منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الأمة»، حيث استهل الدكتور الياسين حديثه بالتأكيد على أن الإنسان ليخجل وهو يتحدث عن منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم - فمنزلته صلوات الله وسلامه عليه رفعها الله سبحانه وتعالى منذ أن كان آدم عليه السلام في طينته، ونأتي نحن في القرون المتأخرة لنتحدث عن منزلته صلى الله عليه وسلم، الأمر محزن في نفوسنا، لكننا نقول من كتاب الله سبحانه وتعالى الذي رفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم ومن أحاديث النبي ومن أقوال العلماء..

الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للصغير والكبير، للمؤمن والكافر، للحجر والشجر، للطير والحيوان

جاء رحمة للعالمين

أما المنزلة الأولى: فهي مجيئه رحمة للعالمين بهذا الإطلاق جاءت به الآية الكريمة: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء رحمة للصغير والكبير، للمؤمن والكافر، للحجر والشجر، بل للطير والحيوان - وهكذا جاء الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة لكل من دب على هذه الأرض، فالله سبحانه وتعالى يخبر عن هذه الحقيقة بأنه صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار، كما قال المولى عز وجل: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم).

والخطاب كان لكفار قريش عندما قالوا - وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم - إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فقال الله سبحانه وتعالى (ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)، والرسول صلى الله عليه وسلم كما هو رحمة للمؤمنين كذلك هو هاد ومبين ومنقذ لهم من نار جهنم كما في قوله صلى الله عليه وسلم «مالي آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمونها»، وبين الشيخ الياسين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الآلام تعتصر قلبه حتى أنزل الله بياناً في كتابه العزيز إذ قال تعالى: «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً)، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على عظيم رحمته صلى الله عليه وسلم بالأمة وقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين).

منزلة عالية وقدر رفيع

وقد رفع المولى سبحانـه وتعالى قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وأعـلى منزلته وبـين ذلك بقـولـه تعـالى: (يـا أيهـا الـذين آمـنوا استجيبـوا لله وللرسـول إذا دعـاكم لما يحـييكم واعلـموا أن اللـه يحول بين المرء وقلبـه) ويـوضح الشيـخ اليـاسين أن اللـه سبحانـه وتعالى جعل في الاستجابـة لرسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم الفـلاح والـخير والحياة.

المولى عز وجل يخاطب الرسول بالرسالة والنبوة

وفي بيان منزلة الـرسـول صلى الله عليه وسلم يوضح الشيخ الياسين أن الله سبحانه وتعالى لم يخاطب النبي صلى اللـه عليـه وسلم إلا بـالرسـالة والنبـوة، والمولى عز وجل خـاطب الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى موسى وحتى عيسى عليـه السلام كان الخطـاب بأسمائهم أحيانـاً، أما النبي صلى الله عليـه وسلم، فكان الخطاب بـالـرسالة، وعندما يـذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم يـذكر مقروناً بـالـرسالة كما في قولـه تعالى (ومـا محمد إلا رسـول قد خلت من قبلـه الرسل) و (يـا أيها الرسـول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر).

المؤمنون لا يخاطبون الرسول إلا بالرسالة

والمرتبة الرابعة كما يـوضحـها الشيخ الياسين أن الله تعالى نهى عبـاده المؤمنين عن مخاطبة النبي صلى اللـه عليه وسلم إلا بـالرسـالـة من باب التوقير والتعظيم لـه، ودلل على ذلك بقول الله سبحانه وتعالى: (لا تجعلـوا دعاء الرسول بينكم كـدعـاء بعضكـم بعضـاً)، ويـوضح الياسين أن الأقـوام السابقين كـانوا ينـادون أنبياءهم بأسمائهم: (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة).

القرآن يدافع عن النبي

أما المنزلة الخامسـة كما يراها الشيخ الياسين فهي أن الله سبحـانه وتعـالى تولى الـدفاع عن نبيـه صلى الله عليـه وسلم في القرآن الكـريم، وإذا استعرضنـا الدفاع عن الأنبياء منـذ عهد آدم عليـه السـلام وحتى عهـد عيسى عليـه السـلام نجـد أن كل نبي يدافع عـن نفسه، إلا



محمداً صلى الله عليه وسلـم، فحينما وصفه الكفـار بأنه سـاحـر، وأنـه مجنون... التـزم الرسول صلى الله عليه وسلم عدم الرد، وجاء من الله سبحـانه وتعالى: (مـا أنت بنعمة ربك بمجنون) وقـوله تعالى: (وما علمنـاه السحـر وما ينبغي لـه)، أما حينما قال قوم هود لنبيهم عليه السلام: «إنا لنراك في سفاهة» فقال هود كما روى اللـه عنه (ليس بي سفـاهـة ولكني رسـول من رب العالمين).

ومن تعظيم الله سبحـانه وتعـالى لنبيه صلى الله عليـه وسلم أن جعل طاعته عليـه السلام مقترنة بطـاعة اللـه سبحـانـه وتعالى وفي ذلك يقـول تعـالى: (قل إن كنتم تحبـون اللـه فـاتبعوني يحببكم اللـه) وقولـه تعالى: (ومـا آتـاكم الـرسـول فخـذوه ومـا نهاكم عنـه فانتهوا).

أعانه الله على قرينه فأسلم وحفظه الله من قرين السوء

إن الله تعـالى عصم سيـدنا محمـد صلى الله عليه وسلم وحفظه مـن كل ما يسيء، والصور على ذلك كثيرة في سنته صلوات اللـه وسلامه عليـه، فقد ورد في الحديث الشريـف أنه قـال: «ما منكم من أحـد إلا ومعه قرين، قـالوا حتى أنت يا رسـول الله، قال: حتى أنـا، إلا أن الله سبحـانـه وتعالى أعـانني عليـه فأسلم، فـلا يأمرني إلا بخير».

فقـد حفظه اللـه سبحـانه وتعـالى من قـرين السـوء، وحفظـه المولى من أن يـأكل حـرامـاً، ويقـول في ذلك النبي صلى اللـه عليـه وسلم: «حفظني اللـه سبحـانـه وتعـالى من أن آكل مـا ذبح على النصب، إلى أن أكرمني بـالرسـالة»، وكذلك فقد حفظه اللـه سبحانه وتعالى من أن يسجد أو يعظم صنماً ـ كما تقـول الرواية أن أبا طالب أصر على النبـي صلى الله عليه وسلم أن يذهب معه إلى صنم يكونون عنده إلى الليل يعظمـونه، وبإلحاح شـديـد ذهب النبي صلى اللـه عليـه وسلم ثـم رجع مسرعـاً إلى عماتـه فـوجدوه في فـزع، فقالـوا ما الأمـر؟ قال لقـد وجـدت رجلاً أبيض طـويـلاً يقول: ارجع يـا محمد لا تمس هذه الأصنام.

كذلك حفظـه الله سبحـانه وتعـالى من تكالب الشياطين، ففي الروايـة أن النبي صلوات الله وسلامـه عليه عنـدما كـان بين جبلين تكالبت عليه الشياطين، وكان بيد أحـدهم شعلة يريد أن يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بها، فوجد صلى اللـه عليـه وسلم خيفة في نفسـه، فأتـاه جبريل فقال لا تخف يا محمد وقل: فقال: ماذا أقـول؟ قـال جبريل عليـه السـلام قل: أعـوذ بكلمات الله التامـات من شر ما خلق ومن شر طوارق الليـل والنهار إلا طـارق يطرق بخير،

وهكذا حفظ الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم من كل مكروه.



الإسراء إكرام للنبي صلى الله عليه وسلم:

ومنزلة أخرى أكرم بها المولى عز وجل رسوله الكريم وهي الإسراء - فحادث الإسراء يحتوي كل موطن فيه على إكرام للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليته، ويذكر الشيخ الياسين حادثة في موطن الإسراء إذ يقول: عندما جاء جبريل عليه السلام بالبراق ليلة الإسراء ملجماً، استعصى على النبي صلى الله عليه وسلم أن يركب هذا البراق، فقال جبريل عليه السلام: «أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه» تقول الرواية: فارفض عرقاً، «أي تصبب عرقاً».

الرسول من أعلى الخلق نسباً

وينتقل الشيخ الدكتور/ الياسين بين منازل النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: ومن يتجول في بساتين الآيات والأحاديث يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم من أنفس خلق الله جل وعلا ومن أنسب خلقه سبحانه وتعالى والدليل على ذلك قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)، حتى قال ابن عباس في هذا الموطن تفسيراً لقول الله تبارك وتعالى: (وتقلبك في الساجدين)، يعني من نبي إلى نبي حتى وصل النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا كانت سلالة النبي صلى الله عليه وسلم.

وانتقل بعد ذلك المحاضر إلى منزلة أخرى وهي وصف الله تعالى لنبيه بالشهادة على أمته كما قال تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)، ليهتدي به الخلق إلى الله وإلى الخير، ولذلك عندما اشتد على عمر - رضي الله عنه - الأمر بوفاته صلى الله عليه وسلم، وتحرك بين القوم قائلاً: من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم مات فقد نافق، إنما كان متأولاً لقوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)، قال عمر لا تكون له الشهادة حتى يرى أمته كلها إلى قيام الساعة، إلى أن جاء أبو بكر رضي الله عنه وقال هناك آية محكمة وتلاها على الناس وهي قول الله تبارك وتعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم).

حَمَلَةُ الدعوة هم شهداء الله في أرضه

ويعقب الشيخ الياسين بأن حملة الدعوة الإسلامية والمحافظين على سنة النبي صلى الله عليه وسلم هم شهداء الله في أرضه، وعلينا أن نكون منهم، كما أن علينا أن نحافظ على حرمة النبي صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً وذكر الشيخ قول المالكية:
من قال إن محمداً هُزِمْ - يقصدون في أُحد فقد نافق.

رفع الله مكانته بين الأمم وأقسم به

ويوضح الشيخ الياسين أن المولى سبحانه وتعالى أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم تعظيماً له، وما أقسم الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه سوى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله جل وعلا : (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون)، ثم بعد ذلك رفع مكانته بين الأمم، قال علي رضي الله عنه: «لم يبعث الله سبحانه وتعالى نبياً من آدم إلا وأخذ العهد عليه وعلى أمته أنه - سبحانه وتعالى - إن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليؤمنن به ولينصرنه وهذا واضح في قصة عمر رضي الله عنه وأرضاه، عندما وقعت صحيفة من صحائف التوارة بيده، وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فغضب صلى الله عليه وسلم واحمر وجهه وقال: «لو كان موسى بين ظهرانيكم لما وسعه إلا أن يتبعني».

الفلاح والصلاح والخير والحياة في الاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم

ويختتم الشيخ الدكتور/ الياسين حديثه في ذكر منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان الأعطيات التي أعطاها المولى عز وجل لرسوله الكريم ولم يعطها أحداً من قبله، كما جاء في الحديث الشريف: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحلت لي الغنائم، وبعثت للناس كافة وجعلت لي الشفاعة وأُوتيت جوامع الكلم»، ومنزلته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، إذ سيكون هو الوحيد الذي ادخر دعوته المستجابة إلى يوم القيامة. ■

التشكيك في أمية الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم: سالم البهنساوي

لقد نشر أحد الكتاب مقالاً يُنكر فيه أمية النبي صلى الله عليه وسلم ظناً منه أن هذا الإنكار فيه تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، بينما لا يحتاج خاتم النبيين تكريماً ولا تعظيماً من أحد بعد تكريم الله تبارك وتعالى، ومثل هذا التكريم المتضمن إنكار الأمية يثير الشك والشبهات حول ما ورد في القرآن الكريم عن أمية الرسول وأمية العرب وقت نزول الرسالة، وهذا ما أجمعت عليه المصادر التاريخية.

وأمية الأمة هي لأغلبية أفرادها، وليس لكل فرد منها ومن ثم كان بين العرب من يقرأ ويكتب وهم أفراد قلائل، إن هؤلاء المنكرين لهذه الأمية يؤولون معناها مخالفين بذلك ما ورد في المعاجم اللغوية من أن الأميّ هو الذي لا يكتب ولا يقرأ.

وقد تناسى هؤلاء أن اختيار الله لنبي أمي له سبب، لأن هذا الأمي سيعلم البشرية الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لا علم لهم به، حتى لا يشك أحد في أن القرآن منزل من عند الله تبارك وتعالى، قال تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة - ١٥١.

والحكمة من ذلك أنه لو كان «محمد صلى الله عليه وسلم» عالماً ومطلعاً على الكتب السابقة، لتعلل المشركون أن ما يقول به ليس وحياً من الله، بل من تأثير هذه العلوم ومن تأليفه.

وفي هذا قال الله تعالى: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون) العنكبوت - ٤٨.

وأمية النبي جزء لا يتجزأ من الإعجاز الذي تميز به القرآن الكريم، فقد جاء القرآن بألفاظ وكلمات وأسلوب يعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

فإذا جاء هذا الإعجاز على يد أمي لا يقرأ ولا يكتب كان ذلك حجة على المبطلين والمترددين والذين في قلوبهم مرض، لهذا جاء القرآن بحقائق عن الكون والحياة والإنسان لا يعلمها أحد من البشر في عصر الرسالة، بل لم يكتشفوا هذه الحقائق إلا في عصرنا أي بعد خمسة عشر قرناً من نزول القرآن الكريم.

اختيار الله لنبي أمي له سبب، لأن هذا الأمي سيعلم البشرية الكتاب والحكمة

هذه المعجزات العلمية جاءت على يد هذا النبي الأمي وهذا يقطع أنها من عند الله تعالى، والأمثلة على إعجاز الرسالة من قرآن وسنة لا حصر لها مع الفارق بينهما، فالقرآن معجز في ألفاظه وفي المضمون، أي البيان والمعنى أما السنة النبوية فإعجازها في المضمون والمعنى فقط:

١ - لقد تضمن القرآن الكريم حقائق عن الكون والحياة وعن الإنسان وذلك كقول الله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت - ١١ و ١٢، وقال تعالى: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الطلاق - ١٣، هذه الآيات تفيد أن المادة التي تكونت منها السموات كانت مادة غازية وهي المعبر عنها بالدخان.

كما تفيد أن الله خلق سبع سموات وسبع كرات أرضية وكل هذا أثبته العلم الحديث تأكيداً له حسبما أثبته الدكتور موريس بوكاي في كتابه، «القرآن والكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة»

٢ - وتضمنت السنة إعجازاً في الحقائق التي تضمنتها، ونضرب لذلك مثلاً بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه يقول: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»، وقد كشف البحث العلمي المقدم إلى المؤتمر الأول «للطب الإسلامي بالكويت» أن هذه المادة تمنع التليف في المرض الحبيبي «التراكوما» وهذا يحول دون حدوث المضاعفات المرضية والتي تؤدي إلى العمى «كتاب السنة المفترى عليها» للكاتب ص ٢٩٠.

تفنيد الشبهات

وتخلص شبهات المستشرقين فيما أوردته دائرة المعارف الإسلامية بأن الأمي معناها غير اليهود من المشركين والوثنيين.

وبهذا التعريف الخبيث يصبح معنى قول الله:

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الأعراف - ١٥٧، أي المشرك أو الوثني، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، فهذا تعريف مختلق

لم يقل به أحد من أهل اللغة والمعنى كما سطرته من قبل هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، أما شبهات الغلاة من المسلمين فهي تنحصر في موضعين:

الأول: الذين يظنون أن أمية النبي تعني الجهل، ولذا يرون نفي ذلك، فوجدوا في الإسرائيليات حديثين هما:

(أ) أحدهما عن ابن أبي شيبة ولفظه: «ما مات رسول الله حتى كتب وقرأ».

وهذا الحديث موضوع ومنسوب إلى النبي زوراً حسبما أثبته الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ص ٣٧ ج ٤.

(ب) احتجوا بأحاديث صحيحة وأولوا معناها وأهمها أنه لما مرض واشتد عليه الوجع قال: «ائتوني بالدواة والكتب، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا معه بعدي أبداً».

والمعلوم أن معنى أكتب لكم كتاباً لا يفيد أن يكتب بيده، بل يملي غيره، والمعنى أن يأمر أحد الكتاب فيكتب ويكون المكتوب من النبي، لأنه أملاه وأمر به، ولهذا أملى رسائل بعث بها إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ونسبت له ولم تنسب إلى من كتبها.

الثاني:

أن بعض الشباب نادى بفهم خاطئ للأمية الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) الجمعة ـ ٢ و٣.

هذه الآية فسرها الأستاذ شكري مصطفى رئيس غلاة التكفير والهجرة، ويخلص الفهم الخاطئ في قولهم: إن الآية تدل على أن الأمية صفة ثابتة للمسلمين في جميع العصور، لأن الله وصفهم بالأميين وبالتالي يجب أن تتحقق الأمية في المسلمين في عصرنا بترك التعليم في المدارس والجامعات وهؤلاء قد فاتهم ما يأتي:

١ ـ إن الأمية لم تكن قاصرة على العرب، فاليهود كان منهم أميون، قال تعالى فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني). البقرة ـ ٧٨

٢ ـ ان العلم ليس قاصراً على الكتابة والقراءة فهذه وسيلة عامة وتوجد وسائل خاصة سمعية وليست بصرية، ومن ثم فالأمية الموصوف بها النبي والأمة لا تعني إلا عدم القراءة والكتابة، وهذه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمحوها عن صحابته،لهذا نجد في كتاب نظام الحكومة النبوية للكتاني باباً باسم باب المعلم الكافر حيث جعل النبي من أسباب إطلاق سراح أسرى الغزوات أن يعلم كل منهم عشرة من الصحابة القراءة والكتابة، كما نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبدالله بن سعيد بن العاص أن يعلم أهل المدينة القراءة والكتابة.

٣ ـ أن وصف الأمية للأمة لا يفيد أنها صفة مستمرة، بل خاصة بعصر البعثة النبوية، وإلا لما أمر صلى الله عليه وسلم بتعليمهم بل وبمحو أميتهم على النحو سالف الذكر.

وقد روى البخاري أن النبي سئل عن قول الله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)، فوضع النبي يده على سلمان الفارسي ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء.

إن معيار: «وآخرين منهم» لا تفيد لزوم الأمية لهؤلاء الآخرين كما يقول هذا الشباب، بل تفيد شمولهم برسالة النبي ومن مهامها (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة).

٤ ـ إن وصف الأمة بالأمية له مدلول خاص هو أنهم في عصر الرسالة لم يكن لهم إحاطة أو علم بالرسالات السماوية السابقة. وكما وصف القرآن العرب بالأمية في قوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم) وصفهم بعدم العلم بالرسالات في قوله تعالى: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية). البقرة ـ ١١٨

من هذا يتبين أن وصف الأمة بالأمية خاص بعصر الرسالة وبمن نزلت فيهم آنذاك وهم عرب الجزيرة العربية، فإذا تعلم هؤلاء القراءة والكتابة حسبما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ـ زالت عنهم الأمية سالفة الذكر.

وتبقى أمية أخرى غير قاصرة على الذين يقرأون ويكتبون بل يمكن أن يتصف بها أصحاب الدرجات العلمية وهم الذين قال الله فيهم: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم ـ ٧.

لهذا كان من مهام الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمحو هذا النوع من الأمية، قال تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة ـ ١٥١.

وقد خص الله هذه الأمة بالقيام بهذه الرسالة قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). آل عمران ـ ١١٠

فهذه المهمة لا يمكن أن يقوم بها الجاهلون، ولهذا وصف الله المسلمين بأنهم خير أمة، ولهذا كان لهم السبق في جميع العلوم والمعارف، وعنهم أخذ رواد النهضة في أوروبا كما هو معلوم.

بعض الشباب نادى بفهم خاطئ للأمية الواردة في القرآن الكريم

حديقة الوعي

إعداد / احمد عبدالجبار

أن يعين الله كلاً على كل

قال عبدالملك بن مروان: «انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر!، ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة أبي بكر وعمر، نسأل الله أن يعين كلاً على كل»، وقال عمر بن الخطاب: «إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف»، وقال عمر بن عبدالعزيز: «إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمراً من العدل، فأخاف أن تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا».

في الأخوة

أوصى بعض الحكماء أخاً له فقال: أي أخي: آخي كريم الأخوة، كامل المروءة، الذي إن غبت خلفك، وإن حضرت كنفك، وإن لقي صديقك استزاده، وإن لقي عدوك كفه، وإن رأيته ابتهجت، وإن أتيته استرحت، وروي أن رجلاً من عبدالقيس قال لابنه: أي بني، لا تؤاخي أحداً حتى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا رضيت منه العشرة فآخذ على إقالة العثرة، والمواساة عند العسرة.

بركة الصغار

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى التمر أتى به، فيقول: اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من بحضرته من الولدان.

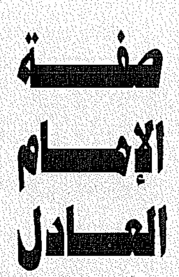
من هدي كتاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم
(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب. فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. ومن الليل فسبحه وأدبار السجود. واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب. يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج. إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير. يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير. نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد). سورة ق ٣٨ ـ ٤٥

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً».



صفة الإمام العادل

كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه صفات الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله:

اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الأمير العادل قوّام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر، والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهاً ووضعته كرهاً، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق

كلمات مضيئة

لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض، لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً.

«الحسين بن علي»

أشياء صعبة

أصعب ما على الإنسان ستة أشياء:

أن يعرف نفسه، ويعلم عيبه، ويكتم سره، ويهجر هواه، ويخالف شهوته، ويمسك عن القول في مالا يعنيه..

ثلاث خصال

قال لقمان لابنه:

يا بُني استعن بالكسب الحلال على الفقر إنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابته ثلاث خصال:

رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به.

طلب العلم

قالت أم سفيان الثوري لابنها وهو صغير:

يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وإذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك.

فراسة الشافعي

حدَّث الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل هاشمي برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه.

قال: فقلنا يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذ فيها:

سل المفتي المكيَّ هل من تزاور
وضمَّة مشتاق الفؤادِ جُناح

قال وإذا أجابه أسفل من ذلك:

أقول معاذ الله أن يذهب التقى
تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا في رمضان فقلت يا أبا عبدالله تفتي بمثل هذا شاباً فقال يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرّس في هذا الشهر «أي في شهر رمضان» وهو حدث السن فسأل هل عليه جُناح أن يقبِّل أو يضم من غير وطء؟

فأفتيته بهذه الفُتيا قال الربيع فتتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي، فهل هناك أفضل من هذه الفراسة.

اضطراب العراق من أهل النفاق

لما بلغ عبدالملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولي النجدة وقال: أيها الناس: إن العراق كدر ماؤه وكثر غوغاؤه وأملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر إخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع، وقلب ذكي وأنف حمي فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين: أنا للعراق فقال: من أنت؟ قال: أن الليث الضمضام والهربز الهشام أنا الحجاج بن يوسف. قال: ومن أين أنت؟ قال: من ثقفيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف، قال أجلس، وكرر عبدالملك الطلب فلم يجبه أحد، وكانت الرؤوس مُطرقة والألسن معتقلة ولم يجبه أحد.

فقام الحجاج ثانية.

وقال: أنا مجندل الفساق ومطفيء نار النفاق، أنا قاصم الظلمة، ومعدن الحكمة، الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة.

وكرر عبدالملك السؤال فلم يجبه أحد، فقال للحجاج أظنك صاحبها والظافر بغنائمها، قال فما آيتك وما علامتك؟ قال: العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والأزورار، والإدناء والإبعاد، والجفاء والبر والتأهب والحزم، وخوض غمرات الحرب بجنان غير هيوب، فمن جادلني قطعته، ومن نازعني قصمته، ومن خالفني نزعته، ومن نادمني أكرمته، ومن طلب الأمان أعطيته، ومن سارع إلى الطاعة بجّلته، فهذه آيتي وعلامتي، وما عليك يا أمير المؤمنين إلا أن تبلوني، فإن كنت للأعناق قطّاعاً، وللأموال جمّاعاً، وللأرواح نزّاعاً، ولك في الأشياء نفّاعاً، وإلا فليستبدل بي أمير المؤمنين، فإن الناس كُثر، ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل، فقال عبدالملك أنت لها.

التهلكة

روي أن رجلاً من المسلمين حمل على جيش الروم، حتى دخل فيهم، ثم خرج إلى المسلمين، فصاح الناس: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، حيث أعز الله الإسلام، وكثُر ناصروه، قلنا فيما بيننا: لو أقمنا في أموالنا فأصلحناها، فأنزل الله الآية: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وترك الجهاد في سبيل الله.

إياك والكذب

قال الشعبي: عليك بالصدق حيث تظن أنه يضرك، فإنه ينفعك، وإياك والكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك، واعلم أنه لا جُنة «بضم الجيم»: والجُنة: الدرع» أوقى من الصدق، ولا شيء أقوى من الحق، ولا سبيل أخوف من الكذب، ولا حادث أقبح من الزور، وقد ينتج الله للصادق النجاة العظيمة وإن لم ينوها، والخلاص من النازلة وإن لم يتوهمها.



مصر استخدام الأطفال في أعمال شاقة في ازدياد

أكد تقرير الجهاز المركزي المصري للتعبئة العامة والإحصاء حدوث زيادة مضطردة في حجم استخدام الأطفال في مصر، وأشار التقرير إلى أن معدل عمل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٦ ـ ١٢ سنة زاد من ٣,٥ في المئة العام ١٩٧٩م إلى ٧ في المئة العام ١٩٨٤م.

وأوضح أن عدد الأطفال العاملين الذين يقل عمر الواحد منهم عن ١٢ سنة بلغ نحو مليون ومئة ألف طفل، وبلغ عدد من يقل عمر الواحد منهم عن ١٥ سنة، نحو ١,٥ مليون طفل حسب إحصاءات العام ١٩٨٤م.

وأضاف التقرير أن إحصاءات العام ١٩٨٨م تشير إلى ١,٣ مليون طفل عامل من بينهم ٧٨٪ في القطاع الزراعي و ٩٪ في قطاع التصنيع والورش و ٥٪ في قطاع الخدمات و ٩٪ في قطاع البيع والتشييد.

وفي ما يتعلق بالحالة التعليمية لا يشمل الإحصاء التعليمي من هم أقل من ١٠ سنوات ١٨ في المئة، وبلغت نسبة الأميين ٥٠ في المئة ونسبة من يقرأ ويكتب ١٩ في المئة، ومن حصل على تعليم أقل من الإعدادية ١٣٪، وأشار التقرير إلى أن عمل الإناث يزيد في الريف عن ٤٧,٩ في المئة عنه في الحضر عن ٣٠,٥ في المئة حسب تقارير العام ١٩٨٨م.

٢٧١ مليون دولار صافي أرباح بيت التمويل الكويتي

حقق «بيت التمويل الكويتي» صافي أرباح عن العام ١٩٩٦م مبلغاً قدره ٨١,٤٤ مليون دينار (٢٧١ مليون دولار) بزيادة نسبتها ٨٪ عن العام الماضي، وقال بدر عبدالمحسن المخيزيم رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لبيت التمويل إن بيت التمويل قرر توزيع الأرباح عن السنة المنتهية في ٣١/١٢/١٩٩٦م بواقع ٧٪ لحسابات الودائع الاستثمارية المطلقة المستمرة، و ٦,٢٢٢٪ للودائع الاستثمارية المطلقة المحددة و ٤,٦٦٧٪ للتوفير الاستثماري المطلق، وقال إن مجلس الإدارة قرر أيضاً توزيع أرباح للمساهمين بمعدل ٣١٪ تشمل ٦٪ كأسهم منحة و ٢٥٪ توزيع نقدي.

ارتفاع نسبة الفقر في أوروبا

أظهرت دراسة قام بها البروفسور في علم السياسة أرنست أوريش هوستر في جامعة بوخوم أن الهوة بين الفقر والغنى تتسع باستمرار في أوروبا.

ورأى هوستور أن التدويل والشمولية والأزمات البنيوية في شرق أوروبا، وحركات الهجرة من العالم الثالث تؤدي إلى زيادة أعداد الفقراء فيما يزداد غنى الأغنياء.

وقال في دراسته وعنوانها، «الفقر في أوروبا» إن التجاذب الحاصل بين الفقر والغنى يمكن أن ينتج أزمات مأساوية في الأعوام المقبلة ويسبب «أزمات قيم داخل كل بلد، بين فقراء وأغنياء القارة الأوروبية.

ولاحظ واضع الدراسة أنه بينما ارتفع دخل خمس الأغنياء في أوروبا بنسبة ٣٪ العام ١٩٩٢م فإن دخل خمس المواطنين الأكثر فقراً انخفض بنسبة واحد في المئة، وأضاف أنه في بداية التسعينيات كان يعيش في الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي حوالي ٥٥ مليون شخص في وضع فقير، أي ما يعادل نسبة ١٥٪ من مجموع العائلات في أوروبا، وأوضح هوستر أن أعلى معدلات الفقر موجودة في دول جنوب أوروبا كالبرتغال حيث إن ٢٦٪ من سكانها فقراء، وبالمقارنة فإن الفقر في دول أوروبية مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا يصل إلى نسبة ١٠٪ تقريباً.



وفي ما يتعلق بألمانيا أشار واضع الدراسة إلى أن أعددا متلقي المساعدات الاجتماعية فيها ارتفع إلى أكثر من الضعف بين العام ١٩٨٠م و ١٩٩٢م فيما ازداد مدخول العائلات التي كان دخلها ١٠ آلاف مارك بنسبة خمسة أضعاف.

مؤتمر اقتصادي إسلامي عالمي عن استغلال الفرص التجارية

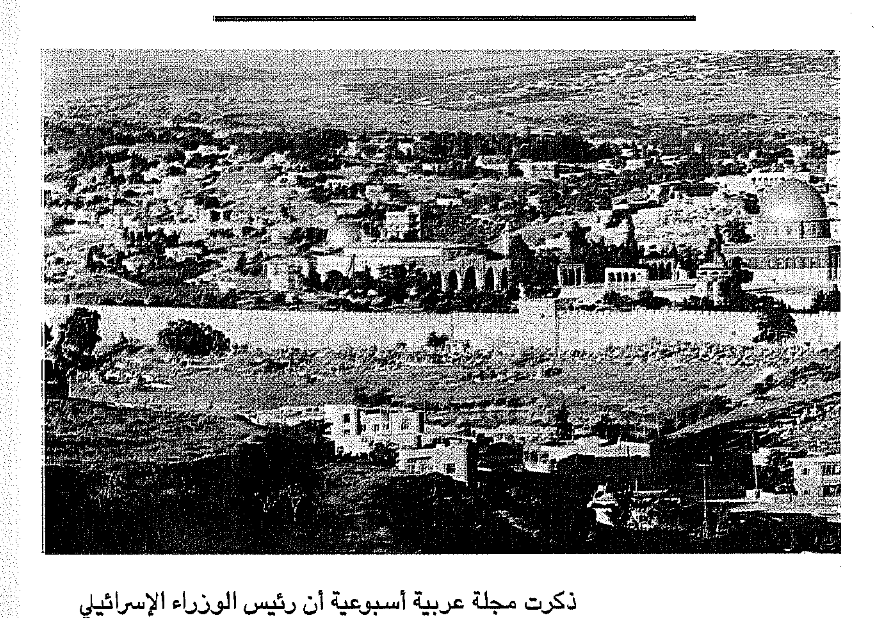
تستضيف العاصمة الماليزية مؤتمراً اقتصادياً إسلامياً عالمياً يتركز حول الاستغلال الكامل من جانب قادة العمل التجاري للفرص الاقتصادية المتوافرة، وذلك في الرابع والعشرين والخامس والعشرين من شهر فبراير العام ١٩٩٧م، وقالت الجهة المنظمة للمؤتمر إن هذا المؤتمر الذي يعد الأول من نوعه سوف يشهد حواراً متجانساً متجرداً يشارك فيه قادة العمل التجاري في العالم الإسلامي وبقية أنحاء العالم، كما يهدف إلى تحقيق شراكة أفضل من خلال قيام شراكة جديدة في ميدان التجارة العالمية في ظل النظام التجاري العالمي الجديد، وسوف يحضره قادة إسلاميون بارزون. ويحظى هذا الحدث بمؤازرة ودعم غرفة التجارة الإسلامية في أمريكا الشمالية والصناعيين المستقلين واتحاد رجال الأعمال التركي والصحف الاقتصادية الكبرى في ماليزيا والشرق الأوسط. هذا وستشارك أمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا وأستراليا أيضاً في المؤتمر لبحث المجالات المحتملة للتعاون التجاري وقيام مشروعات مشتركة في أنشطة تجارية مقبولة على نحو متبادل.

ارتفاع أرصدة البنوك الإسلامية

قال سمير عبيد الأمين العام للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية أن معدل النمو في البنوك الإسلامية خلال الأعوام الاثني عشر الماضية كان كبيراً إلا أنه الآن هبط بمعدل يتراوح بين خمسة وسبعة في المائة، وأضاف أن أرصدة المؤسسات المالية الإسلامية قفزت ٢١ مرة على مدى عشر سنوات لتبلغ نحو ١٦٦ مليار دولار. ومن جانب آخر قال مصرفيون إن مئات المليارات من الدولارات من أموال المسلمين لا تزال تديرها مؤسسات غير إسلامية، وأن رؤوس أموال حجمها ٦٥٠ مليار دولار تركت الشرق الأوسط الذي توجد فيه ربع المؤسسات الإسلامية المالية في العالم.

٤ ملايين طفل جائع في أمريكا

يعاني ٤ ملايين طفل تحت سن ١٢ عاماً من الجوع في أمريكا، وكشف مركز أبحاث خاص أن ٢٠,٨ في المئة من الأميركيين تحت سن ١٨ عاماً يعانون من الفقر.
وخلص مركز أبحاث الغذاء في نبذة عن الغذاء وبرامج التغذية في الولايات المتحدة إلى أن ٨,٣ في المئة من الأطفال تحت سن ١٢ عاماً يعانون من الجوع.
وتعتمد نتائج المركز الذي يعمل على تغيير السياسات للقضاء على الجوع وسوء التغذية في الولايات المتحدة وعلى دراسة أجراها في العام ١٩٩٥م، وحصل المركز على الإحصاءات الخاصة بالفقر من المكتب الأمريكي للإحصاء الذي يقرن بين الفقر وبين دخل يبلغ ١٥٥٦٩ دولاراً في العام، أو أقل لعائلة تتألف من أربعة أفراد في العام ١٩٩٥م، وهو العام الذي اعتمد المركز على إحصاءاته.



هيكل سليمان مكان الأقصى على لوحة لنتنياهو

ذكرت مجلة عربية أسبوعية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو صدم المسلمين في إسرائيل عندما قدم أخيراً لرئيس طائفة الروم الأرثوذكس في الدولة العبرية نقشاً للحي القديم في القدس ظهر فيه هيكل سليمان بدلاً من المسجد الأقصى، وقالت مجلة «السنارة» التي تصدر في الناصرة أن نتنياهو قدم اللوحة إلى الأسقف مكسيموس سلوم خلال لقاء بينهما في حيفا في ٢٩ ديسمبر الماضي، وقدم خلاله نتنياهو تهانيه بمناسبة عيد الميلاد ورأس السنة الميلادية.
ولم يظهر في النقش المسجد الأقصى وقبة الصخرة، بل ظهر في موقعهما مبنى يمثل هيكل سليمان.
وقال نائب رئيس بلدية أم الفحم في الجليل، الشيخ هاشم عبدالرحمن المتحدث باسم الحركة الإسلامية في إسرائيل في تصريح للصحافيين أن نتنياهو «جرح مشاعر المسلمين في العالم أجمع» ونصح رئيس الوزراء بالاعتذار علناً.



الصراعات الأكثر دموية كانت داخل الحضارات وليس بينها

اعداد عبدالمنعم احمد

نشرت «الفاينتشال تايمز» في عدد لها أخيراً مقالاً مهماً بقلم «مارتن وولف» تناول فيه نظرية صدام الحضارات التي يروج لها كثير من المفكرين في عصرنا الحاضر وتوصل إلى أن الصراعات داخل الحضارة نفسها هي أشد دموية عبر التاريخ من الصراع بين حضارتين، يقول في مقاله:

أنا أكره إذن أنا موجود، ليست الإنسانية جمعاء تواقة إلى الأعداء فحسب، بل أيضاً خبراء الأمن، وتقريباً منذ أن أصبحت الحرب الباردة في ذمة التاريخ، تعين ببساطة البحث عن مصادر جديدة للصراع.

فالمفكر الاستراتيجي الجدي لا يمكن أن يقنع بصراعات ثانوية بين أو ضمن دول عديمة الشأن، إنه يحتاج إلى ما هو أكثر جاذبية، وفي المنافسة على أعظم تصور للنزاع المحتمل، فاز البروفسور صموئيل هنتينغتون من جامعة هارفارد بالجائزة الكبرى، ما الذي يمكن أن يعقب قيام صراع ثنائي «بين الخير والشر» أي بين «العالم الحر والشيوعية»؟ الجواب كما يلح البروفسور هنتينغتون يكمن في الفكرة التي طرحها في مجلة «الشؤون الخارجية» في صيف العام ١٩٩٣م، والتي أحكمها الآن في كتاب مثير للأفكار: إنها «صراع الحضارات».

لَكَم كان هذا متوقعاً، ولَكَم هو باعث على الاكتئاب، ولكن أيضاً وللأسف لَكَم هو مقبول، البشر يبحثون عن سبب للتقاتل، ولأن البروفسور يدلهم على الطريق فإنهم سيعثرون فوراً على ما يسعون إليه.

ولكن من غير الإنصاف أن ندين البروفسور الطيب بإثارة الشر، صحيح إنه سيكون يوماً حزيناً بالنسبة للمفكرين والاستراتيجيين عندما لا يكون هناك صراع استراتيجي يثير قلقهم، ولكن البروفيسور ليس مختلقاً للتهديدات، وطرحه مقنع إلى درجة مقنعة.

يقوم طرحه على ستة أرجل:

١ ــ للمرة الأولى في التاريخ تدور لعبة السياسة بين قوى تنتمي إلى حضارات مختلفة.

٢ ـ سوف يقوم النظام العالمي الجديد على هذه الحضارات، حيث الحضارات المتنافسة هي الغربية، والصينية، والإسلامية، والهندوسية، واليابانية، والمسيحية والأورثوذكسية.

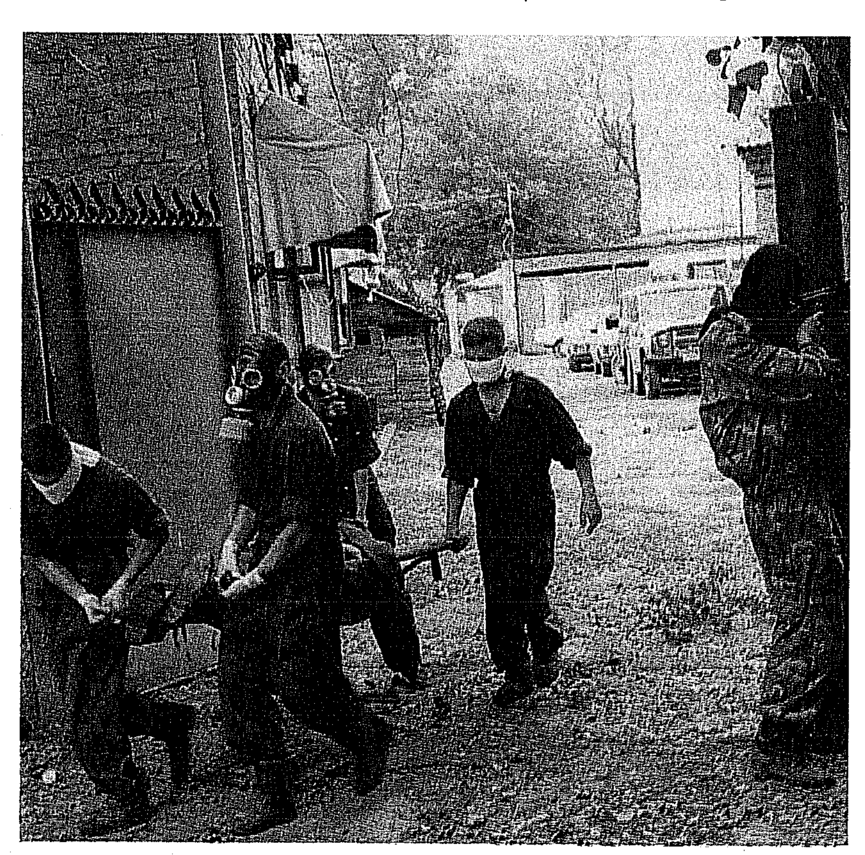
٣ ــ ان الغرب الذي لا يزال إلى حد كبير الحضارة الأقوى هو الآن في حالة تراجع نسبي.

٤ ــ «إن الصدامات الخطرة في المستقبل يحتمل أن تنجم عن تفاعل بين الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي وفرض الصين لنفسها».

٥ ـ كما أن «بقاء الغرب يتوقف على إعادة تأكيد الأميركيين لهويتهم الغربية وعلى تقبل الغربيين لحضارتهم باعتبارها فريدة وليست عامة».

٦ ــ وأخيراً، ان تجنب حرب كونية بين الحضارات يعتمد على قادة العالم، وعلى التعاون للمحافظة على السمة الحضارية المتعددة للسياسة العالمية.

وتماشياً مع مهنته، يظهر البروفيسور استعداده للتفكير بأفكار مخيفة، وهكذا وفي فقرة ترتعد من الأوصال يتساءل عمّا إذا كان من مصلحة أميركا أن تخوض الحرب لكي تمنع هيمنة الصين على شرق آسيا، ويضيف: «إذا ما استمر التطور





بلفاست قبل
وقف اطلاق النار

الاقتصادي الصيني فقد يشكل ذلك المسألة الأمنية الوحيدة الأشد خطورة التي يواجهها صانعو السياسة الأميركية في أوائل القرن الحادي والعشرين».

ولكن مهلاً أيها البروفيسور قبل التفكير في حرب بين قوتين نوويتين قد تكلف أرواح عشرات الملايين من الأبرياء، ألا يمكننا أن نسأل أولاً عما إذا كان هذا الطرح منطقياً؟

صحيح ان البشر «وعلى الأقل الذكور منهم» مدمنون على الصراع على نطاق واسع، وصحيح أن الناس الذين هم على درجة كافية من الصغر قد يتحاربون حول من أي طرف يجب أن تؤكل البيضة، ولكن هل من الضروري أن نتحارب حول درجة الاحترام التي يجب إبداؤها للوالدين؟ الفروق بين الثقافات البشرية شيء وتبرير الحرب شيء آخر، وهذه الحجة تحتاج إلى أن يجري تقسيمها إلى أجزاء مقنعة وأخرى أقل إقناعاً. البروفيسور هنتينغتون محق في جانب جوهري واحد، فالبشر موزعون على حضارات هي قديمة العهد وراسخة الجذور في آن واحد.

ولكن الجانب الأقل إقناعاً هو قناعة البروفيسور بأن البلدان التي تقوم بتحديث اقتصادها تكتسب مناعة ضد الأفكار الغربية، وهو محق في قوله أيضاً بأن الاضطرابات الاقتصادية يمكن أن تجعل الناس يتمسكون بالقيم التي تحدد هويتهم، ولنفكر هنا بما يحدث في العالم الإسلامي، ولكن حيثما تمكن شعب ما من تحقيق نجاح كبير في عملية التحديث تبعث ذلك مطالب من أجل مساهمة سياسية أكبر ومن أجل الحرية الشخصية، لقد ضرب هذا «الداء الغربي اليابان، وتايوان، وكوريا الجنوبية، وهونغ كونغ، فهل ستثبت الصين مناعتها.

ومع ذلك يصرّ البروفيسور عن حق بأن تغيرات كهذه لا يقع فرضها في يد الغرب، وهو يقول إن «الاعتقاد الغربي بكونية الثقافة الغربية يعاني من ثلاث مشكلات: أنه زائف، ولا أخلاقي، وخطر»، وهو لا أخلاقي لأنه استعماري، وخطر لأنه عدائي ضمناً، فالغرب لا يمتلك سواء الحق أو القوة لكي يشكل العالم بصورته.

لنسلم إذن بأن الحضارات الراهنة مختلفة، ومن المرجح أن تبقى هكذا على الرغم من أنه لا ينبغي أيضاً المبالغة في درجة تلك الخلافات، ولنسلم أيضاً بأن الانضمام إلى القيم الغربية في الديمقراطية وحقوق الإنسان هو أمر غير مؤكد وفي أفضل الأحوال بطيء، فهل يستدعي هذا نشوب صراع؟

أحد الأسباب التي تدعو إلى مقاومة أطروحة البروفيسور هنتينغتون هو أن أكثر الصراعات حدة كانت تاريخياً ليس بين الحضارات، بل داخلها ففي القرن السادس عشر تحاربت الأمبراطوريتان العثمانية، والفارسية بمرارة على الهيمنة داخل العالم الإسلامي، والحرب الأهلية أزهقت من أرواح الأميركيين أكثر مما أزهقته الحروب الأوروبية العظمى بين الأعوام ١٩١٤م و ١٩٤٥م، التي سببت موت عشرات الملايين من الناس.

الناس يكرهون فعلاً أولئك الذين يختلفون عنهم، ولكن الذين يكرهونهم أكثر من غيرهم هم غالباً جيرانهم، وليس هناك ما يعادل التقاتل بين الأشقاء دموية.

وإذا كانت معظم الصراعات لم تجر تاريخياً بين الحضارات فهل ينبغي للفروق بين الحضارات أن تؤدي بالضرورة إلى الصراع؟ الجواب هو «كلا» قطعاً، فالمسألة هي في كيفية نظر الناس إلى هذه الخلافات وإلى مصالحهم.

يتنبأ البروفيسور هنتينغتون بعالم من عدم الثقة والصراع وحتى الحرب، ولكن ما يصفه ليس سوى عالم من الفروق، ويمكن للفروق أن تكون مصدر فائدة مشتركة، وبينما يبقى الغرب مخلصاً لحضارته الفريدة، فإن عليه أن يتسامح مع ذلك التنوع وحتى أن يستمتع به.

شعار «يحيا الاختلاف» ليس فقط الشعار الأفضل، بل هو الشعار المنطقي الوحيد لعالم اليوم.

«الفايننشال تايمز»



إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية

أعلنت في الرياض يوم ٥رمضان الماضي الموافق ١٤/١/١٩٩٧م أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في فروعها الخمسة وهي: خدمةالإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، والطب، والعلوم.

وقررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٩٩٧م منح جائزة خدمةالإسلام للدكتور «مهاتير بن محمد» رئيس وزراء ماليزيا، ومنح جائزة الدراسات الإسلامية، وموضوعها الدراسات التي تناولت مكانة المرأة في الإسلام للأستاذ الدكتور «عبدالكريم زيدان» عراقي الجنسية.

وقررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي، وموضوعها الدراسات التي تناولت الرواية العربية حجب الجائزة هذا العام «وذلك لأن الأعمال المرشحة ـ مع ما بذل فيها مؤلفوها من جهود ـ لم تصل إلى المستوى الذي تهدف إليه الجائزة».

ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية للطب هذا العام، وموضوعها أمراض ضمور الجهاز العصبي للدكتور «كولن لويس ماسترن» استرالي الجنسية والدكتور «كونراد تراوجوت باي رويثر» الألماني الجنسية وذلك مناصفة مع الدكتور «جيمس فرانس قوسلا» كندي الجنسية.

وقررت لجنة الاختيار للجائزة في العلوم وموضوعها هذا العام «الفيزياء» منح الجائزة للدكتورين «كارل وايمان، واريك كورنل» الأمريكيا الجنسية.

وأعلن الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تصدر عنها الجائزة في مؤتمر صحافي عقده عقب إعلان أسماء الفائزين أن موضوعات الجائزة للعام المقبل ١٩٩٨م في الفروع الأربعة ستكون في الدراسات التي تناولت المكتبات أو صناعة الكتابة عند المسلمين في فرع الدراسات الإسلامية وفي الأدب العربي سيكون موضوعها السيرة الذاتية عند الأدباء العرب المعاصرين، وفي فرع الطب حدد التحكم في الأمراض المعدية كموضوع للجائزة وسيكون موضوع الرياضيات هو موضوع الجائزة في فرع العلوم.

فصل من فصول الدم في الجزائر

كتاب جديد صدر عن بيت الحكمة للطباعة والنشر في القاهرة العام ١٤١٧هـ / الموافق ١٩٩٦م لمؤلفه الأستاذ خالد عمر ابن ققه وهذا الكتاب صرخة مكتومة أطلقها المؤلف من خضم المعركة وهو ينسج قصة الدم في الجزائر باعتباره أحد أبناء الجزائر الذين اكتووا بنار هذه المعركة، تدور فصول هذا الكتاب حول سؤال محوري مفاده: إذا كانت «الدولة» ظالمة ومجرمة فهل يعطيني ذلك حقاً في أن أمارس ضدها أو ضد الشعب الظلم والإجرام، وأن أعتبر هذا جهاداً؟ ويطالب المؤلف الحركة الإسلامية بالإجابة عليه بوضوح وأن تحدد حدودها الشرعية فيما يمكن أن يطلق عليه الجهاد في مواجهة الحاكم الظالم، وفي هذا الكتاب الذي جاء في خمسة فصول يتناول المؤلف محاور أخرى مثل: مفهوم السلطة ودور الجيش والأحزاب وصراع الأجنحة وانعكاساته على الشعب.

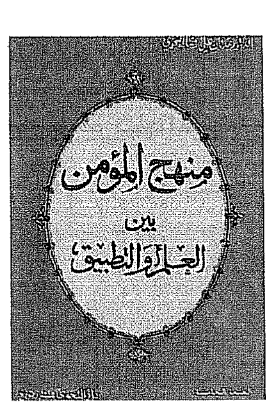
تركيا في الزمن المتحول

صدر عن شركة رياض الريس للكتب والنشر «بيروت ــ لندن»، للأكاديمي والصحافي الباحث في الشؤون التركية محمد نور الدين كتاب بعنوان «تركيا في الزمن المتحول ـ قلق الهوية وصراع الخيارات»، يحتوي الكتاب بعد المقدمة على الأقسام التالية: القسم الأول: الهوية في بعض خياراتها.

القسم الثاني: إسلاميون في نظام علماني ـ القسم الثالث: أكراد باحثون عن خريطة القسم الرابع: التنمية في خدمة السياسة ـ القسم الخامس: يهود أتراك أم أتراك يهود؟ ـ القسم السادس: من الأدرياتيك إلى سور الصين ــ القسم السابع: الشرق الأوسط الجديد، الملفات المفتوحة ـ القسم الثامن: المثلث الشيطاني إضافة إلى عدد من الخرائط والجداول الإحصائية. ويأتي هذا الكتاب كمحاولة جادة ونادرة في العالم العربي لتقديم مقارنة لأهم الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعيةالتي عصفت بالمجتمع التركي، وللقضايا الساخنة الأساسيةالمتصلة بالواقع الإقليمي لتركيا من الشرق الأوسط إلى القوقاز، ومن البلقان إلى آسيا الوسطى، خلال السنوات التي تلت مباشرة تفكك الاتحاد السوفييتي وهو ما يقدم للقارىء العربي من خلال المصادر التركية المباشرة، فهماً أفضل للعوامل والعناصر التي تتحكم بالسلوك التركي، في الداخل والخارج في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة، وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.

كتاب منهج المؤمن بين العلم والتطبيق

كثيراً ما يسأل المسلم نفسه من أين يبدأ دراسة الإسلام وكيف؟
وتظل هذه الأسئلة تموج في نفسه حتى يظن أن فهم الإسلام أمر عسير يختص به طائفة من الناس لا حظ له بأن يكون هو أحدهم!
لابد من أن يطمئن المسلم إلى أن الله أنزل دينه وحياً على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس كافة، وليعيه الناس، وليؤمن به من يهديه الله، ولقد جعل الله برحمته هذا القرآن ميسراً للذكر حتى يأخذ كل إنسان منه قدر وسعه وطاقته.
إن وجود النهج والتخطيط لتحقيق ذلك كفيل بتوفير الفرصة وتسهيل الدرب وبعث الطمأنينة، وهذا الكتاب لمؤلفه الدكتور عدنان علي رضا النحوي فهو يقدم نظرية المنهاج الفردي والمنهج السنوي الميسر، لتتوافر فرصة الاستفادة من كل إمكانات المجتمع الإسلامي من معاهد وعلماء وغير ذلك، وليتيح لك فرصة العلم والدراسة وفرصة التدريب ونظرية الممارسة الإيمانية، والدعوة إلى الله ورسوله، والتعهد والبناء والتربية، ومن الصعوبات التي يلقاها المسلم في حياته اضطراب الميزان بين يديه حين يريد أن يزن الناس أو القضايا، ويقدم لك الكتاب أيضاً دراسة مفصلة عن هذا الميزان مع أدلتها الشرعية، ليسهل عليك ممارسته في واقع حياتك وليرسم لك النهج الذي يردك إلى منهاج الله مما يقع ضمن حدودك ومسؤوليتك من قضايا حياتك وحياة أمتك ودينك!

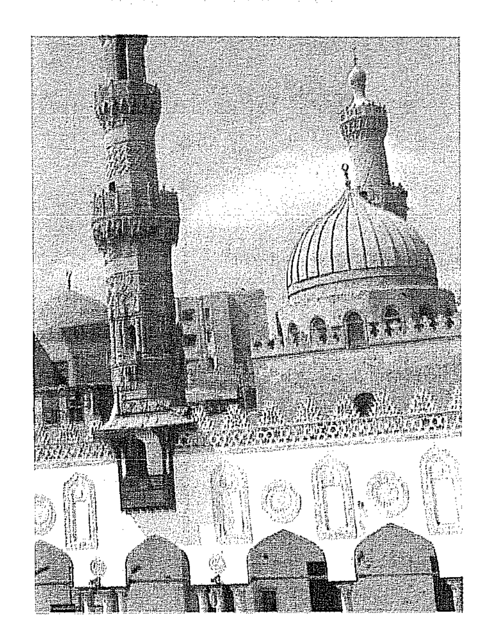


يقدم هذا الكتاب جزءاً من المناهج والنماذج التطبيقية التابعة «للنظرية العامة للدعوة الإسلامية»، فيما يتعلق بالقاعدة الصلبة لها في قضية الإيمان والتوحيد، والركنان الأساسيان فيها: المنهاج الرباني، والواقع، ويعرض هذا الكتاب موجزاً عن كتاب «دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية»، وموجزاً عن النظرية العامة، ويعرض أيضاً المنهاج الفردي، ومراحل الدعوة إلى الله ورسوله، ومراحل اختيار الدعاة وإعدادهم، والخطة اليومية والأسبوعية والسنوية، وأهمية تنظيم الوقت، ونموذجاً للمنهج الميسر، ومعنى الفقه والممارسة الإيمانية، ومنازل المؤمنين وميزان المؤمن، كل ذلك من خلال خمسة أبواب.

ديانات وأساطير

صدر عن مكتبة مدبولي في القاهرة كتاب بعنوان «معجم ديانات وأساطير العالم» للدكتور إمام عبدالفتاح إمام، ويشير الكتاب إلى أن المعاجم ودوائر المعارف ارتبطت طوال التاريخ بحركة الفكر التنويري، ولهذا ظهر الموسوعيون في عصر التنوير الأوروبي في القرن الثامن عشر الميلادي، ومن أبرز المفكرين الذين أثروا هذا التيار التنويري روسو، وفولتير.
ويوضح أن المسلمين أيضاً اهتموا إبان ازدهار حضارتهم بكتابة المعاجم اللغوية والتاريخية والدينية ومن أشهرها الملل والنحل للشهرستاني.
ويجيء هذا المعجم الجديد ليسهم في حركة التنوير العربي المعاصر ويسد فراغاً في المكتبة العربية بما يقدمه من تعريفات للمصطلحات والأفكار والديانات والأساطير، وهو عمل غير مسبوق في اللغة العربية في العصر الحديث.

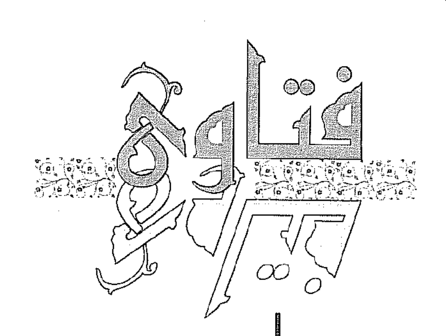
أخبار ثقافية



● وافق مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف على تمثيل رواية «زيارة للجنة والنار» للدكتور مصطفى محمود في عمل مسرحي، وكان قد شكل لجنة من الأزهر لمتابعة بروفات المسرحية للتأكد من خلوها من المخالفات الشرعية مثل تصوير الأنبياء، وتجدر الإشارة إلى أن المسرحية ذات مضمون ساخر وهي تسخر من المجرمين والسفاحين والطغاة الذين يقتلون الناس، وتبين مصيرهم في الآخرة.

● في بادرة جديدة تمت أخيراً في الكويت هي استخدام شبكة الإنترنت في نقل منتدى أصحاب القلم الثقافي عالمياً.

● طرحت الهيئة العامة للكتاب في معرض القاهرة الدولي التاسع والعشرين للكتاب الذي افتتح يوم ١٨ يناير ١٩٩٦ ترجمة العمل الموسوعي الضخم «دائرة المعارف الإسلامية» التي حررها أشهر المستشرقين في ٣٠ جزءاً وتتضمن الموسوعة معلومات منقحة لأكثر من عشرة آلاف مادة مرتبة ترتيباً أبجدياً بالإضافة إلى كشافات تحليلية للأعلام والأماكن والوقائع والأحداث والدول.



تارك الصلاة

ما حكم تارك الصلاة، كسلاً وعمداً

ـ أجابت اللجنة بالتالي:

تارك الصلاة مع جحود فرضيتها كافر باتفاق المسلمين، أما تاركها تكاسلاً مع الإقرار بفرضيتها ومعرفته بأنه عاص ومذنب ومخالف لحكم الله بتركها فقد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال هي:

١ ـ ذهب المالكية والشافعية إلى أنه يقتل حداً ولايعد كافراً، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله».

٢ ـ وذهب الحنفية إلى أن تارك الصلاة تكاسلاً من غير إنكار لفرضيتها، فاسق يعزر ويحبس حتى يموت أو يتوب ويصلي ولا يقتل، ولا يعد كافراً.

٣ ـ ذهب الحنابلة إلى أن تارك الصلاة تكاسلاً يدعى إلى فعلها ويُقال له: إن صليت وإلا قتلناك، فإن صلى فبها، وإلا وجب قتله ولا يقتل حتى يحبس ثلاثاً، فإن صلى فبها وإلا قتل حداً، وقيل كفراً.

واللجنة ترجح القول بعدم الحكم تكفير تارك الصلاة، الاكتفاء بعده فاسقاً وعاصياً حتى يتوب ويلازم الصلاة، ولا يعد من المخلدين في نار جهنم إن شاء الله تعالى استدلالاً بما رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة» حديث صحيح، قال المناوي: «فعلم من هذا وما قبله وبعده أن تارك الصلاة لا يكفر وأنه لا يتحتم عذابه، بل هو تحت المشيئة». والله أعلم.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

المصلى المنفصل عن المسجد

هناك مسجد تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة، وملحق بالمسجد ـ الخاص بالرجال ـ مصلى خاصاً بالنساء وفي شهر رمضان المبارك، يتزايد عدد المصلين والوافدين على بيوت الله، ولما كان مصلى النساء لا يستوعب عددهن المتزايد، فكرنا في بناء ملحق آخر، ونظراً لعدم وجود فراغ حول مصلى النساء المقام رأينا أن نقيم المصلى الجديد للنساء في مكان يبعد عن المصلى المقام حالياً عدة أمتار تتراوح ما بين ٣٠ و ٤٠ متراً، ويفصل بين المصلين ممر للمشاة على أن يربط بين المصلين جهاز مكبر الصوت، بحيث يصلي الجميع بصلاة الإمام، فهل ذلك جائز شرعاً؟ مع العلم بأن ذلك سيكون خلال شهر رمضان فقط نظراً لتزايد أعداد المصليات المسلمات فيه، على أن يُزال المصلى المقترح الجديد بعد انقضاء الشهر المبارك إن شاء الله.

أرجو إفادتي بالحكم الشرعي وهل تصح صلاة النساء في الملحق المقترح خلف الإمام، مع وجود الفاصل المذكور «حوالي ٣٠ متراً» يتخللها ممر للمشاة والصوت ـ صوت الإمام ـ يصلهم عن طريق مكبر الصوت؟ وجزاكم الله خيراً.

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

من شروط صحة الاقتداء بالإمام اتحاد المكان بين الإمام والمأموم، والعلم بحركات الإمام، والمصلى المقترح هنا منفصل عن المسجد، وعليه فلا يصح الاقتداء فيه، ما لم تغلق الأرض الفاصلة بينهما، ويمنع فيها المرور، ويكون لكل من المسجد والمصلى المقترح باب على هذه الأرض الفاصلة. وتكون حركات الإمام معلومة للمقتدين. والله أعلم ■

مشروع إفطار الصائم

نريد أن نعرف رأيكم في حكم المسألة التالية:
في كل عام تقوم اللجنة بمشروع إفطار الصائم في الدول التي تعمل بها وهناك في بعض المدن لا تستطيع اللجنة تنفيذ المشروع إلا عن طريق استئجار مطعم بكامله طوال شهر رمضان المبارك للقيام بعملية إفطار الصائمين في تلك المدينة فهل يجوز أن تقوم اللجنة باستقطاع نسبة من الأموال المخصصة للمشروع وشراء مطعم في تلك المدينة يكون فيه إفطار الصائم كل عام، وتقدم به وجبات إفطار كل يوم اثنين وخميس وباقي الأيام يستثمر هذا المطعم ويسترجع المبلغ الأصلي الذي تم به شراء المطعم إلى نفس المشروع ألا وهو إفطار الصائم، وإذا تم تنفيذ عدد من الوجبات المطلوبة، وهناك توفير في المبالغ بعد تنفيذ المشروع، هل يمكن التصرف في هذه المبالغ بمثل مشروع شراء مطعم لتقديم وجبات إفطار الصائم في الأعوام المقبلة؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
رأت اللجنة أن للجنة مشروع إفطار الصائم أن تتصرف في الأموال التي بين يديها بما ترى فيه المصلحة للصائمين، فإن رأت مصلحتهم في شراء مطعم لهم لتعذر تقديم الإفطار لهم بغير ذلك، أو لأن ذلك أفيد لهم وأصلح وأوفر، جاز شراء المطعم على أن لا يكون ذلك على حساب حاجة الصائمين، وأن يكون هذا المطعم في نهاية الأمر ملكاً لهم ينفق ثمنه على إطعامهم عند بيعه وتصفيته، ولا بأس باستثماره في حال استغنائهم عنه جزئياً، على أن يكون ريعه لإطعامهم بعد ذلك، وعلى أن يكون ذلك من غير أموال الزكاة، لأن مشروع إفطار الصائم يستفيد منه غالباً الغني والفقير، وذلك لا يجوز من أموال الزكاة. والله أعلم

تكفير تارك الصلاة

رجل تارك للصلاة عمره الآن ٤٦ سنة رجع وتاب وواظب على الصلاة منذ فترة وجيزة، فماذا يفعل من أجل تكفير تركه للصلاة طول الفترة الماضية؟

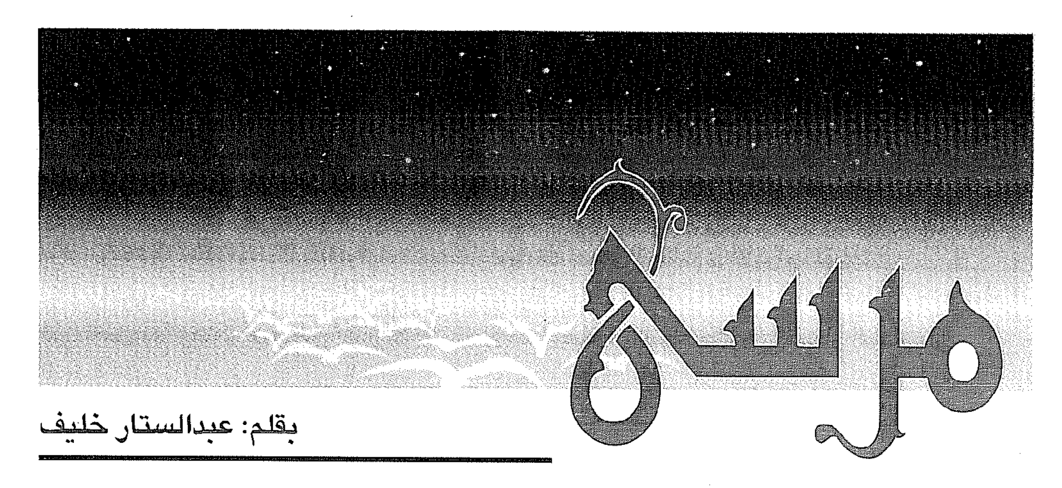
ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
يجب على من فاتته صلاة واحدة، أو صلوات متعددة مهما كثرت، فلم يصلها في أوقاتها، أن يقضيها كلها، ثم إن كان فوتها لعذر كالنوم أو النسيان فلا إثم عليه بعد قضائها، وإن كان فوتها لغير عذر فهو آثم، لتأخيرها عن وقتها بغير عذر، والواجب عليه في هذه الحال، التوبة النصوح إلى الله تعالى بالندم والعزم على عدم تفويت الصلوات، وذلك مع قضائها، ثم إن كانت الصلوات الفائتة قليلة أقل من ست صلوات فالواجب عليه قضاؤها قبل أداء الصلاة الوقتية، وإن كانت أكثر من ذلك، قضاها على التراخي، وأسرع في قضائها قدر الإمكان، خشية الموت قبل قضائها، وله أن يقضي مع كل صلاة وقتية صلاة أو صلاتين أو أكثر من ذلك على قدر إمكانه، حتى يقضيها كلها، ثم إن علم عدد الصلوات الفائتة قضاها بعددها كاملاً، وإن جهل عددها قضى بحسب ظنه وتقديره واحتاط. والله أعلم

صيام المريض

امرأة مصابة بمرض نفسي وتعالج في مستشفى الأمراض النفسية، وتأخذ علاجاً لهذا المرض، واستمر مرضها خمس سنوات، لم تصم خلالها فرض الصيام، فنرجو إفتاءنا بذلك وجزاكم الله خيراً ؟

وبعد أن استمعت اللجنة إلى أقوال السائل واطلعت على التقرير الطبي ـ أجابت بما يلي:
مادامت المريضة قد استمر مرضها طيلة السنوات الخمس الماضية ولم تبرأ من مرضها وكان لابد من تناول الدواء نهاراً فعليها أن تخرج فدية وهي إطعام مسكين عن كل يوم من أيام الصيام التي أفطرت فيها. والله أعلم

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية :
٢٤٤٤٤٠٥
٢٤٦٦٩١٤
٢٤٢٨٩٣٤
وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩
ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



بقلم: عبدالستار خليف

عدت يا عيد

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

كل عام وأنتم بخير.. والوعي الإسلامي في تقدم وازدهار، وعالمنا العربي بخير، والعالم الإسلامي في أحسن حال، الآن... كل البيوت مشغولة بالاحتفال بالعيد بزيارة الأهل واستقبال الجيران والزوّار..

قبل العيد ـ عادة ـ يتم شراء الملابس الجديدة وشراء متطلبات البيت، من الطعام والحلوى.

في العيد فرصة لأن نسأل أنفسنا عمّا قدمنا وعمّا أعطينا، هل سألنا عمن لاتعرف الفرحة بيوتهم، هل فكّرنا في الجيران الذين لا يقدرون على شراء احتياجات العيد؟، إنها الفرصة لأن نحاسب أنفسنا ونقيّم أعمالنا. يجب ألا تأخذنا فرحة العيد بعيداً، ونعيش في جزيرة شبه منعزلة عن الآخرين وعن بقية البشر، وقبل أن نفكر في أنفسنا، يجب أن نفكر فيمن حولنا وألا نعزل أنفسنا، داخل نفوسنا.

في هذه الأيام، هل ننسى عالمنا العربي ـ الحزين ـ والإسلامي الجريح، والقدس.. زهرة المدائن تئن تحت نير الاحتلال الصهيوني البغيض!! فكيف نستقبل العيد بفرحة في الصباح الباكر وهناك المآسي التي تصل بنا إلى حافة الكآبة واليأس وفقدان الأمل والمصير الغامض لأسرى العدوان الآثم على الكويت الحبيبة؟! كيف نبتهج ونفرح بصدق حقيقي وفي القلب حزن وألم لما يدور في عالمنا العربي والإسلامي؟!

العالم الإسلامي، هل هو أحسن حالاً وأوفر حظاً من عالمنا العربي؟ هل توقف نزيف الدم وذبح الأبرياء من المدنيين الذين لا حول لهم ولا قوة في البوسنة والهرسك؟ وأفغانستان هل استقر بها الحال وعاد الهدوء والوئام وانتهى الشقاق وتوقف القتال بين الأشقاء؟!

.. عدت يا عيد، وفي الحلق غصة، وفي القلب لوعة، عدت يا عيد؟! هل كان الشاعر العبقري «أبو الطيب المتنبي» يعلم بما سيكون عليه حالنا الآن، ليقول هذا البيت من الشعر، بأية حال عدت يا عيد؟! ومازال صوته يدوي في البراري والقفار، مازال صوته يسري عبر الزمان: بأية حال عدت يا عيد؟!.

عدت بالجفاف والتلوث والأمراض الفيروسية والزلازل المدمرة والبراكين والسيول والكوارث المدمرة، عدت يا عيد، ومازلنا نحس بعجزنا وحسرتنا وما آلت إليه حالنا من سوء وضعف وهوان، وأحوج ما نكون إليه الآن، هو أن نغيّر ما بأنفسنا (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم)، فيجب علينا أن نطهّر قلوبنا من كل حقد وسوء وضغينة، من كل شر وخراب، علينا أن... وأن... لن ننتهي من الحديث بالرغم من انتهاء العيد.

علينا أن نبدأ بأنفسنا أولاً، ثم بالآخرين ثانياً... حتى تتسع الدائرة لتشمل عالمنا العربي والأمة الإسلامية في كل مشارق الأرض ومغاربها...

وكل عام وأنت بخير، وأنا بخير، وهي بخير، والجميع بخير... وزهرة المدائن بخير، والبوسنة والهرسك مازالت بخير... وأفغانستان أيضاً، ومعذرة.... لأبي الطيب المتنبي. ■